المركز القومى للترجمة



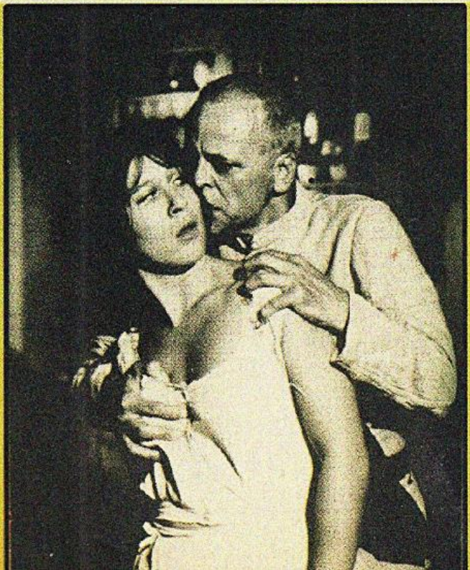
جورج بشنر

موت دانتون
ليونس ولينا
فويسك

الأعمال المسرحية الكاملة

ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوى

تصدير: أحمد سخسوخ



1298
روائع الدراما العالمية
كلاسيكيات الدراما العالمية
المشروع القومى للترجمة

چورچ بُشنر

الأعمال المسرحية الكاملة

المركز القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة روائع الدراما العالمية

المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ

- العدد : ١٢٩٨
- الأعمال المسرحية الكاملة
- چورچ بُشنر
- عبد الغفار مكاوى
- أحمد سخسوخ
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة الأعمال المسرحية الكاملة

لچورچ بُشنر

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

چورچ بُشنر

الأعمال المسرحية الكاملة

- موت دانتون
- ليونس ولينا
- فويسك

تأليف : چورچ بُشنر

ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى

تصدير : أحمد سخسوخ

٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بُشنر ، چورچ
الأعمال المسرحية الكاملة / تأليف : چورچ بُشنر ؛
ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى ؛ تصدير : أحمد سخسوخ
القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٣٢٠ ص ؛ ٢٠ سم
١ - المسرحيات الإنجليزية
(أ) مكاوى ، عبد الغفار (مترجم ومقدم)
(ب) سخسوخ ؛ أحمد (تصدير)
(ج) العنوان ٨٢٢

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٢٢٥٦٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 501 - 7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تصدير

بقلم : أحمد سخسوخ

غادر العبقرى جيورج بوشنر Georg Buechner عالمنا قبل أن يكمل الرابعة والعشرين من عمره، وعلى الرغم من حياته القصيرة، فقد ترك لنا كنوزا أدبية ودرامية وعلمية عظيمة الأثر مهد بها الطريق إلى الدراما الحديثة كما يقول هاينر موللر Heiner Mueller ، وكان تأثيره مباشرا على الحركة التعبيرية التى ظهرت بعد رحيله بأكثر من ثلاثة أرباع القرن - ظهرت فى ألمانيا عام ١٩١٠ - وقد ظهر هذا التأثير على وجه الخصوص جليا لدى فرانك ڤيدكند Frank Wedekind وبرتولت بريشت Bertolt Brecht ، كما استفاد من تقنياته فى الكتابة الدرامية كتاب السينما فيما بعد، ويعتبر جيورج بوشنر أول كاتب مسرحى فى التاريخ يجعل بطله الدرامى بروليتاريا قبل أن يكتب ماركس Karl Marx وإنجلز Friedrich Engels بيانهما الشيوعى بعشر سنوات، كما ينسب إليه ما يسمى بالشكل الدرامى المفتوح تمييزا له عن الطريقة الكلاسيكية أو الشكل الدرامى المغلق فى الدراما الألمانية والذى ارتبط بـ ليسنج Gotthold Ephraim Lessing وشيلر Friedrich Schiller

وجـوته Johann Wolfgang von Goethe وجـريل بـارتسـر Grill Parzer ويعـتـمـد هـذا البناء الدرامى لدى بوشنر على مـجـمـوعـة من المشـاهد القصيرة يدور الحدث فيها فى حلقات دائرية أو تصـاعدية يتكشف فيـها الحدث، كما يعتمد على الأغانى الشـعبية (الفردية أو الجماعـية) التى تتـخلل الـحدث الدرامى، ويبـرز فى أعمـاله صـور التناقضـات التى تظهر العـالم على حـقيـقـته وجـوهره دون زيـف مـثل الجـحيم والجنـة، الشـقـاء والسـعـادة، العـدل والظلم، الفـقـر والغنى، الصـقـيع والدفء، البـرودة والسـخونة وغير ذلك من المتناقضـات.. وتأتى جمله وتعبيراته الدراميـة متقطعة وغير مكتملة تظهر الإنسان - كما لدى شكسبير Shakespeare - فى عـمـقه وجـوهره دون حـتى ورقـة توت تـخفى عورته، إذ يـظهـره فى عريه خـالصـا، وقـد اعتـمد بوشـنر فى ذلك على المونولوجات الدرامية فى بناء الـحـدث، حـتى أصـبـحت هذه الطـريقة نموذجـا تـحـتـذى به الحـركات الحديثـة فيـمـا بـعـد - مثل البـاتافيـزيقـيـة Pataphysik والتـعـبـيـرية Der Impressionismus والسـريـالية Der Surrealismus

حياة قصيرة حافلة :

جـاء جـيـورج بوشنر إلى العـالم من قـرية جـودلاو Goddelau فى تمام السـاعة الخـامسة والنصـف مسـاءً من يوم الأحـد السـابع عشـر من أكـتـوبر عـام ١٨١٣، وجـودلاو قـرية صـغـيـرة تقع بين دارمـشـتـات Darmstadt وفورم Worm فى هيسن Hessen بألمانيا(١)، وكـان جيورج

هو الطفل البكر لوالده أرنست كارل بوشنر Ernst Karl Buechner الذى كان يعمل طبيبا فى جودلاو، وقد جاءها حديثا، وكان والده (جد جيورج الصغير) ياكوب كارل بوشنر Jakob Karl Buechner يعمل طبيبا أيضا.

كان أرنست والد جيورج يعمل فى جيوش نابليون Napoleon حتى حصل على ممتلكات كنسية مصادرة مكافأة له، بالإضافة إلى حصوله على لقب الدوق الكبير، وفى عام ١٨١٢ عاد إلى مدينة جيسن Giessen واستقر بها، ولكنه كان يعمل فى مستشفى هوف مايير بجودلاو[٢].

لقد كان الأب معجبا بنابليون، وكان يتقن الفرنسية ويعشق حضارتها، وكان دائم الحديث عن الثورة الفرنسية أمام ابنه البكر جيورج، حتى أصبح موضوع الثورة الفرنسية لدى الأخير مادة لمسرحيته الأولى موت دانتون Dantons Tod ، وقد شكل الأدب الفرنسى لجيورج وأخوته اهتماما كبيرا فى حياتهم، فقد عمل لودفيج Ludwig الأخ الثانى أستاذا للفلسفة فى فرنسا، وحصل شقيقه التالى ألكسندر Alexander على الجنسية الفرنسية وقد وصل إلى درجة الأستاذية فى تاريخ الأدب بجامعة Caën ، أما الأخت لويزه Louise فقد تحققت ككاتبة رومانسية.

وعلى الرغم من تأثر جيورج بوشنر بالثورة الفرنسية، فقد كانت مثار خلاف بينه وبين والده، وقد انتهى الأمر بأن يترك جيورج منزل الأسرة على إثر نزاع مع الأب، وعلى العكس كانت الأم لويزه كارولينا

ريوس Louise Caroline Reuss مختلفة كثيرا عن والده، وكانت تحظى باهتمامات كل عالم بوشنر الابن، وكانت تعشق الشعر الألمانى، خاصة أشعار شيللر Schiller وأعماله مما أثر كثيرا على جيورج، وهنا تجد أن تأثير الأم على جيورج من الناحية الأدبية كان كبيرا، فى الوقت الذى كان فيه تأثير الأب عليه من الناحية السياسية والعسكرية لا بأس به.

البداية :

تبدأ علاقة جيورج بوشنر بالأدب فى سن الخامسة عشرة عام ١٨٢٨ حينما كتب مجموعة أشعار فى عيد ميلاد أمه، وفى العام نفسه، وهو فى هذه السن الصغيرة، انضم إلى حلقة دراسية تهتم بالثقافة والأدب بدارمشتات التى انتقل إليها على إثر ترقية والده بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى الطب عام ١٨١٥، وقد أنجبت هذه المجموعة فريدريش تسيمرمان (١٨١٤-١٨٨٤) Friedrich Zimmermann ولودفيج فيلهلم لوك (١٨١٣-١٨٨١) Ludwig Wilhelm Luck وفى هذه المرحلة انكب جيورج على دراسة شكسبير وجوته وهوميروس Homer وأسخيلوس Aeschylos/Aischylos وسوفوكليس Sophocles/ Sophokles

وفى عام ١٨٣١ ، وعلى إثر حصوله على الثانوية العامة التحق بكلية طب جامعة ستراسبورج وهناك أقام لدى القس يوهان يعقوب

Johann Jakob والد إلويزا فيلهلمينا يجله Louise Wilhelmine Jaegle التى أصبحت عشيقته وخطيبته فيما بعد، وتعد رسائله إليها ذات قيمة كبيرة فى تاريخ الأدب الألمانى.

فى عام ١٨٣٣ انتقل جيورج بوشنر إلى جيسن لاستكمال دراسة الطب، وهناك ينخرط فى التجمعات الثورية، وينتهى من كتابة بيانه الثورى الذى سمى فيما بعد بـ رسول هيسن Der Hessische Landbote ثم ينتقل إلى ستراسبورج ليرتبط رسميا بمينايجله، وبعدها ينتقل إلى دارمشتات ليؤسس جماعة الدفاع عن حقوق الإنسان، ثم يعود - بعد شهر واحد - إلى جيسن لمواصلة دراسة الطب، وهناك يطبع بيانه السياسى (رسول هيسن).

فى نهاية عام ١٨٣٤ ينكب على دراسة الثورة الفرنسية لينتهى الأمر بكتابة مسرحيته الأولى (موت دانتون) تنشرها دار فرانكفورت بداية عام ١٨٣٥، يعبر فيها عن مأساة الثورة الفرنسية التى تخضبت أيديها بالدماء وهى التى جاءت لتحقق العدالة والحرية والمساواة.

وتتوالى أعماله الدرامية والأدبية فيكتب مسرحيته ليونس ولينا Leonce und Lena ومسرحية فوتيسك Woyzeck عام ١٨٣٧ ويترجم عملين إلى الألمانية للشاعر الفرنسى فيكتور هوجو Victor Hugo وهى لوكرتيا بورجيا Lucretia Borgia وماريا تودور Maria Tudor وفى هذه الأثناء، وفى عام ١٨٣٦ ، ودون أن يكمل الثالثة والعشرين من عمره

يحصل جيورج بوشنر على الدكتوراه فى الجهاز العصبى لسمك الباربا (وهو نوع من السمك يعيش فى المياه غير المالحة وسط أوروبا ويقترب طوله من المتر ويتراوح وزنه ما بين ٥ - ١٢ كيلو جرامًا)، وينتقل على أثر ذلك للعمل مدرسا بكلية الفلسفة بمدينة زيورخ **Zuerich** بسويسرا، وبعد فترة يشعر بالملل من تدريس مادة (مقارنات فى علم التشريح بين السمك والضفادع).

النهاية :

وفى بداية عام ١٨٣٧ يصاب جيورج بوشنر بمرض التيفوس، فاضطرت السيدة كارولينا شولتس **Caroline Scholz** وزوجها لرعايته فى منزلهما بزيورخ، وفى ١٩ فبراير من هذا العام تصل خطيبته مينايجله إلى زيورخ، وكان جيورج فى هذه اللحظة - كما تصفه السيدة كارولينا شولتس - يتنفس بصعوبة شديدة، وقد قطع الأطباء أى أمل له فى الحياة، وهنا تقول السيدة كارولينا : «جلست أنا ومينا فى حجرتنا، وكنا نعرف أنه على بعد خطوات منا يتمدد جسد ميت». وبعدها بيومين رحل جيورج بوشنر إلى عالم آخر غير عالم الأحياء.

دراما بوشنر .. والخلاف الأبدى :

يرى الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مقدمة ترجماته المتميزة لأعمال جيورج بوشنر فى هذا الكتاب أن مسرحيته الأولى هى «الوحيدة التى أتمها قبل موته، وهى (موت دانتون)»، ثم يؤكد أن هذه المسرحية - يقصد موت دانتون - مسرحية «لا تسير إلى هدف أو خاتمة، سواء أكانت هذه الخاتمة نهاية سعيدة متخيلة، أم كارثة شاملة تحرر النفس وتطهرها. إن الفصل الرابع والأخير لا يأتى معه بالنهاية المنتظرة، فهو لا يزيد على أن يكون أحد المشاهد العديدة التى رأيناها تدور مع أرجوحة الأحداث»، وعبد الغفار مكاوى بذلك يميل إلى تقرير أن جميع أعمال جيورج بوشنر المسرحية - بما فيها موت دانتون - غير مكتملة، حيث - كما يقول - يتابع جيورج بوشنر «الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشعبية (فويتسك) أو ملهاته الباكية (ليونس ولينا) ورائعته القصصية (لنس) عن مأساة شاعر العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١-١٧٩٢) وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم».

وفى الواقع يؤكد بعض النقاد هذا الرأى حول أعمال جيورج بوشنر باعتبارها أعمالا ناقصة، وهو الرأى الذى تبناه الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مقدمته لأعمال الكاتب، وإن كنت أميل إلى تبنى موقف مغاير يرى أن جميع أعمال جيورج بوشنر أعمال مكتملة وتامة غير ناقصة.

موت دانتون :

كتب جيورج بوشنر مسرحية (موت دانتون) فى أربعة فصول تحتوى فى مجملها على اثنين وثلاثين مشهدا دراميا قصيرا، وقد وضع بوشنر بطله الدرامى (دانتون) منذ اللحظة الأولى فى موقف مأساوى يرهص بكل ما سيأتى من أحداث مفجعة، إذ يبدأ بحديثه عن الوحدة والحب الذى يشبهه بالقبر، حتى يصل فى المشهد الأخير إلى ميدان الثورة، وقد نصبت المقصلة ليدفع الجلادون به ورفاقه لقطع رقابهم، وهنا يستدير دانتون إلى الجلاد الذى يفرقهم قائلا :

«أتريد أن تكون أكثر فظاعة من الموت، أتستطيع أن تمنع رؤوسنا لكى تقبل بعضها البعض وهى فى قاع السلة»(٣) .

وفى المسرحية يبدو تأثر جيورج بوشنر واضحا بشكسبير، خاصة فى رسمه لشخصية دانتون الذى رسمه فى حالة هاملتية مترددة - إلا فى لحظات نادرة كهاملت أيضا - تقعده عن العمل والفعل، حتى نهايته تحت المقصلة، ويصبح بذلك فى النهاية ضحية لتركيبته الهاملتية.

ليونس ولينا :

هى مسرحية مكتملة - أيضا - كتبها جيورج بوشنر خصيصا ليشترك بها فى إحدى المسابقات المسرحية، وقد كتبها فى ثلاثة فصول،

وتتكون فى مجموعها من أحد عشر مشهدا دراميا، وتدور المسرحية حول فكرة هروب الأمير ليونس Prinz Leonce مع خادمه نظرا لأن الأمير قد أعلنت خطبته على الأميرة لينا Prinzessin Lena من مملكة أخرى لأسباب سياسية دون أن يراها من قبل، وفى الوقت نفسه تهرب لينا مع خادمتها، ويلتقى ليونس مع لينا دون أن يعرف أحدهما الآخر، ثم يتفقا على الزواج، بعدها يعود الأمير إلى مملكته ومعه الأميرة لينا، ويضطر والده الملك أن يوافق على زواجهما، وبعد إزاحة الأقنعة يكتشف الملك أنهما ابنه وعروسه الذى كان قد قرر تزويجها لابنه، هنا يقرر أن يتنازل عن الحكم لولده حتى يتمكن من الانصراف إلى التفكير الفلسفى دون أن تزعجه أمور المملكة، وتنتهى المسرحية بذلك.

وقد كتب جيورج بوشنر هذه المسرحية بأسلوب مخالف عن أسلوبه السابق فى موت دانتون، إذ إنه يوصفها بالكوميديا، ويصور شخصياتها بشكل كاريكاتورى، ويتلاعب فيها بالألفاظ، والمسرحية تذكرنا - بشكل ما - بكوميديات شكسبير وشخصيات مهرجيه(٤). حيث يتجسد «فى جسد بوشنر روح شكسبير» كما يقول بـ أولينين P. Olenin عن بوشنر وأعماله دون أن يقصد عملاً واحداً، بل كل كتاباته.

لينز (٥) :

كتب بوشنر قصة لينز عن شاعر حركة العاصفة والاندفاع Sturm und Drang يعقوب ميخائيل رينهولد لينز Jakob Michael Reinhold

Lenz وكان تركيزه الأساسى على الناحية النفسية فى لينز الذى أصيب بحالة من الشيزوفرينيا وعاش «تعيسا ثم أصبح نصف مجنون» كما وصفه جيورج بوشنر فى إحدى رسائله إلى أسرته، وتغوص القصة فى شرح وتحليل التناقض والصراع النفسى والتمزق الداخلى فى نفس البطل حتى قاده ذلك إلى الجنون، وقد نشرت القصة لأول مرة عام ١٨٣٩ ، أى بعد رحيل جيورج بوشنر عن العالم بعامين، كما أعدت للمسرح ومثلت لأول مرة عام ١٨٨٥، وقد أعد فولفجانج زيهم Wolfgang Ziehm القصة إلى الأوبرا باسم (يعقوب لينز) وعرضت فى هامبورج عام ١٩٤٩.

فويتسك :

فى طبعة شتوتجارت - عام ١٩٧٨ - توجد نسختان لمسرحية فويتسك، إحداهما منقولة عن خط يد بوشنر، والأخرى منقحة للقارئ العادى، وتتكون النسخة المنقولة عن خط بوشنر من ثلاثة أجزاء، يحتوى الجزء الأول منها على سبعة عشر مشهدا قصيرا، ويبدأ هذا الجزء بمشهد الخلاء بين فويتسك Woyzeck وأندرز Andres ، وينتهى بمشهد المعسكر الذى يودع فيه الأول الثانى.

ويبدأ الجزء الثانى بالمشاهد من الثالث حتى السابع - (وربما يشير هذا إلى ضياع أو فقدان بعض المشاهد) - ، كما يبدأ الجزء

الثالث بمشاهد مرقمة ما بين ٤ حتى ١٠ - (بالطبع يشير هذا أيضا إلى ضياع أو فقدان بعض المشاهد) - حيث يبدأ المشهد الرابع بماريا Marie أمام منزلها مع الأطفال وينتهى بمشهد فويتسك أمام المستنقع وهو يرمى بالسكين فى الماء بعد قتله لماريا، ونجد المشاهد المرقمة فى هذا الجزء أرقام ٧ ، ٩ ، ١٠ مشطوبة بخط يد بوشنر وهذا فى الواقع ما جعل الناشرين يلجأون إلى إعداد نسخة من هذه المسرحية - مسرحية فويتسك فقط - للقراءة أو للتمثيل بترتيب خاص بالمشاهد - من وجهة نظرهم - مع إضافة بعضها أو حذف البعض الآخر، ومن هنا تختلف نسخ هذه المسرحية - فى ترتيب مشاهدها - من ناشر إلى آخر، ومن طبعة إلى أخرى، ويتركز هذا الاختلاف فى الواقع على ترتيب المشاهد وعلى حذف بعضها أو اعتماد المشطوب منها.

ويرجع هذا الاختلاف فى الواقع إلى اعتماد الناشرين على مسودة خطية لبوشنر فُقد أو ضاع بعض مشاهدها، وشطب بعض ما تبقى منها، بالإضافة إلى تغيير فى بعض الكلمات والجمل بالمسرحية، ونجد نهاية المسرحية رغم كل هذا مكتملة - إلا من مشهد أو اثنين فى بعض الطبعات كما يتضح فيما بعد - ، إذ تنتهى المسرحية - فى كل الطبعات - بقتل فويتسك لماريا وإلقائه للسكين التى قتلها بها إلى الماء، ثم ذهابه إلى المستنقع أو البحيرة بحثا عن السكين ليخفى أداة الجريمة، ثم اغتساله فى مياه المستنقع لإخفاء بقع الدم من على يديه وملابسه، وأثناء ذلك يمر شخصان من أمام المستنقع على بعد وقد

توقفا بعد سماعهما لأصوات إنسان يموت، وهى نهاية للمسرحية تتفق وتكنيك البناء الدرامى المفتوح الذى يطرح بعضا من الأسئلة بعد المشهد الأخير مثل هل سيموت فويتسك غرقا؟ هل سينقذه الرجلان؟! وإذا أمسكاه هل سيبلغان عنه أو يقدمانه إلى البوليس؟!.. إلى آخر هذه الأسئلة التى لا تغلق التفسيرات على نهاية المسرحية، وهو تكنيك يختلف عن تكنيك البناء الدرامى المغلق للأعمال الكلاسيكية للسابقين على جيورج بوشنر فى الدراما الألمانية مثل ليسنج وشيللر وجوته وجريل بارتسر وغيرهم.

وفى طبعة شتوتجارت - عام ١٩٨٥[٦] - ينهى الناشر المسرحية بفويتسك وهو يتحدث إلى مياه المستنقع، وفى الوقت نفسه يأتى شخصان تصل إلى أسماعهما من بعيد أصوات لإنسان يحتضر فى ظلمة الليل، ثم يتجهان إلى مصدر الصوت، بعدها يأتى مشهد قصير للأطفال - بضعة أسطر قليلة - وهم يقررون التوجه ناحية الجثة، ثم يأتى مشهد آخر من ثلاثة أسطر يتحدث فيه رجل البوليس عن «القتل الجميل». وأنه لم ير منذ زمن طويل قتلا جميلا بهذا الشكل[٧]. وبالطبع تنتهى المسرحية.

ولهذا ربما تبنى بعض النقاد الرأى الذى يرى أن أعمال جيورج بوشنر هى أعمال ناقصة وهو الرأى الذى ربما بنى على أساس اختلاف طبعات مسرحية فويتسك وحذف بعض مشاهدها وإعادة ترتيب هذه المشاهد وفقا لوجهة نظر الناشر.

إنك تجد – مثلا – أن المشهدين الأخيرين – مشهد الأطفال ومشهد رجل البوليس – ليسا فى نص فويتسك المترجم فى هذه النسخة من الكتاب، إذ اعتمد د. عبد الغفار مكاوى فى ترجمته من الألمانية على النص الذى حققه ونشره فرتز برجمان عام ١٩٥٨، وتتفق نهاية مسرحية فويتسك بالكتاب مع النص الألمانى للمسرحية فى طبعة الكلاسيكيين الكبار التى طبعت بسالزبورجَ عام ١٩٨٠[٨] ، وهو ما جعل النقاد يختلفون حول بعض طبعات هذه المسرحية وحول تحليلاتهم لمسرحية لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الدراما الحديثة، خاصة الدراما الألمانية، وقد وصفها فريدريش دورينمات **Friedrich Duerrenmatt** بأنها «أكثر المسرحيات التى سحرتنى».

هوامش

(١) Vgl. Buechner : Die Grossen Klassiker Literatur der Welt, Bd 17, Andreas Verl. Salzburg 1980, s. 12 ff, und Hans Mayer : Georg Buechner und seine Zeit, Suhrkamp. Taschenbuch Verl. Frankfurt am Main 1972, S. 233 FF.

(٢) Vgl. Hans Mayer, ebenda, s. 33 FF.

(٣) Buechner : Die Grossen Klassiker, 2. 213

وقارن أيضا الترجمة المتميزة لموت دانتون للدكتور مكاوى فى هذا الكتاب.

(٤) قارن نهاية نص ليونس ولينا فى هذا الكتاب مع مقارنة نص :

Georg Buechner : Leonce und Lena, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1985 s. 61

وقارن نهاية المسرحية ذاتها فى طبعة :

Buechner : Die Grossen Klassiker, s. 243

(٥) Georg Buechner : Lenz, Der Hessische Landbote, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1957

(٦) Vgl. Georg Buechner : Woyzeck, Leonce und Lena, Hers. Von otto C. A, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1985

(٧) Vgl. Ebenda, s. 28

(٨) Buechner, Die Grossen Klassiker, s. 297

تقـــديم

جــورج بشـــنر

(١٨١٣ ـ ١٨٣٧)

كاتب ثائر وطبيب ، عبر عن صرخة الخليقة المعذبة من عبث الوجود وفنائه ، هذه الصرخة التى لانزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم ٠

ولد فى دارمشتات (مقاطعة هيسن فى ألمانيا) ٠ كان أبوه طبيبا ريفيا عمل فترة فى حرس نابليون فتعلم كيف يقدر كل ماهو فرنسى ، وكانت أمه التقية تجل الشاعر الكبير شيلر فوق كل شىء ، التحق بالمدرسة الثانوية فى دارمشتات ، وعرف بميله الى الفيزياء والرياضة ، كما درس الطب فى شتراسبورج وأفعم قلبه بالثورة والحرية والتمرد على الطغيان فى بلاده ، وتعـــرف على خطيبته ميناايجله التى كتب اليها رسائل من أجمل ماعرف الأدب الألمانى ٠ أكمل دراسة الطب فى مدينة جيسن (١٨٣٣) التى أقام فيها فى ظل حكم بوليسى متعنت جعله يعانى أول أزمات حياته ، ويشارك مشاركة

ايجابية فى الثورة ، فيؤلف بيانا يحرض فيه الفلاحين على الثورة على مستغليهم سماه « رسول هسن » (١٨٣٤) ٠

انه يعود فى أوائل عام ١٨٣٤ الى جيسن ليواصل دراسة الطب ، بعد أن أمضى فى بيت أبويه فى دارمشتات فترة استشفاء من التهاب فى المخ أصابه نتيجة أزمات نفسية متكررة ٠ كانت الظروف السياسية فى بلده لا تحتمل ٠ وقد كتب قبل عودته الى جيسن وهو على فراش مرضه الى صديقه أوجست شتوبر يقول : « ان الظروف السياسية تكاد تصيبنى بالجنون ، ان الشعب المسكين يجر فى صدر العربة التى يمثل عليها الأمراء وأدعياء التحرر ملهاتهم » ٠ كانت الأسابيع القليلة التى قضاها فى بيت أبويه كافية ليعرف عن كثب جبروت الدولة البوليسية الحاكمة ٠ ولم يكن من الممكن بعد ذلك أن يبتعد بنفسه عن مجرى الأحداث ، ولا لعاطفته الجياشة المتطلعة الى الحرية والعدل أن تقنع بمجلدات الطب والفلسفة والتاريخ التى كان يغرق نفسه فيها ليل نهار ٠

كانت البلاد الألمانية الممزقة ماتزال تئن تحت حكم أمراء يتمسكون بحقهم الالهى المطلق وكانت الوحدة الألمانية التى تمت بعد هزيمة نابليون وحدة فاسدة ، استطاعت حقاً أن تمنع الحروب بين الدويلات المتحدة ولكنها لم تستطع أن توطد دعائم السلام ٠ وكان الشباب يتوقون الى الحرية فى الداخل والخارج ، وشعارات الثورة الفرنسية لاتزال تصرخ فى آذانهم ٠ وشوقهم الى الحقوق المدنية وانصاف الطبقات المظلومة يؤرق نومهم ٠ كان دستور امارة هسن الكبرى ــ موطن بوشنر ــ الذى صدر فى عام ١٨٢٠ مجرد حبر على ورق ٠ لقد أوجد بالفعل مجلسا نيابيا ، ولكن حق الترشيح لعضوية هذا المجلس ظل مقصورا على ألف شخص فحسب من بين ٧٠ ألفا من رعايا الامارة ! وكانت أغلبية هؤلاء الألف من كبار الموظفين ،

والقادرين على دفع مائة « جولد » من الذهب على الأقل ضرائب كل عام · وهكذا كان من حقهم أن يفرضوا الضرائب ، ولكن لم يكن ينتظر منهم أن يعفوا الشــعب منها · ونشبت ثورة الفلاحين فى « سودل » من مقاطعة هسن العليا ، ولكنها سرعان ما أخمدت بقوة السلاح وتركت وراءها المرارة التى لا حد لها فى نفوس الشعب · وسوف يشير بوشنر الى هذه الحادثة فى بيانه الثورى فيما بعد حيث يقول : « ان الجنود يخرسون بطبولهم تنهداتكم ، وببنادقهم يمزقون رؤوسكم ، حين تجسرون على التفكير فى أنكم بشر أحرار · إنهم السفاحون الشرعيون ، الذين يحمون اللصوص الشرعيين · تذكروا ســودل ! ان اخــوتكم وأبنــاءكم قد قتلوا هناك آباءهم واخوتهم »(١) ·

كانت السنوات التى امتدت من ١٨١٥ الى ١٨٣٠ فى ألمانيا فى تلك الفترة التى تلت الحرب المريرة على نابليون ســنوات جوع وحرمان وقهر لجموع الفلاحين والعمال اليدويين · وكانوا يقفون فى جانب ، مثقلين بالضرائب ، مهددين بالعبودية والجوع ، بينما يقف الموظفون الأذلاء ورجال البلاط والعسكريون فى جانب آخر ، وكانت أخبار الظلم الذى يزداد عليهم يوما بعد يوم تصل الى بوشنر وهو يدرس فى شتراسبورج ثم وهو يواصل دراسته فى جيسن · ولم يكن من الممكن فى نطاق المدينة الجامعية الصغيرة ، وعيون الجواسيس تحيط بالطلبة من كل جانب ، أن يخفى سخطه على الأوضاع الظالمة فى بلاده ، وتطلعه الى العدالة واحترام الانســان فى ظل نظــام جمهورى حر ·

---

(١) راجع ان شئت تفصيل هذا فى كتابى « البلد البعيد » ، دار الكاتب العربى بالقاهرة ، ١٩٦٧ ص ١٣٦ ــ ١٤٦ ، فى مقال بعنوان « الرسول الثائر » ·

وبدأت شرارات الثورة تتجمع ، ثورة صـــغيرة بغير شك ، قوامها الطلبة والمتعلمون وبعض أساتذة المدارس والجامعات ، تقلق رجال البوليس أكثر مما تحرك مشاعر الشعب الذى كان لايكاد يعرف عنها شيئا · وكان بوشنر يشارك فى تمرد المثقفين دون أن يخفى سخطه عليهم وارتيابه فيهم · ذلك أنه لم يؤمن بثورة تأتى من أعلى ، وتردد شعارات الحرية والمساواة ، بينما الشعب محروم من حقوقه الأولية ، رازح تحت نير الجوع والظلم والوحشية · وكان لابد فى رأيه أن يرفع الحرمان المادى والظلم الاجتماعى عن الشعب قبل التفكير فى حقوقه الســـياسية · وهاهو ذا يعبر عن ذلك فى بيانه الثورى فيقول : « ان الضغط المادى الذى ينوء به جزء كبير من الشعب الألمانى يبعث على السخط والحزن مثله مثل الضغط الروحى · وليس من المؤلم فى نظرى أن لا يسمح لهذا المثقف أو ذاك بالتعبير عن أفكاره بقدر ما يؤلم حقا أن نجد آلاف الأسر لا تملك أن تسوى بطاطسها » · لقد كان كل همه أن يجد الانســـان يحترم فى وطن يحرره من الظلم والجوع والهوان ·

كان يعيش بقلبه مع الجائعين من العمال والفلاحين ، وينظر نظرة الشك والحذر الى مناقشات الأساتذة والمثقفين · وكانت أهم وسيلة لديه للوصول الى هؤلاء الفـلاحين هى طبع المنشـــورات وتوزيعها عليهم ·

ويكتب بيانه الثورى « رســـول هســـن » فى مارس من عام ١٨٣٤ ، ويساعده أستاذ اللاهوت « فيدج » على طبعه فى مطبعته السرية وتوزيعه بمعرفة أصـــدقائه ــ وان كان قد عدل فيه كثيرا ليخفف من لهجته الحادة ضد الأغنياء والمترفين ! · وألف فى الشهر نفسه جمعية سرية سماها « جمعية الحقوق الانسانية » ، مهمتها تنوير جماهير الشعب ورفع الحرمان المادى عنهم ، ولكن أنصار

الملكية وجماعات الطلبة ابتعدت عنها بل كادت تقاطعها حين طالب بوشنر أن يسمح لغير الجامعيين بالانضمام اليها · ولكنه أصـــر على طلبه ، ودخل فى جمعيته السرية الخباز والترزى وصبى الجزار الى جانب الطالب والأستاذ الجامعى ، وفى نفس العام ألف فى مسقط رأسه « دارمشتات » فرعا آخر لهذه الجماعة من المتمردين كانوا يجتمعون سرا ، ليتدارسوا شئونهم ، وينظموا دعايتهمبينالفلاحين، ويتمرنون على استخدام السلاح تمهيدا للثورة الشعبية الشاملة · ووزع منشور بوشنر الثورى بعد أسابيع طويلة من العمل فيه فما أكثر المتحذلقين الذين راحوا يعدلون فى أسلوبه ويخففون من لهجته !
وراح أعضاء الجماعة السرية يوزعونه فى حذر على الفلاحين ، ويلقونه تحت أبواب البيوت · واعتبرت السلطات حيازة المنشور خيانة عظمى حتى بلغ الأمر بكل من وجد منشورا تحت بابه أن يسلمه فى فزع الى رجال البوليس ، خوفا من التشريد والتعذيب والحبس الانفرادى · ويقبض على أحد أصدقاء بوشنر (منيجوروده) ومعه عدد كبير من نسخ البيان الثورى الرائع ، ويسرع بوشنر فى شجاعة نادرة بالسفر الى فرانكفورت وأوفنباخ ليحذر زملاءه · وتفتش غرفته فى غيابه ، فلا يجد البوليس شيئا يذكر ، اللهم الا مجموعة من رسائل خطيبته اليه كتبتها بالفرنسية فأخذوها معهم من باب الاحتياط ! وينتهى الفصل الدراسى الصيفى فيعود الى بيت أبويه ، اللذين ينصحهما الناس بابقاء المتمرد الشاب تحت رقابتهما فى فصل الشتاء أيضا ·

هكذا ضاع صدى البيان قبل أن يعلن صوته ، وتحطم السيف النارى قبل أن يثبت وجوده · لقد كان الضمير الاجتماعى فى ذلك العهد مايزال يغط فى نومه ، فبقى هذا الاحتجاج النبيل صرخة فى الفضاء ! وكان لدى الفلاحين من الصبر على الجوع أكثر مما كان يتوقع ، فلم يكن من المستطاع أن يعوا لغته المدعمة بالاحصاءات ،

وان فهموها فلم يكن من المستطاع أن يستجيبوا لها بالسرعة التى خيلها له حماس الشباب ٠

هاهو ذا يقول لهم : «اذهبوا يوما الى « دارمشتات » وانظروا كيف ينعم السادة هناك بأموالكم ، ثم أحكوا لأطفالكم ونسائكم الجياع كيف يوزع خبزهم على بطون الأجانب ٠ احكوا لهم عن الثياب الجميلة التى صبغوها بعرقهم ، والأشرطة المزخرفة التى فصلوها بشقوق أيديهم المتعبة احكوا لهم عن القصور الرائعة التى بنيت من عظام الشعب ثم انزووا فى أكواخكم المدخنة ، وأحنوا ظهوركم فى حقولكم الجرداء ليستطيع أطفالكم ذات يوم أن يذهبوا الى هناك ، حيث يجتمع ولى عهد مع ولية عهد لينجبا ولى عهد آخر ، وينظروا من وراء النوافذ ليروا ما يأكله السادة ، ويشموا رائحة المصابيح التى يشعلونها بلحم الفلاحين » كلمات واضحة ما كان يمكن أن تلتبس فى ذهن الفلاحين لو كتب لها أن تصل اليهم : « ستة ملايين « جولد » تدفعونها فى الامارة لحفنة من الناس وضعت حياتكم وأملاككم تحت رحمتهم ، مثلكم مثل غيركم فى بقية أجزاء ألمانيا الممزقة ٠ لستم شيئا ولا تملكون شيئا ٠ حقوقكم سلبت منكم ٠ ان عليكم أن تعطوا مايطلبه منكم مستغلوكم الذين لا يشبعون ، وأن تحملوا مايلقونه على أكتافهم ٠ افتحوا أعينكم وعدوا حفنة المستغلين الذين لا يستمدون قوتهم الا من الدم الذى يمتصونه من عروقكم ، والأذرع التى تعيرونها لهم وأنتم مسلوبو الارادة » ٠

وهكذا ضاعت دعوة « السلام للأكواخ ، والحرب على القصور » وصودر البيان قبل أن يصل الى الأيدى وقمعت الحركة الثورية ، واستيقظت روح الفنان فى نفس بوشنر الذى فر الى بيت أبويه فى شتاء ١٨٣٤/١٨٣٥ هربا من القبض عليه حيث كتب هناك فى شهرى يناير وفبراير مسرحيته الوحيدة التى أتمها قبل موته وهى « موت

دانتون » ـ وقد أثبت الباحثون أن خمسها على الأقل منقول بنصه من تواريخ الثورة الفرنسية (تييرومنييه) ـ وما كان قصده أن يمجد هذه الثورة بل أن يعبر عن فزعه من جبرية التاريخ ، وعدمية الوجود ، وتمزق البطـــل • ثم هرب فى فبراير سنة ١٨٣٥ الى شتراسبورج ، قبل صدور الأمر بالقبض عليه بقليل • ويواصـــل دراسة الطب هناك ، وحصل على شهادة الدكتوراه برسالة « عن الجهاز العظمى للأسماك » ويتابع الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشـــعبية « فويســـك » وملهاته الباكية « ليونس ولينا » ورائعته القصصية « لنس » عن مأساة شاعر حركة العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١ ـ ١٧٩٢) وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم •

* * *

يعد بوشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيلر • ان صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا أثر لها عنده فأبطاله يعانون مأساتهم ، وينحدرون الى هوة من العدم ، تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد خفية باطشة ، ويسحقهم قدر قاس مجهول • و « موت دانتون » تتألف من مشاهد مسرحية تأثر فيها بوشنر بفن شكسبير وجعل موضوعها رجل الثورة الفرنسية المشهور دانتون ، بطل حوادث القتل المشهورة فى سبتمبر ١٧٩٢ الذى ساقه زميله روبسبيير الى المقصلة فى ٥ أبريل عام ١٧٩٤ • وتدور أحداثها فى يومين اثنين معبرة عن احتقار دانتون لرعب الثورة التى جاءت لتحقق الحرية والمساواة فاذا بها تخضب يديها فى بحر من الدماء • ان دانتون بطل الثورة لم يعد بطلا • انه ينظر بغير اكتراث الى روبسبيير وهو يدفع به الى المقصلة ويشمئز من مشهد الدمـــاء المسفوكة والرؤوس المتســـاقطة ويسأل

« ماهذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ ! » لقد صار هاملت جديدا يخنق فكره ارادته : « مانحن الا دمى ، تشد خيوطها قوى مجهولة ، مانحن الا عدم · لسنا نحن أنفسنا ، بل السيوف التى تتصارع بها الأشباح ، لكن المرء لايستطيع أن يرى الأيدى التى تحركها ، كما فى حكايات الأطفال » · انه لم يعد يعرف مايريد ، أو هو بالأحرى لم يعد يريد شيئا ، اللهم الا الراحة الحقيقية فى القبر : « جولى ، أحبك كالقبر ، صدرك رمسى وقلبك تابوتى » ان الثورة عنده هى فوضى الجماهير ، وأبطالها هم السفاحون ، ويمر الزمن فتصبح الخدعة تاريخا · والمسرحية كلها تعبر عن مأســـاة الثورة ، كما تعبر عن خيبة أمل شاب حساس بعد اخفاق ثورته وثورة أمثاله فى تحطيم الطغيان الاقطاعى المستبد فى بلده ·

وأما قصته « لنس » فتشبه أن تكون دراسة سيكلوجية للعبقرى المجنون ، الذى أصبحت نفسه مسرحا تصـــطرع عليه قوى النور والظلام ، وتهوى على الدوام فى فراغ موحش يحيط بها من كل جانب ، وملل قاتل يسلبها كل معنى للحياة ، وعالم يضطرب لا تميز فيه الحلم من الحقيقة » · كان يقف الآن على حافة الهاوية ، تدفعه لذة مجنونة الى اعادة التطلع اليها مرة بعد مرة ، ومعاناة هذا العذاب من جديد » · ان العالم يضيق الخناق عليه حتى يكاد أن يختنق ويصرخ كالطفل المريض يريد أن يدفع بيديه جدران الأرض والسماء التى تكاد تســـحقه ، ويبعد عنه أشباح القلق التى تكتم أنفاســـــه · » ·

ومقياس الصدق الفنى عند « بشنر » ليس هو الفكرة المثالية المجردة ، بل العاطفة والشعور · « ولنس » يعبر عن رأى بشنر الأدبى خير تعبير : « اننى أطلب من كل شىء الحيـــاة وامكانية الوجود عندئذ أرضى عنها ، ليس لنا أن نسأل بعد ذلك ان كان

جميلا أو قبيحا • ان الشعور هو المقياس الوحيد فى مسائل الفن • غير أن هذا الشعور بالحياة يقابلنا نادرا ، اننا نجده عند شكسبير ، ونسمعه يتردد في الأغانى الشعبية ، كما نلمسه فى بعض الأحيان عند جوته • وكل ماعدا ذلك نستطيع أن نلقى به فى النار • ان هؤلاء الناس يعجزون عن تصوير حظيرة كلاب • أرادوا أن يصوروا شـــخصيات مثالية ، ولكن كل ما أراه منها أمامى ليس الا دمى خشبية • هذه المثالية هى أخس احتقار للطبيعة الانسانية » • ان بشـــنر يطالب الفنان بأن يغوص فى كيان كل موجود ، أن يترك الشخصية تخرج بنفسها الى الحياة ، فلا يحاول أن يحشرها فى قالب أو ينسخها على صورة نموذج محدد من قبل ، لا يختلج فيه نبض ، ولا يتردد نفس • و « ليونس ولينا » هى ملهاته الوحيدة التى يغلفها جو صاف من المرح الحزين والسخرية المريرة • انها تعبر عن انتصار الحب على الملل القاتل والخوف المتسلط من الموت والفناء •

وقد كتبت « ليونس ولينا » على أثر مسابقة أعلن عنها الناشر «كوتا» فى الثالث من شهر فبراير عام١٨٣٦ « لأفضل ملهاة ألمانية» وحدد لها موعدا ينتهى فى اليوم الأول من شـــهر يولية من نفس العام • كان نجاح مسرحيته « موت دانتون » قد منحه الشجاعة ، كما أعانته ترجماته لبعض مسرحيات فيكتور هيجو (لوكرتســـيا بورجا ـ وماريا تودور) على فهم الكثير من أسرار المسرح ، أجمل الفنون وأصعبها جميعا • وانتهى من كتابة ملهاته فى أسابيعقليلة من فصل الربيع • غير أنه تأخر فى ارسالها الى الناشر ، فوصلت بعد انتهاء موعد المسابقة بيومين ، وأعيدت له المخطوطة دون أن تفتح !

كتب بوشنر ملهاته وفى خياله نموذج للملهاة الرومانتيكية هو مسرحية « فون برنتانو » « ليونس دى ليون » التى كان قد اشترك

بها فى نفس المسابقة منذ سنوات عديدة ، وسقطت فى المسابقة . ومن يدرى ؟ لعله لم يكن أيضا يتوقع النجاح بقدر ما كان يريد أن يتحدى القدر !

والقراءة الأولى للمسرحية توحى بأنها مسرحية رومانتيكية تسيطر على فن الملهاة كما فهمه هؤلاء الرومانتيكيون وعبروا عنه بروحهم الشاعرية الحالمة . والواقع أن بشنر قد كتب المسرحية تحت تأثير قراءاته للرومانتيكيين الألمان من أمثال برنتانو ، وتيك وهوفمان وكاميسو والفرنسيين مثل فيكتور هيجو وألفريد دوموسيه . ولكن الواقع أيضا أنه أراد أن يتحرر من أحزانهم وأشواقهم ، ويكشف الرومانتيكى فى نفسه لكى يتخلص منه ، ويتجاوز عالمهم بالسخرية منه وبالتحدى له . هى مسرحية حالمة ، ولكنه الحلم الذى يفتش عن المعرفة ، وهى حلم شفاف ، ولكنه لاينسينا مرارة الواقع المفزع أبدا . انها من طراز مسرحيات الحلم : من حلم ليلة صيف لشكسبير الى لعبة الحلم أو الى دمشق لسترندبرج ومع ذلك فليس فيها مكان للمثاليين ولا للعاطفيين !

الحياة ملهاة ، ولكن هذه المعرفة لاتأتيه الا من معرفته بفناء الحياة وزوالها . واذا كان الانسان يشترك فى تمثيل هذه الملهاة فليس ذلك لأنه يسعده أن يشترك فيها ، بل لأن قدرا قاسيا قد كتب عليه ذلك . فعنصر الكوميديا ينمو من الجذور التراجيدية ، بل ان العنصر التراجيدى يصبح عن طريق العنصر الكوميدى سخرية مرة شاملة . وهذا ينطبق على الأمير « ليونس » الذى يشف شفافية النور ، ولكنه يكاد يقتل نفسه من طول التأمل فى نفسه ، مثله فى ذلك مثل دانتون ، البطل الذى شل تفكيره قدرته على الفعل .

ان ليونس أبيقورى من نوع عجيب . فهو يتلذذ بتعذيب نفسه ، ويستقطر الألم الكونى قطرة قطرة ، ويجد متعته فى حب يموت

كطفل رقيق شاحب مسجى فى تابوت ، قبل أن يجدها فى نعمة الحب الذى ينمو ويتفتح ويزدهر · انه يعشق نفسه ، أو بعبارة أصح يعشق أن يمتص الدم من جراحه ، أن يرى عواطفه تذبل وتتحلل ، أن يجد نفســه يترنح كالراقص على الحبل بين الحلم والواقع ، والوهم والحقيقة ، واللعب والجد · ان كل همه أن يوقف اللحظة الراهنة ليستمتع بها الى آخر قطرة · ولكن اللحظة تمر ، وتزيده احساسا بلوعة وعذاب المصير ، فيتأملها وكأنه يقول لها على لسان فاوست : تريثى قليلا فما أجملك !

هذا الاحساس بالحياة يظل يتأرجح بين متعة الخيال التى لا حد لها ، وبين خيبة الأمل التى يسببها السأم · والحياة تواصل عبثها ، يشدها الاحســاس الرومانتيكى الذى يموت من ناحية ، وتجذبها حقيقة الواقع الذى يتجرد من سحره من ناحية أخرى ·

ان الشخصيات لا تجد الفعل الذى تغوص فى لجته ولذلك فهى مهددة فى كل لحظة بالسقوط فى هوة الفراغ · انها ، على حد قول فاليريو ، كصفحة بيضاء كتب عليها فى كل لحظة أن تملأها بالكتابة · وتكاد الذات أن تتفرق وتتلاشى ، لولا أن النظرة الساخرة المبتعدة تجدد سخريتها من هذه الذات فى لحظات الملل وتجدد أيضا متعتها بعذابها ، ولولا نعمة الأســطورة التى تحقق الحلم فى النهاية ، وتخلص الانسان بالحب والسعادة من خوفه من الملل والعدم ·

وقصة هذه المسرحية بسيطة · فالأمير ليونس من مملكة بوبو قد أعلنت خطبته لأسباب سياسية على الأميرة « لينا » من مملكة « بيبى » · ولكن الأميرين لم يســبق لهما أن تلاقيا وجها لوجه · وليس فى امكانهما أن يشعرا بالحب نحو بعضهما البعض · ولذلك يلجآن الى الفرار من هذا الزواج الرسمى ، فيهرب ليونس فى صحبة

خادمه فاليريو (وما أشبهه بشخصية مضحك الملك) وتهرب ليذا في صحبة مربيتها · ولكن القدر يشاء أن يلتقى العروسان دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وأن يتحابا ويتفقا على الزواج · وكأن بشنر يريد بهذا أن يصور قدرية التاريخ على خشبة المسرح ، وأن يمسك بيديه تلك الخيوط التى تحركنا بها قوة مجهولة ، وكأننا دمى مسكينة فى يديها · ويعود الأمير ليونس الى مملكته بعد أن صمم على الزواج من حبيبته المجهولة ، ويقدمهما فاليريو الى البلاط كما يقدم « آلات حية » · المقدور اذن قد حدث · ويضطر الملك الذى لا يريد أن يؤجل احتفالات الزواج حتى لا يشغله ذلك عن تأملاته الفلسفية الى الموافقة على عقد زواج العروسين المقنعين · ثم لا يلبث أن يكتشف أنهما هما ولده وعروسه · وتنتهى الرواية نهاية سعيدة ، فيخلف ليونس أباه على العرش ، وترفرف السعادة والحكمة على المملكة التى لا يعيبها سوى أن اسمها هو بوبو !(٢) ·

ويلاحظ القارىء أن بشنر يسجل بهذه المسرحية ، فى اطار ساخر ، زهده فى السياسة ، وخيبة أمله فى الثورة على الاستبداد انه هنا يكرر ما قاله فى بيانه الثورى الفريد ، وان لم يقله بنفس اللهجة الجادة التى كادت تودى بحياته ·

أما عن مسرحية فويسك فان بطلها « السـلبى » يعد أول شخصية كادحة تحتل مكان الصدارة فى زمنها فى مسرحية عالمية · وقد استمد بشنر موضوعها من حكاية واقعية جرت حوادثها لجندى بسيط قتل زوجته لخيانتها له · وتسود المسرحية كلها روح الانهيار الكونى الشامل والفزع من ظلام العدم والقلق أمام المجهول ·

---

(٢) بوبو هى المقعدة ، كما أن بيبى ، اسم مملكة الأميرة ليذا ، هو عضو الذكورة عند الرجل ·

ان البطل هنا ، مثله مثـــل دانتون ، لا يقاوم ولا يتقدم الى الأمام ، بل يحنى رأسه للقدر المعتم ، لا عن ضعف ، بل عن بصيرة بعبث كل فعل وانتصار • ولما لم يكن هناك فعل ، فليس ثمة رد فعل له ، ولا مسرحية بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة • ان الفصل ينحل الى مشاهد منفصـــلة ، ومحاورات ذاتية (مونولوج) ، ولحظات خاطفة ، وليس ثمة خط يرتفع بالحدث أو يهبط به الى نهايته ، بل لوحات وصور مفككة ، ورعشات لا يجمعها غير التوتر المتصل • ولهذا يرى النقاد أنها تمثل خطوة هامة على طريق المسرح الملحمى الحديث(٣) • وفويسك قد وجد حقيقة كما قدمنا ، واختلف الأطباء الشرعيون فى قواه العقلية • كان يقول فى المحاكمة انه سمع أصواتا تناديه « اطعن ! اطعن ! » ليس هو الذى قتل اذا ، بل قوة مجهولة طاغية يعجز عن ادراك كنهها • وتقول القضية التى تستند اليها المسرحية ان صانع القبعات يوهان كرستيان فويسك طعن أرملة الجراح فوست البالغ عمرها ستة وأربعين عاما بسكين حادة ، وذلك فى اليوم الثالث من شهر يونية عام ١٨٢١ حوالى الساعة العاشرة مساء على عتبة مسكنها فى مدينة « ليبزج » • قتلها بدافع الغيرة • فقد كانت عشيقته ، وكان يعلم ان لها علاقة برجال آخرين ، وبالأخص بالضباط والجنود • وكانت قد وعدت أن تلقاه فى المساء ، ولكنها خرجت مع غيره ، مما دفعه الى الاقدام على جريمته • وأيا ما كانت تفاصيل القضية التى شغلت الرأى العام آنذاك فقد حكم على فويسك بالاعدام بالسيف ، ونفذ فيه الحكم علنا فى السابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٨٢٤ فى سوق ليبزج • ويحتمل أن تكون هذه القضية قد ظهرت فى محيط عائلة بشنر وربما تحدث فى شأنها مع

---

(٣) راجع لكاتب السطور : المسرح الملحمى ، سلسلة كتـابك ــ دار المعارف بالقاهرة •

أبيه الذى كان هو نفسه طبيبا وكان له رأيه فى المناقشـــات الطبية الطويلة التى دارت حول فويسك ومدى قدرته العقلية . المهم أن بشنر قد تذكر هذه الحادثة التى ظلت كامنة فى عقله الباطن أثناء دراسته فى شتراسبورج ، ووجد فى شـــخصية فويسك تعبيرا عن اقتناعه بالقدرية التى تسير الانسان وتلعب بمصيره وتسلبه ارادته .

وقد ظهرت المسرحيتان بعد موت بشـــنر المفاجىء بمرض التيفوس ولم يكد يتم أربعة وعشرين عاما من عمره .

* * *

مـــوت دانتـــون

تمهيد

كتب جورج بشنر مسرحية « موت دانتون » فى شتاء سنة ١٨٣٥ ، فى أيام معدودة لم تتجاوز شهرا · كان يريد أن يمول بها هروبه عبر الحدود الفرنسية الى مدينة شتراسبورج ، التى عاش فيها ودرس الطب من سنة ١٨٣١ الى ١٨٣٣ ، ليفلت من اضطهاد البوليس واستجواباته المستمرة · فقد ألف فى مدينة جيسن قبل ذلك ــ كما قدمت ــ فرعا لجمعية سرية سماها « جمعية حقوق الانسان » كما وضع منشوره الثورى الخطير الذى فتح عيون الشرطة عليه ، وحرمه الاستقرار فى بلده ·

تتالف « موت دانتون » ، مثلها فى ذلك مثل مسرحية« الجنود » للنس(١) من مشاهد صغيرة منفصلة تبلغ اثنين وثلاثين مشهدا ،

---

(١) ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١ ــ ١٧٩٢) يعد بحياته المضطربة وأدبه من أهم ممثلى حركة « العصف والاندفاع » التى استمرت =

يساعد بعضها على دفع الحدث ، ويخلق معظمها جو المسرحية العام الذى يشبه أن يكون قبرا مخيفا شاحب الضوء ، تتردد فيه الأصداء وتتجاوب ، وترقص الظــلال والأطياف ، ويحب الناس ويكرهون ويتعذبون ويخطبون ويقتلون ويجنون ويحاولون أن يعزوا أنفســهم عن قدر معتم محتـــوم يتربص بهم فى كل لحظة · واذا كان أحد معاصريه من رواد المسرح الواقعى الثائر وهو جرابه (Grabbe) (١٨٠١ ـ ١٨٣٦) قد قال عن مسرحه « ليكن هو العالم » فلعل هذا القول أن ينطبق على مسرح بشـــنر أكثر مما ينطبق عليه ، ولعل هذا قد حقق مالم يحققه صاحبه من معارضة للمســـرح المثالى ـ الكلاسيكى والمسرح الرومانتيكى ، وتصوير لنبض الانسان وعذابه وعالمه الباطن الدفين ، بعيدا عن قوالب الأشكال الفنية وقيود المذاهب الفكرية والفلسفية والاجتماعية ·

* * *

يبدأ الفصل الأول من المســـرحية بصالة لعب الورق ، حيث يحاول دانتون مع بعض رجال الثورة الفرنسية أن يطردوا السأم عن نفوسهم ·

وليس فى هذا المشهد مجال لتصوير الانفعال بالثورة ، فالحزن والكآبة والشلل الارادى يسيطر على جوه الثقيل ·

= فى الأدب الألمانى من حوالى سنة ١٧٦٧ الى سنة ١٧٨٥ وكانت كما يوحى اسمها ـ رد فعل للنزعة العقلية لحركة التنوير وتحريرا للعاطفة الجياشة والعبقرية الخلاقة · تميز انتاجه بالواقعية والثورة على الشكل المسرحى التقليدى والاهتمام بالنقدالاجتماعى وأثر تاثرا كبيرا على بشنر ·

اننا نسمع أصواتا مخنوقة كانت من قبل تجلجل فى الساحات وقاعات الاجتماعات ، كما نسمع أصوات نساء تحاول أن توقظ الحب وتلمس القلوب • وبين الشك والمرارة على لسان دانتون : (اننا نعرف القليل عن بعضنا البعض • نحن وحيدون جدا) وبين الكلمات المؤثرة على لسان جولى (أنت تعرفنى يادانتون) يدور الحوار فى هذا المشهد كما يتردد فى بقية مشاهد المسرحية حتى تصرخ لوسيل صـــرختها الأخيرة قبل أن ينتابها الجنون ويقتـادها الجنود الى مصيرها المحتوم • هذا التضاد المستمر فى الأفكار والمشـــاعر والعبارات شىء أكبر وأعمق من كل الاتجاهات والأشكال والأساليب الفنية • انه يعبر عن الصراع الكامن فى قلب بشنر نفسه ، ويصور كل ماشغل فكره وحرك عواطفه ويده بالكتابة •• وهو ماثل فى مسرحياته ورسائله ، وفى حياته ونشاطه السياسى والعلمى ، ممتد الى جذور كل ثورة سياسية أو أدبية حين تفهم على الوجه الصحيح ، « واقعى » الى الحد الذى لايمكن معه أن يوصف بالقدم أو الحداثة ، معبر عن أهون أحداث المســـرحية شأنا تعبيره عن أفظع الكوارث التاريخية • ويندر أن تجد كاتبا مثله استطاع أن يجد الكلمات التى تصور هذا كله بلا طموح أو ادعاء • ولعل هذا هو الجديد فى «موت دانتون » • ولعله أن يكون هو سر عظمتها وغرابتها فى وقت واحد • ذلك شىء يحس به القارىء ولا تنفع فى توضـــيحه الشــــروح والتحليلات • وما قيمة كل التفاصيل التاريخية والعلمية عن مكانة المســـرحية فى الأدب الألمانى والعالمى الى جانب هذا الاحســـاس الفريد ؟!

ومع ذلك فان هذا لايمنعنا من أن نسأل : كيف اســـتطاعت كلمات بشنر وعباراته ومشاهده أن تعبر عن هذا الاحساس ؟ كيف وصل الى ذلك بلا خطب طنانة ولا أنات باكية ؟ كيف استطاع أن يكتب عن حدث تاريخى ضخم كالثورة الفرنسية فلم يمجدها ولم

يندب حظها بل جعلها مناسبة ورمزا للتعبير عن عذاب الانسان بوجه عام وعن معنى وجوده فى التاريخ أو عبث هذا الوجود ؟ وبالجملة ، لابد أن نسأل أنفسنا كيف بنى بشنر مسرحيته ؟

لا نكاد نمضى قليلا فى قراءة المشهد الأول من المسرحية حتى نسمع كتائب الرعب والفزع الزاحفة ونحس أن دانتون « بطل » الثورة الذى أنقذها من أعدائها ذات يوم ، وكان مسئولا عن حوادث القتل المشهورة فى سبتمبر سنة ١٧٩٢ - لابد أن يتحرك ويفعل شيئا • ولكننا سرعان ما نحس كذلك أن « البطل » لم يعد بطلا بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة ، ولم يبق فيه شيء من الحماس والتزمت والجد الذى يحتاج اليه الثوار والسياسيون • ان كلماته تفيض أسى ومرارة وشكا • وفكره قد طغى على ارادته فأصبح نسخة أخرى من هاملت لا يجد فى نفسه القوة التى تحركه الى الفعل ، وان وجدها فلن يقتنع بها :

دانتون : يستطيع الانسان أن يقرض الشرفاء ، ويشهد حفلات التعميد لديهم ، ويزوج بناته لهم ، ولكن هذا هو كل شيء !

كاميل : مادمت تعرف هذا ، فلماذا بدأت الكفاح ؟

دانتون : لأننى أحسست بالاشمئزاز من أولئك الناس • لم أستطع أبدا أن أنظر الى أمثال « كاتو » المزيفين بغير أن أفكر فى ركلهم • تلك هى طبيعتى • (ينهض واقفا) •••

جولى : أتذهب ؟

دانتون : (لجولى) لابد أن أنصرف • انهم يثيرون أعصابى بسياستهم •

هذه المستويات المختلفة فى الحوار والأسلوب ، والتداخل المستمر بين كلام الخطباء والمشرعين ، وحديث الذات الى نفسها أو الى انسان قريب منها ، وأدوار المغنين المتسكعين فى الشوارع ، وبذاءات الغوغاء فى الحارات ، هو الذى جعل بشنر يكتب ذلك الحوار الذى لم يسبقه اليه كاتب مسرحى فى المانيا من قبل ، ويخلق المسرح الذى نستطيع أن نسميه بالمسرح « الواقعى » هذا اذا فهمنا الواقعية من خلال الحقيقة الانسانية الحية ، لا من خلال المذاهب والعقائد والنظريات ويأتى بعد هذا المشهد فى حجرة اللعب مشهد آخر فى الشارع بين سكير بائس وزوجته القوادة وبعض المتسكعين المخربين بترديد الشعارات ٠

والمشهد يفيض بالسخرية والألم معا ، ويصور اصطدام البطولة المهذبة بالوضاعة والتعاسة التى تسير حافية على أرض الطريق ٠

وبعد أن نعرف حكاية الزوجين البائسين وندرك التناقض الواضح بينهما وبين عالم الخطب والوعود والآمال ٠ نرى روبسبيير النزيه ، رجل الثورة العنيد ومحاميها الجسور ، بين طائفة من النساء والصعاليك ليبرز لنا هذا التناقض العجيب ٠ لقد جعل من نفسه اللسان الناطق بأفكار الثورة ، المدافع عن قسوتها وصرامتها ، كما وضع نفسه بعيدا عن التضاد القائم بين المتشكك العارف والعاطفى المخلص فأصبح تمثالا جامدا للفضيلة ، لا يؤثر عليه الضحك ولا البكاء ٠ ولكن هل ينتصر هذا الثائر الممل حقا أم يتحول الى ترس فى عجلة الثورة ، وأداة من أدوات القتل والبؤس والتعذيب ؟ الجواب على هذا يقدمه تاريخ الثورة الفرنسية نفسها ، كما يعطيه المشهد السادس من الفصل الأول ، الذى يلتقى فيه البطلان المشهوران ، ويحاول كل منهما ــ على الرغم من القناع الذى يضعه على وجهه ــ أن ينظر فى فؤاد صاحبه ٠

يقول دانتون لروبسبيير : « أليس فيك اذن شيء يهمس فى الخفاء قائلا : أنت تكذب ، تكذب ؟ « وعندما ينصرف دانتون نسمعه يقول لنفسه لست أدرى ما الذى يكذب فى صاحبه » انه يحاول أن يمزق القناع الذى فرضه على نفسه ، ويستمع الى قلبه الذى يهمس له بصوت خافت أنه بشر كغيره من البشر ، وأن وراء النظريات المجردة والقوانين القاسية « أنا » وحيدة لا يصح أن تذوب فى « النحن » المطلقة • ويمتد حديث روبسبيير مع نفسه حتى يكاد يتشكك فى فضيلته ، ويرتاب فى الشعارات والعبارات المحفوظة ، ويدرك أن الثورة قد أصبحت آلة تتحرك من تلقاء نفسها ، كما أصبح هو نفسه قائدها وضحيتها فى آن واحد •

انه يقف الآن أمام النافذة ، ويرى الأطياف تتحرك فى الليل ، والهواجس الدفينة تتجسد أمامه وتطالب بحقها فى الوجود : « الليل يغط فى نومه فوق الأرض ويلتف فى حلم موحش • أفكار وأمانى لانكاد نحس بها ، مضطربة وغامضة ، تتوارى خائفة من ضوء النهار ، تكتسى الآن شكلا ورداء » •

ولكن زميله سان جوست لا يلبث أن يوقظه من هذا الحلم ويعيده الى صحراء الخطط والأهداف ، وينبهه الى ضرورة التخلص من دانتون وأصدقائه • ويتعجله روبسبيير كأنه يحاول أن يهرب من هواجسه بأسرع مايستطيع : « اذن فأسرع ! غدا ! لا نريد صراعا طويلا مع الموت ! لقد اشتدت حساسيتى فى الأيام الأخيرة • المهم أن تسرع ! » وحين ينفرد بنفسه مرة أخرى لانسمعه يردد جملة محفوظة ، ولاندراه يشير الى دور المخلص الذى أحب دائما أن يناديه الناس به ، بل نسمعه يقول لنفسه فى لهجة من أسى، فهمه وانفض الأصحاب عنه : «ياحبيبى كاميل ! انهم جميعا يتركوننى • كل شيء حولى وحشة وخراب ــ اننى وحيد » ••

وفى الفصل الثانى نجد دانتون يتحرك الى الفعل ، على الرغم من كل مرارته وسأمه ونزعته الرواقية الزاهدة · ولكن هل سيتحرك حقا ، أم يكفى أن تشله عن الفعل عاطفة بسيطة تعبر عنها هذه الكلمات : « تعال ياولدى ! قلت لك انهم لن يجرؤوا » ؟ ان كاتبنا يعرف كيف يشكل الحدث ، أو بالأحرى مجموعة الأحداث والمواقف الخاطفة المنفصلة ليجعلها تصب جميعا فى حدث أكبر من الثورة الفرنسية نفسها ، سيظل قائما مابقى على الأرض انسان ان أصغر الأحداث وأبسط المواقف يصبح أهم من نظريات روبسبيير الثورية ، ومن خطبة دانتون التى يلقيها دفاعا عن نفسه · فمشهد لوسيل (حبيبة كاميل) فى النهاية وهى تهذى وحدها على درجات المقصلة أعمق تأثيرا من كل عبارات البطولة التى تفيض بها المسرحية · والحكايات الكثيرة المتداخلة ، والمشاهد القصيرة التى تضىء وتنطفىء كأنها أنوار أرجوحة تدور فى المهرجان ، وأغانى الشحاذين والمغنين المتسكعين ، كلها ترسم خلفية الحدث الأساسى ، وتحرك الحكاية الأصلية وتساعد على تشكيل الجو الضبابى العام للمسرحية ·· فلا نكاد نحس بان دانتون يريد أن يتحرك ويفعل شيئا حتى نسمع المغنى يقول :

خبرونى ·· خبرونى
مالذى يلقى الرجال
من نعيم أو هنـــاء ؟
من صباح لمســاء
بين هم وعنـــاء
وعـــذاب وشـــقاء

وتدخل أغنية الشحاذ أو بكائيته فتساعد على خلق هذا الجو القدرى الذح يبدو أن الشخصيات جميعا لن تستطيع الافلات منه ‧ (وقد تعلم الكاتبان قيديكند وبرتولت برشت كيف يستفيدان من هذه الأغانى فى داخل الحوار ، كما تبعهمـــا فى ذلك كثير من الكتاب المعاصرين) ‧‧

فالشحاذ يشكو الزمان ويقول :

يا أهل المروءة ، يا أهل الثـواب

ما بقى من الدنيا غير التراب !

وتتبع نتف متفرقة فى الحوار ، يعود الشـــحاذ بعدها الى الغناء :

على الأرض بختى وآخر نصيبى

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب !

وتتردد الأغنيات على هذا النحو فى بقية المشهد على لســان الشحاذين والمتسكعين والبغايا والجنود ‧ وفى المشهد الثالث يتحدث دانتون مع كاميل ولوسيل عن الفن ، ويرثون لحال الشعراء والكتاب والرسامين الذين يخلقون شخصيات جامدة مصطنعة لا تتوهج فيها شرارة الحياة ‧ وقبل أن يأتيهم خبر اعتزام لجنة الاصلاح القبض عليهم ، أى بين الحديث عن الفن ودوى الحدث التاريخى الهائل ، نسمع هذا الحوار البسيط يدور بين كاميل وحبيبته لوسيل بعد أن استدعى دانتون الى خارج الحجرة ‧

كاميـل : ماذا تقولين يالوسيل ؟

لوسيل : لا شيء . اننى أحب أن أنظر اليك وأنت تتكلم .

كاميـل : هل تسمعيننى أيضا ؟

لوسيل : بالطبع !

كاميـل : هل أنا على حق ؟ أتعرفين ماذا قلت ؟

لوسيل : لا . فى الحقيقة لا أعرف . (يعود دانتون)

وتتداخل المستويات المختلفة فى الحوار من جديد ، ويعود التضاد الذى عرفناه بين الشكاك المتعب الذى يقول : « نحن لانعرف الا القليل عن بعضنا البعض » وبين النغمة الوفية الصادقة فى سؤال الحبيبة : « هل تعرفنى ؟ » وتلهث الجمل وتتقطع ، وتدخل الأغانى والشتائم فى الحوار ، وتقوم الاشارة والايماءة الصامتة مقام الجملة الطويلة ، وتدوى الخطبة الفصيحة والشعارات المملة فى المحكمة ، وتنطلق الصيحات المجنونة من فم الزوجة والحبيبة ، وتتساقط الكلمات الشاعرة كالأوراق الذابلة ، ويعمل هذا كله على ابراز الطابع الفريد لهذه المسرحية التى ظلمها النقاد المعاصرون لبشنر واتهموها بأنها مجرد اعداد مسرحى للمصادر التاريخية . (وخمس المسرحية منقول بالفعل نقلا حرفيا من وثائق الثورة الفرنسية) حتى قدرها الباحثون المحدثون حق قدرها وعرفوا أن بشنر قد أعاد صياغة هذه المصادر التاريخية فى الشكل الفنى الذى يخدم غرضه وجعل منها رموزا معبرة عن وجدان الانسان أينما كان ، وتصوير ضحكه وحزنه وفرحه وموته .

ويأتى بعد ذلك مشهدان شهيران هما مشهد الخلاء والحجرة بالليل . ان دانتون يتعذب بذكرى حوادث القتل المشهورة فى شهر سبتمبر سنة ١٧٩٢ . ويزداد جو المسرحية اتساعا وقتامة ، وتتردد فيه أصداء الخواطر المرتعشة المفزوعة . وينتهى الفصل الثانى كله

باجتماع المجلس الوطنى بعد القبض على دانتون ، وبخطبة روبسبيير الرائعة المشهورة التى ستحدد مصير دانتون ٠

وندخل مع بداية الفصل الثالث الى سجن اللوكسمبورج ، فى قاعة معتمة كالقبر مزدحمة بالمساجين ٠ ولا نكاد نمضى قليلا مع أحاديثهم العدمية (التى نخطىء خطأ كبيرا لو تصورنا أنها تدعو الى الانكاد أو التجديف لأنها فى حقيقتها تعبير عن يأس بشنر لا عن انكاره للذات الالهية ، واحتجاج ينبع من حساسيته المفرطة لعذاب المخلوقات وفنائها المحتوم) حتى يدخل الحراس دانتون ولاكروا وكاميل وفيليبو ٠ ومن ناحية أخرى يعد زملاء روبسبيير لتنفيذ الحكم على دانتون ٠ ولانلبث أن نسمع دانتون فى المشهد الرابع من هذا الفصل وقد استعاد صوته المجلجل فى قاعة المحكمة ٠ غير أننا نعلم سـلفا أن الأوان قد فات ، وأن المؤامرة قد أحكمت خيوطها حول رقبته ٠ انه ينجح نجاحا مؤقتا (فى المشهد التاسع) فى كسب معظم الأصوات فى صفه ٠ غير أن هتاف الجماهير التى تميل مع كل ريح يخيب ذلك الأمل ٠ فهاهى ذى أصواتها تختم الفصل الثالث وهى تدوى كالرعد : يحيا روبسبيير ! يسقط دانتون ! يسقط الخائن !

* * *

لماذا فشلت الثورة الفرنسية ؟

لابد أن بشنر سأل نفسه هذا السؤال وهو يكتب مسرحيته ٠ ولابد أنه تأثر عند كتابتها بفشل الثورة التى شبت فى بلاده للقضاء على ظلم الارستقراطية والاقطاع ، وانعدام الوعى الثورى عند الألمان فى ذلك الحين ، سواء عند الفلاحين البائسين أو المثقفين المدعين

الذين كانوا لايملون من الكلام عن الحرية والحقوق الانسانية بينما ألوف الأطفال يموتون من الجوع · ولقد تصور بشـــنر ان الثورة الفرنسية تحطمت نتيجة الصــــدام بين رأيين يمثلهما روبسـبيير ودانتون · فالأول يعتقد أن الثورة لن تنجح حتى تقضى على جميع أعدائها ، وتنتشر حكم الرعب فى كل مكان · والثانى يرى أن الشعب لن يشبع من الدماء ، وأنه فى حاجة الى الطعام والملبس لا الى الرؤوس المتساقطة · ان الثورة يجب أن تكف عن افتراس أبنائها ليعيش كل فرد حياته ، ويستمتع بحاضره · احدهما يريد أن ينشر حكم الرعب والقانون والمقصلة ، والآخر يريد أن يوقف عربة الثورة أمام الماخــــور · وكان لابد للثورة أن تضــــيع بين هذين البطلين المتطرفين وتصبح لقمة سائغة فى فم طاغية أنانى مثل نابليون · وكان لابد لبشنر أيضا أن ييأس من الثورة ويفقد ايمانه بمعنى التاريخ ، فلم يكن هو ولا عصره قد أدركا مفهوم الثورة بمعناها العلمى ، ولم يكن فى استطاعتهما أن يعرفا أن الثورة لابد أن تغير من ظروف الانتاج وتعيد توزيع الثروات وتقضى على التناقض البشــــع بين الطبقات ، والا بقيت صرخة عالية ممزقة فى الهواء ·

* * *

ان بشنر ــ وهو فى هذا صادق مع نفسه الحساسة المتشائمة ــ لا يعتقد أن التاريخ يســـير نحو هدف معلوم ، ولايرى ــ كما رأى الكلاسيكيون من قبله ــ أنه يتطور تطورا عضويا مستمرا نحو آفاق حضارية أرقى وأوسع · فهو يرى الوقائع وحدها ، ويجد أن هذه الوقائع تقول عكس ماتقول به نظريات الكلاسيكيين · ولذلك فان

مسرحيته لا تسير الى هدف أو خاتمة ، سواء أكانت هذه الخاتمة نهاية سعيدة متخيلة ، أو كارثة شاملة تحرر النفس وتطهرها ٠

ان الفصل الرابع والأخير لا يأتى معه بالنهاية المنتظرة ٠ فهو لا يزيد على أن يكون أحد المشاهد العديدة التى رأيناها تدور مع أرجوحة الأحداث ٠ فنحن نعرف أن موت دانتون لم يحسم شيئا ، ولم ينقذ الثورة و لاالفضيلة ، وان روبسبيير لن يلبث بدوره أن يلقى نفس المصير ، تسقط رأســـه مع دورة هذه الأرجوحة الأبدية ٠ فالمسرحية نفسها تقول هذا ، على لسان كولو (فى المشهد السادس من الفصل الثالث) حين يهتف بأن حدم الثورة تسيل ، وبانه اذا كان روبســـبيير يريد أن يجعل من الثورة كرسى اعتراف فعليه أن يرقد عليه لا أن يقف فوقه ٠

هو اذن حدث غير انسانى أو حدث يتخطى حدود الانسانية ، ويسير فى طريقه دون أن يعبأ بعذاب الانسان ودمه ولحمه ونبضات قلبه ٠ انه يجرى الآن وسوف يتكرر على الدوام ويمتزج فيه اليأس بالعجز بالطموح بالارادة الطيبة ، ويجتمع فيه الذكاء والارادة التى عبر عنها دانتون حين قال : « نحن لانعرف الا القليل عن بعضنا البعض » مع الصدق والبراءة التى أجابته بها جولى المحبة الوفية « أنت تعرفنى » مثل هذه الخلجات تومض كالشرر تحت الخرائب أو كأنوار الفنارة فوق بحر مظلم ٠ انها تثبت وجودها على الرغم من كل شىء ، على الرغم من عجزها وضعفها بين الصيحات المدعية الغاضبة ، والنظريات المجردة والشعارات المكررة التى تلبس مسوح القداسة ، وأصوات الجماهير التى تندفع مع كل ريح وتميل بسذاجتها وضعف بصيرتها وغلبة الشـــهوات عليها مع كل مجداف ٠ هذه الخلجات البسيطة شىء لاينبغى أن نطمسه أو نخرسه ٠ انه أعظم مافى الانسان وأصدق ما يدل على وجوده ٠ ولو أخرسناه وطمسناه فى سبيل النظريات والشعارات فماذا يبقى من الانسان ؟! وليس من

قبيل الصدفة أن لا يبدأ هذا الفصل الرابع بحدث سياسى بل بمشهد بسيط ترسل فيه جولى ولدها الى دانتون ومعه خصلة شعر ، علامة على أنها ستموت معه : « اذهب ! أعرف اننى رأيته لآخر مرة . قل له اننى لا أستطيع أن أراه وهو فى هذه الحال . (تعطيه خصلة من الشعر) خذ . أعطه هذه الخصلة وقل له انه لن يذهب وحده الى هناك . انه يفهم ما أريد . »

وبداية هذا الفصل ونهايته لا تربطهما صلة مباشرة بالأحداث السياسية الجارية بل يصوران « الحدث الأكبر » الذى أشرت اليه فى بداية هذا الكلام ، وقلت انه سيظل يجرى ويتكرر ما بقى على الأرض انسان . وتصل المسرحية الى ذروتها فى مشهد «الكونسييرجرى » الذى يصور ذلك الحدث الأكبر كما يعبر عن وحدة الفرد وعن نجاحه فى بعض اللحظات فى أن يخرج من هذه الوحدة ويتحسس فى الظلام طريقه الى قلب جاره . وقبل أن نصل الى الذروة التى تحدثنا عنها، يقابلنا مشهد بين كاميل ولوسيل ، يكاد أن يكون مشهدا سيرياليا (المشهد الرابع ـ الفصل الثالث) « لوسيل (تظهر على المسرح وتجلس على حجر تحت نافذة المساجين) كاميل ! كاميل ! (كاميل يظهر فى النافذة) اسمع ياكاميل . أنت تضحكنى بهذا الرداء الطويل الضخم والقناع الحديدى على وجهك . ألا تستطيع أن تنحنى ؟ أين ذراعاك ؟ ـ أريد أن أصيدك ، ياعصفورى العزيز » .

وتنبض هذه الخلجات المؤثرة قبل أن نصل الى الذروة التى أشرنا اليها قبل نهاية المشهد الخامس من الفصل الرابع . فهاهم المساجين يشتركون فى حديث واحد هو فى حقيقته مونولوج طويل موزع على فيليبو ودانتون وهيرو وكاميل ، يجأرن فيه بالشكوى من قوة غيبية مسيطرة . انهم فى الحقيقة لا يجدفون ، ولكنهم فى يأسهم يصرخون . ويدخل السجان ليقتادهم الى العربة التى ستنقلهم الى

ساحة الاعدام ، فيشعرون بأنهم قد اقتربوا من بعضهم البعض أكثر من أى وقت مضى · ان فيليبو يقول لأصحابه : « تصبحون على خير يا أصدقاء ! فلنسحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون ، اللحاف الذى تتوقف تحته كل القلوب وتغمض كل العيون » ·

ويعانق المساجين بعضهم البعض ، ويتأبط هيرو ذراع زميله كاميل وهو يقول له : « افرح ياكاميل ، فسوف تكون ليلتنا جميلة »· ثم ينتهى مشهد الاعدام بموت جولى الذى تؤكد به قربها من دانتون وبموت لوسيل الذى تثبت به وفاءها لكاميل ·

ولكن لنتأمل معا هذا المشهد الخامس عن قرب ·· فهاهم أولاء أصدقاء دانتون قد شلت ارادتهم عن الفعل ودخلوا معه بين فكى الثورة التى ســـتفترسهم بعد لحظات ، وغابوا فى تلك الطاحونة الكبرى التى ستطحنهم كما طحنت سواهم · انهم يسألون الآن عن معنى الوجود أو عبثه ، عن حقيقته أو باطله ، كما يبحثون عن شىء لعلهم يصلون اليه فى الظلام · ويمضون فى حديثهم فيمزقون كل قناع ، ويتحررون من كل الأوهام · ونسمع كلماتهم الجادة المخيفة التى لاتحاول أن تحل تناقض الوجود بالابتسامة الساخرة المريرة ، ولا تستعير من التراجيديا القديمة ذلك الانفعال البطولى والهائل ، بل تخلق لنفسها نوعا جديدا من الانفعال الأليم ·

ان هيرو يكشف القناع عن اللعبة الخالدة ، لا بالســـخرية الحادة أو العبارات الطنانة ، بل فى نغمة تفيض بالجد والتعاسة · وكاميل هذا الشاب الجميل الذى يحب الجمال فى كل شىء — يلجأ الى الاستعارة والتشبيه الجديرين بفنان مثله · ودانتون ينزع عنه دور بطل الثورة الذى تعب من تمثيله ويتحدث بغير صيغ محفوظة أو أشكال جاهزة فتكاد عباراته أن تتحول الى دقات مطرقة : عندما

يأتى اليوم الذى يفتح فيه التاريخ قبوره ، فسوف يختنق الاستبداد من رائحة جثثنا « أو حين يقول : «العالم هو الفوضى والعماء» ولكن فيليبو هو الوحيد الذى يصر على تعزيه نفســه وأصـــحابه بهذا التجانس والانسجام الأبدى الذى يؤمن بوجوده : « افرح ياكاميل فسوف تكون ليلتنا جميلة » ، « فلنسحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون » انه وهو على حافة الموت لايزال يملأ عينيه من الخطوط الالهية الرائعة ولايزال يعتقد أن هناك آذانا ينسكب فيها الصراخ والعويل كأنه لحن منسجم · أما هيرو فيفضح ذلك الوهم القديم الذى يجعل البطل يتعزى بالتاريخ ، ظنا منه أن الأجيال المقبلة هى التى ستنصفه : « انها عبارات محفوظة للأجيال المقبلة · أليس كذلك يا دانتون ؟ انها لا تعنينا فى شىء » ماذا بقى اذن للمعزين ؟ لم يبق أمامهم الا أن يلتصقوا ببعضهم البعض ويصرخوا · فليس هناك أغبى من أن يطبق الانسان فمه بينما يضنيه الألم ·

وأما كاميل فهو يخلق صورة بعد صورة ، يفضح بها الأقنعة التى يرتديها الانسان فى أعماله وأتعابه وهو فى الحقيقة يفتح فمه متصنعا الفرح ، ويصبغ وجهه باللون الأحمر · ان علينا أن ننزع الأقنعة ، كل الأقنعة · ان الفروق بيننا ليست بالقدر الذى نتصوره · ونحن جميعا أوغاد وملائكة ، أغبياء وعباقرة ، وكل هذا فى وقت واحد · العناصر الأساسية فى وجودنا تختفى وراء الأصباغ المعقدة ولكنها فى صميمها واحدة · فالأرجوحة الأبدية تدور ولا تكف عن الدوران ، والحياة تنقضى بين نوم وهضم وانجاب أطفال ، وما الخلافات التى نتوهمها الا متنوعات على لحن واحد · والطموح ، والبطولة ، والعبقرية ، وتكلف الظرف كلها أقنعة فارغة · فنحن فى الحقيقة موسيقيون مساكين ، وأجسامنا كما يقول دانتون هى الآلات التى نعزف عليها أنغامنا المملة المتشابهة · ولا حقيقة لشىء خلف هذا كله الا للألم والعذاب · فلنصرخ اذن ولذبك كما ينبغى لنا !

لا بل ان هذا الصراخ نفسه لا يعدم من يعريه ويكشف عنه القناع • فهيرو يقول ان الاغريق والآلهة قد صرخت ، بينما ادعى الرومان والرواقيون البطولة والصبر • ومع ذلك فليس هذا الصراخ نفســـه الا نوعا من التلذذ الأبيقورى الذى يحاول الانسان ان يريح به ذاته علينا اذن أن نمضى فى كشف كل الأقنعة ، وأنْ نعرى الانسان من أوراق الغار وأكاليل الورد وأوراق العنب !

وهذا الألم الذى نريد أن نصرخ به يصبح ضـــحكات تتردد أصداؤها فى فراغ العدم • ويضحك الآلهة على هذا « اللعب الملون لصراع الموت » ، وكأننا ، كما يقول كاميل ، أسماك ذهبية على موائد الآلهة • وتموت الأسماك الى الأبد ، وتضـــحك الآلهة الى الأبد • لم تفلح البطولة اذن بقناعها الحجرى المتكلف ، ولم تنجح صور الانسجام ولا « الخطوط الالهية العظيمة » التى جاء بها فيليبو أن تجلب العزاء فى موقف يصعب فيه كل عزاء • وهاهوذا دانتون يتدخل فى هذا المونولوج الطويل بهذه الصورة الكونية البشعة عن الضحك الأبدى من عذاب البشر • انهم خنازير تجلد حتى الموت لكى يلذ طعمها فى أفواه الملوك والأمراء ، وأطفال يشويهم الاله السامى الرهيب « مولوخ ويدغدغهم بأشعة الضـــــوء لكى يسعد الآلهة بضحكاتهم الأليمة ، وأســـماك ذهبية تموت أبدا على موائد الالهة المباركين ، فيضحك الآلهة أبدا على صـــراعهم المميت • ويلخص دانتون هذه الصور المخيفة فى عبارة واحدة تقول ان العالم هو العماء • والعدم هو اله الكون • ويأتى السجان فيعلن أن العربات تنتظرهم أمام الباب ، وتهبط هذه الصور الكونية فجأة الى مجال الانسان وعلاقته الحميمة بالانسان • ويعانق الأصدقاء بعضهم • ويمسك هيرو بذراع كاميل ويقول له : افرح ياكاميل • ستكون ليلتنا جميلة ويحاول المساجين أن يواجهوا قدرهم وقد رفعوا الأقنعة عن وجوههم • يكتسب كل شىء وجهه البشرى • حتى صفحة السماء

وعليها خيالات الالهة الشاحبة تبدو الآن فى صورة بشرية · وتختلج القلوب بالنبض الانسانى فتحجب صورة « البشـــر الذين يموتون كالأسماك الملونة فى أطباق الالهة الضاحكين ، كما تخفف من بشاعة هذه الضحكات التى كادت تخنق صرخات الألم · وحين يقبل السجان ويعلن فى كلمة موجزة : « أيها السادة · تستطيعون الآن أن ترحلوا » بعمق احساسنا بألم الانسان ، فنزداد منه قربا وبه انفعالا · ويبقى الفرد ، على الرغم من كل عزاء ، وحيدا مع عذابه · مامن شيء يخفف عنه هذا العذاب لا العبارات المحفوظة التى قصدت بها الأجيال القادمة ، ولا الوجوه المتحجرة التى تتصـــنع البطولة أو تتكلف الابتسام أو تصرخ للتلذذ بصـــوتها ، ولا الخطوط الالهية العظيمة وآيات التجانس والانســـجام فى الكون ، ولا حتى القاء النفس بين أحضان العدم ان الانسان يظل وحيدا مع ألمه · ولكن هناك نغمة طيبة تتسلل الى هذه الوحدة الشقية المعتمة وتتجاوز ضحكات البشـــر والآلهة لتشد « الأنا » الى « الأنت » وتجمع بين الانسان وأخيه فى العذاب بصوت هادىء هامس : « تصبحون على خير يا أصدقاء » أو فى صوت يحاول أن يكون مرحا : « افرح يا كاميل ، فستكون ليلتنا جميلة ! » وليس هذا هو الموضـــع الوحيد الذى تصلنا فيه هذه النبضات البسيطة · فنحن نسمعها قبل هذا المشهد بقليل على لسان لوسيل المجنونة وهى تغنى أمام نافذة حبيبها : تعال ! ·· تعال ياصديقى ! اطلع على السلالم بهدوء ، فهم جميعا نائمون ·· » وفى كلمات كاميل المشغول بمصير لوسيل بعده :

« كان الجنون يطل من عينيها ·· » ، « لتساعدها السماء على العثور على فكرة ثابتة مريحة » ·

ونظل نستمع الى هذا الصوت الحميم العارى من كل قناع ، الذى لا تحجبه عنا الضحكات المجنونة ، ولا الصرخات المتألمة ،

ولا الضجيج المنبعث من دوران الأرجوحة الأبدية ٠٠ ان جولى تموت وهى تفكر فى دانتون : « لا أريد أن أتركه ينتظرنى لحظة واحدة » ٠ ولوسيل تهتف أمام نافذة السجن : « تعال ! تعال ياعصـــفورى العزيز » ٠ وعلى المقصلة يتكرر الصوت النقى الذى استطاع أن يتخلص من كل قناع ٠ فكاميل يختم دعاباته مع سائق العربة التى تقودهم الى ساحة الاعدام بقوله لدانتون : « الوداع يادانتون ! » وحين يقول لاكروا فى صوت لازال يحتفظ بأثر من آثار البطولة : « ستكسر رقاب الطغاة فوق قبورنا » ، يداعبه هيرو وينزع عنه هذا القناع الأخير بقوله : « انه يحسب جثته مزبلة الثورة ! » ولا تفلح كلمة فيليبو : « اننى أسامحكم وأرجو الا تكون ساعتكم أمر من ساعتى » فى احداث الأثر الانسانى الذى كانت ترجوه ٠ ولا يجد فابر ما يقوله خيرا من هذه الكلمة : « وداعا يادانتون ! اننى أموت مرتين » ٠

ويقول هيرو : « آه يادانتون ! لقد أصبحت عاجزا عن اخراج نكتة واحدة » ٠ ويحاول أن يعانق دانتون فيدفعه الجلاد بعنف فيقول له دانتون آخر كلمة نسمعها على المقصلة : « أتريد أن تكون أقسى من الموت ؟ أيمكنك أن تمنع رؤوســنا من تقبيل بعضـــها فى قاع السلة ؟! »

كلمات لا تذكر شيئا عن التاريخ ، ولا البطولة ، ولا الطغاة ، ولا الفضيلة ، ولا العدم ٠ انها لا تحاول أن تسخر أو تتألم أو تضحك أو تبكى ، بل تعبر للمرة الأخيرة عن هذه النغمة الهادئة التى تتسلل الى القلب ، وتربط بين الانسان وأخيه الانسان برباط العذاب ، وهو أول وآخر ما يتعلمه الانسان من مواجهة الحقيقة والمصير ٠ انها النغمة التى تأتى على لســــان هيرو وهو يمد يده ليلمس ذراع صاحبه : افرح ياكاميل ٠ ستكون ليلتنا جميلة ٠٠٠

هذه المشاهد الأخيرة من مسرحية « موت دانتون » ليست فى صميمها اذن سوى حوار ذاتى أو مناجاة (مونولوج) متصل يتحدث به بشنر الى نفسه ، وان كان يوزع عباراته على الشخصيات المختلفة صحيح أننا نجد خطبا عديدة ألقيت بنصها فى زمن الثورة الفرنسية، كما نجد مستويات مختلفة من الكلام على ألسنة الشحاذين والمغنين والبغايا والجنود والزوجات والمتسكعين فى الشوارع والحارات « وأبطال » الثورة أنفسهم ، تمر الى جانب بعضها البعض فلاتكاد تتلاقى أو تلتحم الا فى لحظات قليلة يبلغ الحدث الانسانى فيها ذروته .. ولكن المهم أن القاعدة الأساسية والخلفية الدائمة لكل هذه المستويات التعبيرية المختلفة هى احساس بشنر بشقاء الانسان وعذاب الخليقة .

انه فى نظره كالدمية المسكينة التى تحرك خيوطها يد مجهولة، ويتحكم فى مصيرها قدر مجهول ، يجبرها على أن تظهر فترة على المسرح فتضحك أو تبكى أو تدعى البطولة أو تبحث عن دور تقوم بتمثيله . ولكن مهمته أن يعريها من ثيابها المزركشة ، وينزع عنها جميع الأقنعة . ويبرزها فى وحدتها وعريها وصفائها .

ان دانتون يعبر عن ذلك حين يقول « ما نحن الا دمى » تشد خيوطها قوى مجهولة . عدم نحن . ما نحن الا عدم . سيوف تتصارع بها الأشباح - غير أن الانسان لايرى الأيدى التى تحركها ، كما يحدث فى الخرافات تماما » .

والسطور التى يقولها بشنر على لسان دانتون أيضا عن الموسيقيين المساكين وعن صرخة الموت الالهية التى تعزف على أجسامهم لكى تصعد الى آذان السماء وتخمد شيئا فشيئا لتموت هناك ، ليست كذلك الا تعبيرا عن هذا الاحساس بالعذاب المقدور . وبشنر يردد هذه الفكرة نفسها فى احدى رسائله الى خطيبته (وقد

كتبها من مدينة جيسن فى شـــهر مارس سنة ١٨٣٤) آه ، نحن الموسيقيون المساكين الذين نرفع أصواتنا بالصراخ ! ألا نئن ونشنج على آلات تعذيبنا الا لكى ينفذ النشيج من شقوق السحب ويظل يتردد كالنغمة الهامسة حتى يموت فى آذان الســماء ؟ .. اننى لا أجدف . ولكن الناس هم الذين يجدفون . ومع ذلك أرانى وقد لقيت جزائى . فأنا أخاف من صوتى ،وأخاف من مرآتى » انه يريد أن يكشف عن جوهر هذا الانسان ، ويصل الى حقيقته الملموسة وراء الأقنعة والأشكال والتقاليد .

وكما حطم الشكل المسرحى التقليدى فى كتاباته ، ولجأ الى ما يسمى الآن بالشكل الدرامى المفتوح والمشاهد الملحمية المستقلة كأنها الوحدات الفردة (المونادات) التى تحدث عنها ليبنتز ، وملأ لغته بالنغم والايقاع والصور الشعرية الحية والجمل المتقطعة اللاهثة والايماءات الصامتة والحركات والاشارات والأغانى الشعبية متأثرا فى ذلك بعض التأثر بشكسبير وجوته ولنس وشيلر ، فقد أراد كذلك أن يحرر الانسان بقسوة من كل القوالب والأشكال المفروضة عليه ، ليصل الى الانسان الخالص فى عريه وبؤسه وبراءته . هناك يستطيع أن يحب ذلك الانسان لأنه يتعذب ، ويقترب منه لأنه أخوه وشريكه فى المصير المحتوم ، ويلعن معه كل النظريات المجـــردة والقوالب الجامدة والتقاليد البالية التى وضعوه فيها كما وضع أوزيريس فى التابوت ، فحرموه من السعادة باللحظة الحاضرة ، وأطفأوا الشرارة المضيئة التى أودعها الخالق فيه . وهناك أيضا سيلعن الارستقراطية التى هى « أبشع احتقار مخز للروح المقدس فى الانسان » ويسخر من ذلك الركام الميت الذى يسمى بالعلم ، والغرور الكاذب الذى يدعى بالبطولة والغنى الفاحش الذى يذل الناس ويجيـــع الأطفال . ان ما يحزنه أو يضحكه فى آن واحد كما يقول فى احدى رسائله الى

أسرته (بتاريخ فبراير ١٨٣٤) ، ليس هو حالة الانسان بل مجرد أنه انسان ، وهو أمر لا حيلة له فيه ،وهذا هو الذى يجعله يضحك أو يبكى لأنه انسان مثله يشاركه نفس المصير • فهو يشعر أنه ينسحق تحت أقدام القدرية التاريخية المقيتة ، كما يقول فى خطاب آخر الى خطيبته • ليس الفرد عنده الا زبدا يطفو على الموج ، وليست العظمة غير عرض زائل ، ولا العبقرية سوى لعب بالدمى ، وصراع مضحك مع قانون حديدى أقصى ما يطمح اليه الانسان أن يعرفه وان كان من المستحيل عليه أن يتحكم فيه •

* * *

أهى العدمية اذن ؟

ان الكلمة تتردد كثيرا فى كتابات بشنر ، ولكن من الخطأ أن نصفه بها أو نجعلها عنوانا على اتجاهه فى الفن والحياة ، بل أن من الخطأ والظلم أيضا أن نقيده باحدى هذه المدارس الكثيرة التى نلغو بذكرها ليل نهار • ذلك أن بشنر ، كما أشرت من قبل ، هو الأب الحقيقى للمسرح الحديث بتياراته وأساليبه المختلفة • وهو كذلك بكفاحه الثورى فى سبيل المظلومين والجائعين والمقهورين والمستغلين ، أحد رواد الاشتراكية فى بلاده •• ولكننا لن نستطيع الاقتراب من قلبه حتى نتخلص من كل النعوت والأسماء التى تصف مسرحه بأنه واقعى أو طبيعى أو اشتراكى أو عدمى أو ملحمى أو غنائى أو شاعرى •• الخ •• حقا ان مسرحه يجمع بين هذه الاتجاهات ، ولكنه أكبر وأعمق وأشد تعقيدا من هذا كله • واذا أردنا أن نعرف حقيقته فلابد من السير على طريق المفارقة والتضاد

ولابد من البحث عنها فى عذاب الخليقة الغانية وومضة الحياة فى كل كائن حى مهما صغر شأنه ..

* * *

لا أحب أن أختم هذه المقدمة قبل أن أشير ببضع كلمات الى ماسوف يلاحظه القارىء فى لغة هذه المسرحية وشخصياتها . فهناك تعبيرات وتشبيهات لابد أنها ستصدمه أو تفزعه . وفى بعض ألفاظها غلظة وقسوة وتلميح أو تصريح قد يستهجنه ويرفضه . وأنا لا أحاول تبريرها أو الاعتذار عنها ، فالفن كما يعلم القارىء لاشأن له بالأخلاق - اللهم الا فى غايته الأخيرة وتأثيره النهائى غير المباشر . والفنان لا يكتب ليؤيد الفضيلة أو يحارب الرذيلة . ولكننى سـأكتفى هنا بتكرار ما أشرت اليه مرارا فى الهوامش والتعليقات على النص ، من أن بشنر لا يقصد الألفاظ النابية أو التعبيرات الغليظة لذاتها ، بل بقدر ما تصور الشخصيات وتعيد خلق العصر ، وترسم لوحة تعبر فى صدق عن تلك السنين المضطربة التى عاشتها فرنسا فى ثورتها الانسانية الكبرى . وقد لقيت المسرحية عند ظهورها فى سنة ١٨٣٥ فى مدينة فرانكفورت (لدى الناشر زوارلندر) معارضة شديدة ، وارتفعت أصوات تستنكر ماتصورته فيها من خروج أو الحاد . أجاب بشنر على هذه الاحتجاجات فى خطاب أرسله الى أبويه فى شهر يولية من تلك السنة وقال فيه أن الكاتب المسرحى فى نظره ليس الا مؤرخاً وان كان يتفوق على هذا فى أنه يعيد خلق التاريخ ، ويضعنا مباشرة فى حياة العصر ، ويقدم لنا بدل الأوصاف شخصيات حية .. ان من أهم واجبات الكاتب المسرحى أن يقترب من واقع التاريخ ما أمكنه ذلك ، بحث لاتكون كتابته عنه أقل أو اكثر

أخلاقية مما هو عليه فى الحقيقة • ولم يخلق الله التاريخ لكى تتسلى الفتيات بقراءته • فاذا لام أحد الكاتب لاختياره هذه المادة أو تلك فلابد عندئذ أن نلقى بأعظم نفائس الأدب فى البحر •

ويواصل بشنر دفاعه عن مسرحيته ونظريته فى الفن والكتابة فى خطاب متأخر فيقول انه يرسم شخصياته بالطريقة التى يعتقد أنها تناسب الطبيعة والتاريخ ويسخر بمن يحاولون أن يحملوه مسئولية اتفاقها مع قواعد الأخلاق أو خروجها عليها • وربما سارع القارىء باتهام المؤلف بالانكار ، وربما سخط على المشهد الأول من الفصل الثالث بوجه خاص • غير أنه يعلم بغير شك أن الآراء التى ترد على ألسنة الشخصيات المسرحية لا يتحتم أن تكون هى آراء المؤلف ــ ولا المترجم بالطبع ! ــ كما أن اغفال هذا المشهد أو اســـــقاط بعض العبارات من نص عالمى معترف به فى كل اللغات والآداب شىء لا يصح أن نقدم عليه • فاذا وجدنا أنه يخالف تقاليدنا أو عقيدتنا ، أمكننا دائما أن نعلق عليه أو نبحث عن مبرراته ، دون مساس بالنص الأصلى الذى ينبغى أن تكون له حرمته • ولست أدافع عن المؤلف اذا قلت اننى لم أجد فى كل ما قرأت له أو عنه مايشكك فى عقيدته • بل لقد وجدت على العكس من ذلك أنه مؤمن صادق الايمان وانه اذا كان يثور على الألم ويكفر بالعذاب الذى يقاسيه الانسان فى هذه الحياة وتقاسيه الخليقة معه ، فلأنه يجد أن هذا الألم والعذاب هو الطريق الوحيد للوصول الى الله • ولقد عبر كثيرا عن هذا المعنى فى خطاباته الى أبويه ، كما قال قبل موته المفاجىء بيومين : « ليس لدينا الكثير من الآلام ، بل أن ما لدينا منها جد قليل ، لأننا لا نتصل بالله الا عن طريق الألم » • كما قال أيضا فيما تشــــهد به كارولينه شولس وهى السيدة الطيبة التى سجلت أخبار مرضه الأخير يوما بيوم : « نحن نموت ، وتراب ، ورماد فكيف يجوز لنا أن نشكو ؟ » وليست القضية فى نهاية الأمر قضية مؤلف أو مسرحية ــ مضى

على صدورها اكثر من مائة وثلاثين عاما ! ـ بل هى قضية تتصل بنظرتنا للفن ، ووزنه بميزان الصدق والعمق ، لا بميزان اللوائح والقوانين ٠

* * *

ملحوظة :

رجعت فى هذه الترجمة الى النص الذى حققه ونشره فرتز برجمان فى دار « انزل » سنة ١٩٥٨ كما استفدت فى كتابة المقدمة بالبحث الذى نشره الشاعرالعالمفالترهوللرر (Walter Höllerer) عن موت دانتون فى المجلد الثانى من كتاب « الدراما الألمانية » الذى أشرف عليه ونشره العلامة بنوفون فيزه ٠٠ (Benns Von Wiese) وبكتاب الأخير عن التراجيديا الألمانية من ليسنج الى هيبل) ٠

اما عن الترجمة فلابد من الاعـــتراف بأن بعض المقطوعات الشعرية فرضت نفسها على فوجدتنى أترجمها بالعامية ، تجاوبا مع الروح الشعبية التى تسرى فى كل أعمال بشنر ، وبخاصـــة فى مسرحية « فويسك » ٠ وقد أوردت النص الحرفى لهذه المقطوعات فى الهامش باللغة الفصحى ، مراعاة لحق اخوتنا من القراء فى البلاد العربية الشـــقيقة ، الذين قد يتعذر عليهم فهم بعض كلمات اللهجة المصرية ٠

هذا ويجب الا ننسى أن بشنر قد ترك مسرحيته فويسك بغير أن يتمها ٠ والنقاد والدارسون يختلفون حتى اليوم فى المشهد الذى

يناسب الخاتمة ، كما يختلفون حول ترتيب المشاهد نفسها سواء فى هذه المسرحية أو غيرها وقد اعتمدت فى هذه الترجمة على طبعة برجمان السابقة الذكر ولم أجد حاجة لمراجعة الطبعة الجديدة التى قام بها الأستاذ « ليمان » ونشرتها جمعية الكتاب العلمية ، وهى الطبعة التى صدرت بُعد فراغى من الترجمة بسنوات ، وتضمنت من النصوص والشذرات ما يهم الدارس المتخصص للأدب الألمانى — وأخيرا أود أن أنوه بفضل أحد كبار الدارسين لفن بشنر ، وهو أستاذى الدكتور جرهارت باومان الذى أصدر كتابا هاما عن مسرحه .

عبد الغفار مكاوى

مــوت دانتــون

الأشـــخاص

نواب الجمعية الوطنية :

جورج دانتون
ليجيندرر
كاميل دى مولان
هيرو ـ سيشيل
لاكروا
فيليبو
فابر دجلانتين
مرسيير
توماس بين

اعضاء لجنة الاصلاح :

روبسبيير
سان جوست
بارير
كوللو ديربوا
بللو فارن

مفوض المجلس البلدى — شوميت

جنرال — ديللون

مدع عام	فوكييه ـ تينفيل
عضوا لجنة الأمن	أمار فولان
رئيسا محكمة الثورة	هيرمان دومــــا
صديق دانتون	بارى
ملقن	سيمون
	زوجة سيمون
	لافلوت
زوجة دانتون	جولى
زوجة كاميل دى مولان	لوســـيل
غانيـــــــات .	روزالى أديلاد ماريون

سيدات على مائدة اللعب ـ رجال وسيدات وشاب مع أوجينيا يسيرون فى نزهة ـ مواطنون ـ جنود وطنيون ـ وفد من مدينة ليون ونواب آخرون ـ يعقوبيون ـ رؤساء نادى اليعاقبة والمجلس الوطنى ـ سجانون ـ جلادون ـ سائقون ـ رجال ونساء من الشـــعب ـ غانيات ـ مغنون متجولون ـ شحاذون .... الخ . .

الفصـــل الأول

(هيرو ـ سيشيل وبعض السـيدات على مائدة اللعب ـ)

(دانتون وجولى على مسافة قليلة منهم · دانتون جالس عند قدمى جولى على كرسى منخفض بغير مسند) ·

دانتـــــــون : انظرى السـيدة الجميلة وكيف تدير الأوراق بمهارة ! حقا ، انها تفهم أصول اللعب · يقال انها تبرز « القلب » دائما لزوجها و « الكارو » لغيره من الرجال(١) ان فى اسـتطاعتكن أن تحببن الانسان حتى فى الكذب ·

---

(١) اشارة الى انها تخدع زوجها بالحب فى حين تخونه مع غيره من الرجال ·

جولي : هل تؤمن بي ؟

دانتون : وما يدريني ؟ اننا نعرف القليل عن بعضنا البعض · نحن أصحاب جلود سميكة ، نمد أيدينا الى بعضنا ، ولكن بغير طائل ، فنكتفي بحك جلودنا الغليظة ببعضها البعض نحن وحيدون جدا ·

جولي : أنت تعرفني يا دانتون ·

دانتون : نعم ! مايسميه الناس معرفة · عيناك سوداوان ، وشعرك متموج الخصلات ، ووجهك نضير ، وتقولين لي دائما : حبيبي جورج ! ولكن (يشير الى الجبهة والعينين) هنا ، هنا ، ماذا يخفي وراءهما ! اذهبي ! ان حواسنا غليظة · نعرف بعضنا ؟ لابد لذلك من أن نفتح جماجمنا ونشد أفكارنا من تلافيف المخ ·

السيدة الأولى : (لهيرو) ماذا تريد بأصبعك ؟

هيرو : لا شيء !

السيدة : لا تعلق ابهامك بهذه الطريقة ، فلست أطيق أن أراه(٢) ·

هيرو : ألقي عليه نظرة ، ان تعبيرات وجهه عجيبة ·

دانتون : لا ياجولي ، انني أحبك كالقبر ·

جولي : (تشير بوجهها بعيدا) آه !

---

(٢) لعلها اشارة جنسية مستترة ·

دانتـــــــون : لا ! اسمعينى ! يقول الناس ان القبر راحة ، والقبر والراحة شىء واحد • لو صح هذا فأنا أرقد فى حجرك كما أرقد تحت التراب •• أنت أيها القبر الحلو •• شفتاك ناقوس الموتى، صدرك رمسى ، وقلبك تابوتى ••

الســـــــيدة : ضـــاع !

هـــــــــيرو : كانت مغامرة غرام ، تكلف مالا كغيرها •

الســـــــيدة : اذن فقد عبرت عن حبك بالأصابع ، كالصـــم البكم •

هـــــــــيرو : ولم لا ؟ ان الناس تؤكد أن هذه هى أســـهل أساليب الحب على الفهم •• لقد حاولت أن أغازل ملكة «كوتشينة»، أصابعى كانت كالأمراء الذين تحولوا الى عناكب ، وأنت ياسيدتى كنت الجنية ، ولكن الأمور لم تسر على مايرام ، فالسيدة كانت ترقد دائما على فراش الوضع ، وفى كل لحظة تضع ولدا • لن أترك بناتى يلعبن مثل هذه اللعبة ، فالسادة والسيدات يهوون بعضهم بغير احتشام ، والأولاد يتبعون على الفور •

(كاميل دى مولان وفيليبو يدخلان)

هـــــــــيرو : فيليبو ، ماهذه النظرات الكئيبة ! هل خرمت قبعتك الحمراء ؟ هل كشر يعقوب المقدس(٣)

---

(٣) نادى اليعقوبيين أو اليعاقبة •

عن وجهه ؟ هل أمطرت السـماء فى ساحة المقصلة ؟ أم لم تجد مكانا مناسبا ولم تستطع أن أن ترى شيئا ؟

كاميـل : أنت تتهكم على طريقة سـقراط · هل تعرف أيضـا مـاذا قـال الفيلسـوف الالهى لألكيبياديس(٤) عندما رآه ذات يوم حزينـا مقهورا ؟ لقد سـأله : « هل فقدت درعك فى ميدان الحرب ؟ هل هزمت فى السـباق أو المبارزة ؟ هل غنى أحد أو عزف على القيثار خـيرا منـك ؟ » يالهؤلاء الجمهـوريين الكلاسـيكيين ! قارن بينهم وبين رومانتيكية المقصلة عندنا !

فيليبـو : سقط اليوم أيضا عشرون ضـحية · كنا على خطأ · لقد أرسلوا « الهيبرتيين » الى المقصلة لأنهم لم يكونوا منظمين بما فيه الكفاية ، أو ربما لأن « الديسـمفيرى »(٥) اعتقدوا أنهم سـيضيعون حتما اذا بقى هناك رجال غيرهم لمدة أسـبوع واحد يخافهم الناس أكثر مما يخافونهم ·

---

(٤) ألكيبياديس (حوالى ٤٦٠ ـ ٤٠٣ ق·م) سياسى وقائد اثينى ومغامر سياسى ، وكان من أحب تلاميذ سقراط الى نفسه ·

(٥) الديسمفيرى : أى الرجال العشرة ، وكانـوا فى نظـام الدولة الرومانية هيئة من الموظفين تتألف من عشرة رجال · والمقصود هنا هـم أعضاء اللجنة الخيرية أو لجنة الاصلاح التى كان أعضاؤها يتراوحون بين تسعة واثنى عشر رجلا ·

هـــــــــيرو : انهم يريدون أن يعودوا بنا الى عصر الجليد ! سـيعجب سان جوست أن يرانا نزحف على أربع لكى يستطيع محامى « أراس » أن يخترع لنا قبعات واطئة ومقاعد تلاميذ والها رحيما على طريقة صانع الساعات من جنيف(٦) .

فيليبـــــــــو : لن يتورعوا عن اضافة بضعة أصفار الى حساب مارا .. الى متى يتحتم علينا أن نظل قذرين ملوثين بالدماء كالمواليد الجدد ؟! الى متى ننام فى التوابيت بدل المهود ونلعب بالرؤوس ؟ لابد أن نخطوا الى الأمام : لجنة الرأفة يجب أن تتشكل ، والأعضـــاء المطرودون يجب أن يعودوا من جديد .

هـــــــــيرو : لقد بلغت الثورة مرحلة اعادة التنظيم .. لابد أن تتوقف الثورة وتبدأ الجمهورية . يجب أن يتقرر فى المبادىء التى تقوم عليها الدولة أن يحل الحق محل الواجب وتقوم السلامة مقام الفضيلة ويحل الدفاع عن النفس محل العقاب .. يجب أن يتمكن كل فرد من اثبات صلاحيته وتحقيق طبيعته . ليكن عاقلا أو غير عاقل ، مثقفا أو غير مثقف ، طيبا أو شريرا فذلك شىء لا يعنى الدولة كلنا حمقى وليس من حق أحد أن يفرض حماقته على غيره ـ يجب أن يكون

---

(٦) اشارة الى روسو الذى كان أبوه صانع ساعات .. أمـــا محامى « أراس » فهو روبسبيير .

من حق كل انسان أن يتمتع على طريقته ، بشرط الا تكون متعته على حساب غيره أو يزعج سواه فى المتعة التى يفضلها على غيرها ٠

كاميل : يجب أن يكون شكل الدولة كالثوب الشفاف الذى يلتصق بجسد الشعب ٠ كل انتفاخ فى العروق ، كل توتر فى العضلات ، كل اهتزاز فى الأعصاب يجب أن ينطبع عليه ٠ ليكن الشكل جميلا أو قبيحا ، فمن حقه أن يكون على ماهو عليه ، وليس من حقنا أن نفصل له ثوبا على هوانا ٠ — أولئك الذين يريدون أن يلقوا نقاب الراهبات على كتفى فرنسا المذنبة الحبيبة سنعرف كيف نضربهم على أيديهم ٠ — نريد آلهه عارية ، عابدات باخوس(٧) ، ألعابا أوليمبية ، ومن الشفاه المنسجمة نريد الحب الذى يريح الاعضاء ، الحب الشرير ! — لا نريد أن نمنع الرومان من أن يجلسوا فى ركن ويطبخوا البنجر كما يشاءون ، ولكننا لن نسمح لهم بعد اليوم بأن يقدموا لنا مصارعات الجلادين ٠ يجب أن يقف أبيقور الالهى وفينوس(٨) ٠ ذات المؤخرة

---

(٧) هن النساء اللاتى كن يشاركن فى الاحتفالات بأعياد باخوس اله الخمر ، وقد منعت هذه الاحتفالات عند الرومان فى سنة ١٨٦ ق٠م لافراطها فى الخلاعة والعربدة ٠

(٨) فينوس هى ربةالحب والجمال عند الرومان ، وتقابل أفروديت عند الاغريق أما أبيقور الآلهى فالمقصود به دانتون نفسه ، اشارة الى افراطه فى اللذات ٠

الجميلة حارسين على باب الجمهورية بدلا من مارا المقدس وشاليبه ـ دانتون ! ستقوم بالهجوم فى الجمعية !

دانتون : سأقوم ، ستقوم ، سيقوم • ان عشنا ، كما تقول العجائز • بعد ساعة ستكون ستون دقيقة قد انقضت • أليس كذلك ياولدى ؟ •

كاميل : مامعنى هذا ؟ هذا شيء مفهوم من تلقاء نفسه

دانتون : آه ! كل شىء يفهم من تلقاء نفسه • من عليه اذن أن ينفذ كل الأشياء الجميلة ؟ •

فيليبو : نحن والشرفاء •

دانتون : هذه الواو بينهما حرف طويل ، فهى تبعد بيننا بعض الشىء • ان المسافة طويلة ، والشرف يفقد أنفاسه قبل أن نجتمع سويا • وحتى لو حدث هذا ! يستطيع الانسان أن يقرض الشرفاء ويشهد حفلات التعميد لديهم ، ويزوج بناته لهم ، ولكن هذا هو كل شىء !

كاميل : مادمت تعرف هذا •• فلماذا بدأت الكفاح ؟ •

دانتون : أحسست بالاشمئزاز من أولاء الناس • لم أستطع أبدا أن أنظر الى أمثال « كاتو »(٩) المزيفين بغير أن أفكر فى ركلهم • هذه هى طبيعتى • (ينهض واقفا) ••

---

(٩) أو هؤلاء الكاتونيون ، ويحتمل ان تكون اشارة الى كاتو (مارسيوس بورتيوس) (٢٣٤ ـ ١٤٩ ق•م) أحد الحكام الرومانيين الرجعيين ••

جـــــــــولى : أتذهب ؟ ·

دانتـــــــــون : (لجولى) لابد أن أنصرف · انهم يثيرون أعصابى بسياستهم · (وهو يتهيأ للخروج من البـــاب) أريد أن أتنبأ لـــكم بين البـــاب والمقصلة(١٠) بأن تمثال الحرية لم يصب بعد · لازال الفرن يتوهج ، وقد تحترق أصـــابعنا جميعا فيه ·

(يخرج)

كاميـــــــــل : دعوه ! هل تظنون انه يمكن أن يرفع يديه اذا آن أوان العمل ؟ ··

هـــــــــيرو : نعم ، ولكن لمجرد التسلية ، كلعب الشطرنج ·

* * *

حـــــــارة

ســـيمون ·· زوجتـــه

ســـــــــيمون : (يضرب زوجته) ياقوادة ، ياحبة التصعيد المكرمشة(١١) ، ياتفاحة الخطيئة التى تفترسها الديدان ·

---

(١٠) أى باختصار أو على الحدود الفاصلة بين عهدين ·
(١١) التصعيد هو العملية الكيماوية المعروفة ، ولعله يذكر هننا اشارة الى كلوريد الزئبق الذى يستعمل فى علاج مرض الزهرى ··

الزوجـــــــــة : النجدة ! النجـدة ! (يهـــرع بعض الناس فرقوهما ! فرقوهما !)

ســـــــــيمون : لا ، اتركونى أيها الرومان ! أريد أن أحطم هذه المومياء ! أنت يافستالية(١٢) ٠

الزوجـــــــــة : أنا ؟٠٠ هذا ما أريد أن أراه ٠٠

ســـــــــيمون : اذن فسوف أنزع رداءك عن كتفيك ، وأدحرج جثتك فى الشمس ٠ يافراش العار ! فى كل ثنية من جسدك تعشش الفحشاء ٠

(يفرق الناس بينهما) ٠

المـــواطن الاول : ماذا حدث ؟

ســـــــــيمون : أين العذراء ؟ ٠ تكلمى ! لا ٠ لايمكن أن أقول عنها هذا ٠ الآنسة ! لا ٠ ولا هذا ٠ المرأة ، السيدة ! ولا هذا ! ولاهذا ! لم يبق الا اسم واحـــد ٠ انه يخنقنى ! لا أجد النفس الذى يساعدنى على النطق به ٠

المـــــــواطن ٢ : هذا حسن ، والا فاح الاسم برائحة الخمر ٠

ســـــــــيمون : يافرجنييوس(١٣) العجوز ، غط رأسك الأصلع — ان غراب العار يقف عليها وينقر عينيك ٠

---

(١٢) كاهنات الفستا (اله النار الرومانية) فى روما القديمة اللاتى كن يتعهدن النار الخالدة فى معبد فينوس ٠

(١٣) أحد الرعاع الرومانيين ، قتل ابنته فرجينيا لينقذها من أبيوس كلاوديوس (أحد رجال السلطة العشرة) الذى كان يريد الاعتداء عليها ٠

أعطونى سكينا ، أيها الرومان ! (يسقط على الأرض)

الزوجـــــــة : آه ! انه فى العادة شهم ، الا انه لايستطيع التحمل ، فالخمر توقعه من طوله ٠

المـــــواطن ٢ : ولذلك يسير على ثلاثة ٠

الزوجـــــــة : بل يسقط ٠

المـــــواطن ٢ : تماما ٠ يسير أولا على ثلاثة ،ثم يقع على الثالثة حتى تسقط هى أيضا ٠

ســـــــيمون : أنت الغول الذى يمتص دم قلبى الدافىء ٠

الزوجـــــــة : اتركوه ، فهو دائما يغلبه التأثر فى مثل هذا الوقت ٠ سيعود الى طبيعته ٠

المـــــواطن ١ : ماذا حدث اذن ؟

الزوجـــــــة : انظروا / كنت أجلس هناك على الحجر أتدفأ فى الشمس ـ انظروا ـ لأننا لا نملك خشـــبا ـ انظروا ـ

المـــــواطن ٢ : تدفئى اذا بأنف زوجك ٠

الزوجـــــــة : وكانت ابنتى قد ذهبت الى الناصية هناك ٠ انها بنت طيبة وتجرى على أبويها ٠

ســـــــيمون : ها ! انها تعترف !

الزوجـــــــة : يايهوذا ! وهل كنت تجد سروالين تلبسهما اذا لم يخلع الشبان سراويلهم مع ابنتك ؟ يابرميل خمرة ! هل تحب أن تموت من العطش اذا جفت

البئر ؟ هه ؟ اننا نعمل بكل أعضائنا ، فلماذا لا نعمل بهذا العضو أيضا ؟ أمها ظلت تشقى حتى جاءت الى العالم ، وذاقت المر · الا يمكنها أن تشقى قليلا لأجل أمها ؟ هه ؟ ولو ذاقت المر أيضا ؟ · ياغبى ! هه ؟

سيمون : لوكريتسيا(١٤) ! سكين ! أعطونى سكينا أيها الرومان ! ها ! أبيوس كلاوديوس ·

المواطن ١ : نعم ! أعطوه سكينا ، لا للعاهرة المسكينة · ماذا جئت ؟ لاشىء · ان جوعها هو الذى يفجر ويتسول · ويل لأولئك الذين يشترون لحم نسائنا وبناتنا ! ويل لهؤلاء الذين يفجرون مع بنات الشعب ! أحشاؤكم تتلوى من الجوع وأمعاؤهم تتلوى من التخمة ، ثيابكم مملوءة بالخروق وثيابهم دافئة ، أيديكم متشققة من التعب وأيديهم ناعمة كالحرير · اذن(١٥) ، فانتم تعملون وهم لايعملون شيئا ، اذن فقد كسبتم اللقمة بالعرق وهم الذين سرقوها منكم ، اذن فان أردتم أن تستمدوا بضعة ملاليم من أملاككم المسروقة فلابد أن تلجأوا الى الدعارة والشحاذة ، اذن فهم لصوص ولابد من قتلهم !

---

(١٤) يخلط سيمون هنا بين لوكرتسيا وفريجنيا التى سبقت الاشارة اليها ـ وقد ظلت لوكرتسيا نموذجا عاليا لسيدة البيت الرومانية ، التى فضلت ان تقتل نفسها على ان يسىء تاركونييوس سوبريوس الى شرفها ·

(١٥) يستخدم المواطن الأول هنا كلمة أرجو (ergo) اللاتينية ومعناها اذن أو بالتالى ·

المـــــواطن ٣ : ان عروقهم لا يجرى فيها الا الدم الذى امتصوه منا . قالوا لنا : اقتلوا الارستقراطيين ، فهم ذئاب ! وعلقنا الارستقراطيين على المشانق . قالوا : « الفيتو »(١٦) ، يفترس خبزكم ، وقتلنا الفيتو . قالوا الجيرونديون يجيعونكم فأرسلنا الجيرونديين الى المقصلة . ولكنهم جردوا الموتى من ثيابهم وهانحن نسير الآن على سيقان عارية ونتجمد من البرد كما كنا نفعل من قبل . نريد أن ننتزع جلدهم من أفخاذهم ونفصل منه سراويل ، نريد أن نعتصر شحمهم ونطبخ به شربتنا . هيا ! اقتلوا من لا تجدون ثقبا فى ردائه !

المـــــواطن ١ : اقتلوا كل من يقرأ ويكتب !

المـــــواطن ٢ : اقتلوا كل من يغادر بيته .

الجميـــــع : (يصرخون) أقتلوا ! اقتلوا !

(بعض العامة يسحبون شابا وراءهم)

أصـــــوات : معه منديل !ارستقراطى ! الى المشنقة الى المشنقة !

المـــــواطن ٢ : ماذا ؟ ألا يمخط فى يديه ؟ الى المشنقة !

(تعلق احدى المشانق)

---

(١٦) الفيتو (Veto) هو صيغة الاعتراض ، والمقصود به هنا هو الحق الذى يتمتع به لويس السادس عشر فى الاعتراض على قرارات الجمعية التشريعية ، وقد قضى على هذا الحق باعدامه .

الشـــــاب : آه ياسادتى !

المـــواطن ٢ : ليس فينا سادة ٠٠ الى المشنقة ! ٠

البعض (يغنون) :

أجدى من الرقاد فى التراب
فريسة للدود والفساد ـ
أن تسلموه ليد الجلاد
فيرفع الجثة فى العراء
لكى تشم نسمة الهواء !

الشـــــاب : الرحمة !

المـــواطن ٣ : لعبة بسيطة بالحبل حول الرقبة ! لحظة واحدة لاغير ! نحن أرحم منكم ٠ حياتنا قتل بطىء بالعمل ، نعلق ستين سنة فى حبل ونتلوى ، ولكننا سنعرف كيف نخلص أنفسنا ـ الى المشنقة !

الشـــــاب : كما تحبون ،لن يجعلكم هذا ترون رؤية أوضح(١٧) ٠

الواقفـــــون : برافو ! برافو !

---

(١٧) التعبير هنا متصل بالتعبير الأصلى عن الشنق وهو « الى الفوانيس » !) ٠

أصـــــوات : اتركوه يذهب !

(الشاب يهرب بجلده)

(يظهر روبسبيير ، فى صحبة نساء وبعض المتسكعين الصعاليك)

روبســـبيير : ما هذا ، أيها المواطنون ؟

المـــواطن ٣ وماذا عسى أن يكون ؟ ان قطرات الدم القليلة التى سالت من أغسطس الى سبتمبر لم تجعل خدود الشعب حمراء · المقصلة فى غاية البطء نحن فى حاجة الى سيل !

المـــواطن ١ : زوجاتنا وأطفالنا يصرخون طلبا للخبز · نريد أن نطعمهم من لحم الارســـتقراطيين · ها ! اقتلوا كل من يلبس رداء لا ثقب فيه !

الجميـــــع : اقتلوه ! اقتلوه !

روبســـبيير : باسم القانون !

المـــواطن ١ : ماهو القانون ؟

روبســـبيير : ارادة الشعب ·

المـــواطن ١ : نحن الشعب ، ونريد ألا يكون هناك قانون ، اذن فهذه الارادة هى القانون ، اذن فباسم القانون لم يعد هناك قانون ، اذن فاقتلوا !

أصـــوات : استمعوا الى أرستيدس(١٨) ! استمعوا الى النزيه !

---

(١٨) أرستيدس ، سياسى أثينى (حوالى ٥٤٠ ـ ٤٦٧ ق·م) كسب احترام الشعب ·

امـــــــــرأة : استمعوا المخلص(١٩) الذى أرســل ليحكم ويقتص ! سيقضى على الأشرار بحد السيف • عيناه عينا القضاء ، يداه يدا العدالة!

روبسبــــــيير : أيها الشـــعب الطاهر المســكين ! أنت تؤدى واجبك ، وتضحى بأعدائك • أيها الشعب ، أنت عظيم ! أنت تكشف عن روحك فى الصــــواعق والرعود • لكن معاركك لا يجب أن تجـــرح جسدك ، والا قتلت نفسك بغضبك • انك لن تسقط الا بارادتك ، وهذا ما يعرفه عنك أعداؤك •• ان الذين يشرعون لك يقظون ، وســـوف يأخذون بيديك • ان عيونهم لا تنخدع ، ويداك لا يفلت منها أحد • تعالوا معى الى اليعاقبة ! ان اخوتكم سيفتحون أذرعهم لكم ، وسنؤلف محكمة الدم لأعدائنا •

أصـــوات كثيرة : الى اليعاقبة ! عاش روبسبيير

(الجميع يخرجون)

ســـــــــيمون : ويلى ، لقد تركتنى !

الزوجـــــــــة : هاك ! (تسنده)

---

(١٩) تعبير عن المسيح (Messias) أو المخلص كما ورد فى العهد القديم وفى كثير من الأديان وخرافات الشعوب ، رمزا للمنقذ الذى يظهر فى آخر الزمان ليقر مملكة الله على الأرض • وقد حــاول اعداء روبسبيير ان يسيئوا كثيرا الى سمعته حين كانوا يربطون بينه وبين « كاثرين تيو » وهى مجنونة كانت تعتقد انها هى أم الله وتبشر بمقدم المسيح الجديد •

سيمون : آه ياحبيبتى باوكيس(٢٠) ! أنت تجمعين الفحم على رأسى ·

الزوجة : قف !

سيمون : هل تتخلين عنى ؟ هل تسامحيننى يابورسيا(٢١) ؟ هل ضربتك ؟ لم تكن يدى ، لم تكن ذراعى · جنونى هو الذى فعلها والجنون عدو هاملت المسكين · هاملت لم يفعل شيئا · هاملت ينكر ما فعله · أين ابنتنا ؟ أين سوزانا الصغيرة ؟

الزوجة : هناك على الناصية ·

سيمون : هيا بنا اليها ! تعالى يازوجتى الصالحة !

(يخرجان)

« نادى اليعاقبة »

رجل من سكان ليون : لقد أرسلنا اخوتنا فى ليون لنفرغ سخطهم المرير فى صدوركم · اننا لا نعرف ان كانت العربة التى حملت رونسان(٢٢) الى المقصلة

---

(٢٠) فيلمون وباوكيس عجوزان خلدتهما الخرافات اليونانية لوفائهما فى الحب كما خلدهما جوته فى القسم الثانى من فاوست ·

(٢١) بورسيا هى زوجة مارسيوس جونيوس بروتوس قاتل قيصر وأحد رجال الدولة الرومانيين ، وقد اشتهرت بشجاعتها وكبريائها ، وقتلت نفسها بعد هزيمة زوجها وموته ·

(٢٢) هيبرتى ، أحد قواد الثورة ، شارك فى حوادث الرعب المشهورة فى ليون ·

هى نفس العربة التى حملت جثة الحــرية ، ولكننا نعرف أن قتلة شاليبه قد عادوا منذ ذلك اليوم يسيرون فى طمأنينة وثبات على الأرض ، كأنه ليس هناك قبر يسعهم . هل نسيتم أن ليون قطعة من أرض فرنسا يجب أن نغطيها بعظام الخونة ؟ هل نسيتم أن عاهرة الملوك هذه لايمكنها أن تغسل صديدها وقبحها الا فى مياه الرون ؟ هل نسيتم أن هذا النهر الثائر لابد أن يحطم أساطيل بت(٢٣) فى البحر الأبيض فوق جثث الارستقراطيين ؟ ان رأفتكم تقتل الثورة . ان النفس الذى يتردد فى صـــدر أرستقراطى هى الحشرجة الأخيرة فى صـدر الحرية . الجبـــان وحده هو الذى يموت فى سبيل الجمهورية ،أما اليعقوبى فهو يقتل من أجلها . اعلموا اننا ان لم نجد فيكم حمية رجال العاشـــر من أغســـطس وسبتمبر والواحد والثلاثين من مايو فلن يبقى أمامنا الا خنجر كاتو(٢٤) ، كما فعـــل الوطنى جايار(٢٥) .
(تصفيق وصيحات مختلفة)

---

(٢٣) اشارة الى الحصار الذى فرضته الاساطيل الانجليزية على الموانىء الفرنسية بأمر من رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الحين بت « الصغير » .

(٢٤) كاتو «الاصفر» (٩٥ الى ٤٦ ق.م) أحد الجمهوريين الرومانيين ، قتل نفسه بعد هزيمة حزبه ..

(٢٥) أحد الهيبرتيين ، مات منتحرا .

يعقـــــــــوبى : سنشرب معكم السم الذى شربه سقراط ٠

ليجنـــــــــدر : (يقفز فوق المنصة) لسنا فى حاجة الى توجيه ابصـــــارنا الى ليـــــون ٠ ان هؤلاء الذين يلبسون الحـــرير ، ويركبون العربات الفخمة ويجلسون فى المسرح فى « الالواج » ويتكلمون على طريقة قاموس الأكاديمية ، قداطمأنوا منذ أيام الى أن رؤوسهم ثابتة فوق أكتافهم ٠ انهم يتطرفون ويقولون آن من الواجب أن نســاعد مارا وشاليه على الاســـتشهاد مرتين وقطع رؤوسهم بعد موتهم فى احتفـــال كبير(٢٦) ،

(حركة عنيفة فى الاجتماع) ٠٠

اصـــــــــواب : انهم أموات ، والســـنتهم هى التى ستقطع رؤوسهم ٠

ليجنـــــــــدر : ليغرقهم دم هؤلاء القديسين ! اننى اســـأل الأعضاء الموجودين من لجنة الاصلاح ٠ منذ متى أصبحت آذانكم صماء ؟ ٠٠

كوللوديربوا : (يقاطعه) وأنا أسألك ياليجندر ، صوت من هذا الذى جعل مثل هذه الأفكار تتنفس وتحيا وتجرؤ على الكلام ، لقد حان الوقت لانتزاع الأقنعة ٠ اســـمعوا ان العلة تتهم معلولها ، والنداء صداه ، والسلب نتيجته ٠ ان لجنة

---

(٢٦) اشارة الى العادة التى كانت متبعة حتى القرن الثامن عشـــر بتنفيذ حكم الاعدام فى المذنبين الاموات أو الهاربين باحراق صورهـــم أو تماثيلهم ٠

الاصلاح تفهم كثيرا فى المنطق ياليجندر ٠٠ هدىء نفسك ! ان تماثيل القديسين النصفية(٢٧) لن تمس ، وستظل كرؤوس المدوزا(٢٨) تحول الخونة الى احجار ٠

روبسبيير : أطلب الكلمة ٠

اليعاقبة : اسمعوا ! اسمعوا النزيه !

روبسبيير : لقد كنا ننتظر أن نسمع صيحة السخط التى تتردد الآن من كل جانب لكى نتكلم ٠ كانت أعيننا مفتوحة ، وقد رأينا العدو يتسلح ويتحفز ، ولكننا لم نعط الاشارة بالتحرك ٠٠ لقد تركنا الشعب يسهر على نفسه بنفسه ، ولم ينم الشعب ، بل أمسك بالسلاح ٠ لقد تركنا العدو يبرز من مخبئه ، تركناه يتقدم ، وهو الآن يقف حرا مكشوفا فى وضح النهار ٠ كل ضربة توجه اليه ستصيبه ، انه سيموت بمجرد أنتقع عيونكم عليه ٠ لقد قلت لكم من قبل ان الأعداء الداخليين للجمهورية قد انقسموا الى فرقتين أو معسكرين ٠ انهم يحملون اعلاما مختلفة الألوان ويسيرون فى طرق متعددة المسالك ولكنهم يسرعون جميعا الى نفس

---

(٢٧) اشارة الى تماثيل مارا وشالييه التى وضعها فوركييه ـ تويفيل فى قصر العدالة ٠

(٢٨) اشارة الى رأس الميدوزا وهى وحش أنثوى تروى الاساطير الاغريقية انه يحول كل شىء ينظر اليه الى حجر ٠

الهدف · ان أحد هذين المعسكرين لم يعد له وجود(٢٩) · لقد حاول فى جنونه وتطرفه أن يدمغ أصلب الوطنيين بالضعف والخور لينحيهم جانبا ، ويحرم الجمهورية من أشد أذرعتها قوة · وأعلن الحرب على الالوهية والملكية لكى ينفذ مؤامرته المنحرفة لصالح الملوك · وتهكم على مسرحية الثورة السامية لكى يسىء الى سمعتها ويفضحها بالاستهتار والفحش المتعمد المدبر · لو قدر لهيبر أن ينتصر لتحولت الجمهورية الى فوضى ولرضى الاستبداد ·· ان سيف القانون قد أصاب الخائن · وماذا يهم الأجانب مابقيت هناك مجموعة أخرى من المجرمين الذين يعملون على الوصول الى نفس الهدف ؟ اذا لم ندمر هذا المعسكر الآخر فكأننا لم نعمل شيئا · انه يسير فى عكس الاتجاه الذى سار فيه المعسكر الأول · انه يدفعنا الى الضعف وصيحته فى المعركة هى : الرحمة ! انه يريد أن ينتزع السلاح من الشعب كما ينتزع القوة التى يقبض بها على السلاح لكى يسلمه عاريا خائر القوة الى الملوك ·

ان سلاح الثورة هو الرعب ، وقوة الجمهورية هى الفضيلة ــ الفضيلة لأن الرعب بدونها مهلك ،والرعب لأن الفضيلة بدونه

---

(٢٩) اشارة الى حزب الهيبرتيين الذى تم القضاء عليه :

عاجزة · ان الرعب هو النتيجة المترتبة على الفضيلة · ليس الرعب الا العدالة الحاسمة الصلبة الصارمة · يقولون ان الرعب هو سلاح الحكومة المستبدة ، ويريدون بذلك أن يشبهوا حكمنا بالحكم المستبد · هذا صحيح ! ولكن بقدر ما يشبه السيف فى يد بطل الحرية ذلك السيف الذى يحمله أتباع الطاغية · اذا كان المستبد يحكم بالرعب رعاياه الذين يشبهون القطعان ، فذلك حقه كطاغية مستبد ، اسحقوا بالرعب اعداء الحرية وسيكون ذلك من حقكم كمؤسسين للجمهورية · ان حكومة الثورة هى استبداد الحرية ضد الطغيان ·

بعض الناس ينادون قائلين : ارحموا الملكيين ! هل نرحم الأشرار ؟ لا : بل نرحم البراءة ، نرحم الضعف ، نرحم البؤساء ، نرحم الانسانية ! ان المواطن المسالم هو وحده الذى يستحق حماية المجتمع ·

ليس هناك مواطنون فى ظل الجمهورية الا الجمهوريين ، أما الملكيون والأجانب فهم أعداؤها · ان انزال العقاب بأولئك الذين يضطهدون الانسانية هو الرحمة ، أما العفو عنهم فهو الوحشية · ان كل علامات الحساسية الزائفة تبدو لى تنهدات تطير فى اتجاه انجلترا أو النمسا ·لم يقنعوا بتجريد الشعب من السلاح ، بل راحوا يسممون أقدس منابع قوته بالرذيلة · هذا هو أخبث وأخطر وأبشع هجوم

على الحرية · ان الرذيلة هى علامة قابيل(٣٠) التى تســم الارستقراطية · انها ليســت فى النظام الجمهورى جريمة أخلاقية فحسب ، بل هى كذلك جريمة سياسية · ان مرتكب الرذيلة هو العدو الســياسى للحرية ، ويعظم خطره عليها كلما عظمت الخدمات التى يدعى انه أداها لها · ان أخطر المواطنين هو ذلك الذى يسهل عليه أن يستهلك بضع قبعات حمراء(٣١) من أن يقوم بعمل واحد نافع ·

سيكون من السهل عليكم أن تفهموا قصدى اذا فكرتم فى أولئك الذين كانوا يعيشون فى حجرات على السطوح فأصبحوا الآن يركبون العربات المطهمة بالخيول ويرتكبون الفحش مع الماركيزات والبارونات الســابقات · ان من حقنا أن نسأل : هل نهبنا ثروة الشعب أم هل أصبحنا نضغط على أيدى الملوك الذهبية(٣٢) ، اذا كنا نحن المشرعين للشــعب نتظاهر بكل رذائل رجال البلاط السابقين وترفهم ، اذا كنا نرى ماركيزات الثــورة وأمراءها يتزوجــون

---

(٣٠) يذكر العهد القديم ان قابيل حكم عليه بالنفى عقابا له على قتل شقيقه هابيل ، ولكن حمته علامة على جبهته اشتهرت فيما بعد بانها اشارة الى جريمة قتل الأخ ·

(٣١) قبعة كان يلبسها اليعاقبــة ، متاثرين فى ذلك بالقبعة التى كان يلبسها الفريجيون القدماء وتعد أقدم رمز للحرية ·

(٣٢) أى هل وصل بنا الأمر الى حد التعاون معهم ضد الشعب ؟

النســاء الثريات ، ويولمون الولائم ويقامرون ويستخدمون الخدم ويلبسون الثياب الفخمة ؟ أن من حقنا أن نتعجب حين نرى الأفكار الملهمة تهبط عليهم ، ونسمع أحاديث المثقفين المهذبين تتدفق من أفواههم • لقد حدث منذ وقت غير بعيد أن تهكم أحدهم « بتاسـيت » على نحو مخجل(٣٣) فى استطاعتى كذلك أن أجيب على طريقة « سالوست » وأن أعرض بكاتلينا(٣٤)، غير أننى فيما أظن لم أعد فى حاجة الى لمسات أخرى ، فقد تم رسم أصحاب هذه الوجوه • لن تكون هناك معاهدة ولا هدنة مع أناس لم يفكروا الا فى نهب الشـعب ، أناس اطمأنوا الى أنهم سيستطيعون أن يواصلوا هذا النهب بغير عقاب وحسبوا أن الجمهورية مضارية . وان الثورة أداة فى أيديهم • انهم يحاولون فى هدوء تام أن يبردوا حرارة العــدالة بعد أن أفزعهم التيار الجارف الذى يضـــرب الأمثلة كل يوم يــكاد الانســان يعتقــد أن كل واحد منهم يقول لنفســه : « لســنا فضلاء

---

(٣٣) اشارة الى « كتاب ديمولان » الفرنسسكانى العجوز « الذى نشر فيه اجزاء من كتاب المؤرخ الرومانى تاسيتوس عن استبداد القيصر تبيريوس قاصدا بذلك ان يتهكم من بعيد بدكتاتورية اليعاقبة •

(٣٤) يريد روبسبيير انه يستطيع ان يرد بأجزاء من المؤرخ الرومانى ساللوســت الذى كتب عن المــؤامرة المشـــهورة بمؤامرة كاتيلينا ضـــد القنصلية ••

الى الحد الذى يجعلنا مرعبين بهذه الدرجة ·
أيها المشرعون المتفلسفون ، ارحموا ضعفنا !
اننى لا أجرؤ أن أقول لكم اننى أحب الرذيلة ،
ولهذا أفضل أن أقول لكم : « لا تكونوا قساة
بشعين ! »

هدىء نفسك ، أيها الشعب العفيف !
هدءوا نفوسكم أيها الوطنيون ! قولوا لاخوتكم
فى ليون : ان سيف الحرية لا يصدأ فى الأيدى
التي وضعتم ثقتكم فيها ! ستضرب مثلا عظيما
للجمهورية ·

(تصفيق عام)

أصوات كثيرة : عاشت الجمهورية ! عاش روبسبيير !

الرئيس : رفعت الجلسة !

ـ حارة ـ

لاكروا ـ ليجندر

لاكروا : ماذا فعلت ياليجندر ! هل تعلم من الذين أسقطت رؤوسهم بتماثيلك النصفية التى حطمتها ؟

ليجندر : بعض التافهين المتحذلقين والنساء الأنيقات ، هذا هو كل شىء ·

لاكروا : أنت انسان ينتحر ،ظل يقتل أصله ويقتل بذلك نفسه ·

ليجنـــــــــدر : لست أفهم ماذا تقصد ·

لاكـــــــــروا : أظن أن كوللو تكلم بوضوح ·

ليجنـــــــــدر : وما أهمية هذا ؟ لقد كان مخمورا كعادته ·

لاكـــــــــروا : الحمقى والأطفال و ·· الســــكارى يقولون الحقيقة · من الذى تعتقد أن روبســـبيير قد قصده بالكلام عن كاتيلينا ؟

ليجنـــــــــدر : ما رأيك أنت ؟

لاكـــــــــروا : المسألة بسيطة · لقد أرسل الملحدون والثوريون المتطرفون الى المقصلة · ولكن الشعب لم يستفد شـــيئا ، فمازال يمشى حافيا فى الحوارى ويطـــالب بأن يفصـــل أحـــذيته من جلود الارستقراطيين · ان ترمومتر المقصلة لا يجب أن يهبط ، لم تبق الا بضع درجات وتذهب لجنة الاصلاح الى ميدان الثورة لتنام هناك ··

ليجنـــــــــدر : وما علاقة تماثيلى النصفية بهذا ؟

لاكـــــــــروا : ألم تفهم العلاقة بعد ؟ لقد أعلنت وجود الثورة المضـــادة ، وحفزت الرجال العشرة(٣٥) الى العمل الحاسم ، وقدتهم من أيديهم · ان الشعب مينوتاوروس(٣٦) يصر كل أســـبوع على أن يتسلم جثثه ، والا افترسهم ·

---

(٣٥) او الديسمفير ، انظر التعليق السابق ·

(٣٦) وحش رهيب تصوره الاساطير اليونانية برأس ثور وجسد انسان وكان على مدينة أثينا ان تقدم له القرابين من الشباب والعذارى ·

ليجنـــــــدر : أين دانتون ؟

لاكـــــــــروا : ومن أين لى أن أعلم ؟ انه يحاول أن يجمـــع فينوس المديشية منكل بغايا القصر الملكي(٣٧)، أو يصنع على حد قوله فسيفساء(٣٧م)٠ السماء وحدها تعلم ماهو العضو الذى وصـــل اليه الآن ٠ انه لشيء محزن حقا أن تمزق الطبيعة الجمال وتوزع أجزاءه المتفرقة بين الأجساد ، كما مزقت ميديا(٣٨) شقيقها ٠ هيا نذهب الى القصر الملكى !

(يخـــرجان)

« حجـــــرة »

دانتـــون ٠٠٠ مـــاريون

مــــــــاريون : لا ! دعنى راقدة عند قدميك ٠ أريد أن أحكى لك شيئا ٠

دانتـــــــــون : يمكنك أن تستعملى شفتيك فيما هو أفضل ٠

مــــــــاريون : لا ٠ دعنى هكذا ٠ كانت أمى امرأة ذكية وكانت تقول لى دائما ان العفة فضيلة جميلة ٠ وعندما كان يأتى الناس لزيارتنا ويبدأون فى الحديث

---

(٣٧) مـــاخور مشهور كان معروفا قبل الثـــورة فى باريس ٠

(٣٧م) أو موزايكو ٠

(٣٨) تصورها الاساطير الاغريقية ساحرة جبارة هربت مع شقيقها ثم قتلته ومزقته قطعا القت بها فى البحر لكى تضلل أباها الذى كان يطاردها ٠

عن أمـــور معينة كانت تطلب منى أن أغادر الحجرة . فاذا سألتها عما يريدون قالت ان على أن أخجل من نفسى . واذا أعطت لى كتابا لاقرأه كنت دائما أمر على بعض صفحاته بغير قراءة . ولكننى كنت أقرأ الكتاب المقدس كما يحلو لى ، فقد كان كل شىء فيه مقدسا ولكن كان فيه شىء لم أستطع فهمه . لم أحاول أن أسأل أحدا عن معناه ، وعكفت على نفسى ورحت أفكر فيه وحـــدى . وجاء الربيع . احسست أن هناك أمورا تجرى فىكل مكان من حولى دون أن أشارك فيها . ووجدتنى أعيش فى جو غريب يكاد يخنق أنفاسى . رحت أتأمل أعضائى ، كان يبدو لى فى بعض الأحيان كأن حجمى يتضاعف وكأننى أعود فأصبح عضوا واحدا يندمج فيه كيانى كله . فى ذلك الوقت بدأ شاب يتردد على البيت . كان جميلا وكان يتكلم فى معظم الأحيان كلاما عجيبا . لم أكن أفهم ما يريده تماما ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك . دعته أمى الى الاكثار من زيارتنا ، وأعجبنا هذا . وأخيرا لم نجد ما يمنع من أن ننام معا بين ملائتى سرير ،مثلما نجلس معا على كرسيين . وجدت فى هذا متعة أعظم من المتعة التى كنت أجدها فى الاستماع الى كلامه ،ولم أفهم لماذا كانوا يســـمحون لى بالمتعة القليلة ويحرموننى من المتعة الكبيرة . ورحنا نفعل ذلك ســـرا ،

واستمر الحال على هذا · ولكننى أحسست كأننى أصبحت بحرا يبتلع كل شىء وتجيش أعماقه وتجيش · كان هناك ضد واحد بالنسبة لى ، وذاب لدى كل الرجال فى جسد واحد · أمى أيضا كانت كذلك ، وهل يستطيع أحد أن يهرب من طبيعته ؟ وأخيرا لاحظ كل شىء · جاء فى صباح يوم من الأيام وقبلنى قبلة كادت تكتم أنفاسى · وطوق رقبتى بذراعيه فأحسست برعب هائل · ثم ابتعد عنى وضحك وقال انه كان على وشك أن يقوم بفعلة غبية ، وأن على أن أحتفظ بثوبى واستعمله لأنه سيبلى من نفسه ، وهو لايريد أن يفسد على حظى قبل الأوان لأنه هو الشىء الوحيد الذى أملكه · ثم ذهب ، ولم أعرف مرة أخرى ماذا كان يريد ·· وعندما جاء المساء كنت أطل من النافذة ، فأنا شديدة الحساسية ولاشىء يربطنى بما حولى الا العاطفة · واستغرقت فى أمواج الشفق · ثم انتبهت على موكب يهبط الشارع تتقدمه الأطفال وتتبعه النساء من النوافذ · نظرت الى هناك فرأيتهم يحملونه فى سلة كبيرة والقمر يسطع على جبهته الشاحبة ، وخصلات شعره مبتلة · كان قد أغرق نفسه · ووجدتنى أنشج بالبكاء · كان هذا هو الكسر الوحيد ف كيانى · ان غيرى من الناس يعملون فى أيام ويستريحون فى أيام ·· انهم يعملون ستة أيام ويصلون فى اليوم السابع · وفى كل سنة

يتاثرون مرة فى عيد ميلادهم ويفكرون قليلا فى رأس السنة ٠أما أنا فلا أفهم شيئا من هذا ولا أعرف راحة أو تغييرا ٠ أنا دائما كيان واحد ، شوق لا ينقطع ، لهيب تيار ٠ أمى ماتت من الغم ، الناس يشيرون الى ٠ هذا غباء ٠ ففى النهاية يتســـاوى الناس فى المتعة التى يجدونها فى الأجساد أو صور المســـبيح أو الزهور أو العاب الأطفـــال ، انه دائما نفس الشعور ، من يزدد متعة يزدد عبادة ٠

دانتـــــــــون : لماذا لا أحتوى جمالك كله وأعانقه كله ؟

مـــــــــاريون : دانتون ، لشفتيك عينان ٠

دانتـــــــــون : تمنيت أن أكون بعضا من الاثير لكى تستحمى فى موجى وأتكسر على كل موجة من أمواج جسدك الجميل ٠

(لاكروا ، أديلاده وروزالى يدخلون)

لاكـــــــــروا : (يظل واقفا بالباب) لابد أن أضحك ! لابد أن أضحك !

دانتـــــــــون : (متبرما) وبعد ؟

لاكـــــــــروا : الحارة خطرت على بالى ٠

دانتـــــــــون : ثم ماذا ؟

لاكـــــــــروا : كانت هنالك كلبة كبيرة وكلب بولونى صـــغير يعذبان نفسيهما ٠

دانتـــــــون : مامعنى هذا ؟

لاكـــــــروا : خطر هذا على بالى فلم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك • كان منظرا يشرح القلب ! كانت البنات تنظر من النوافذ • لابد أن يحتـــاط الانسان ولا يتركهن يجلسن فى الشمس • والا قرصـــهن البعوض فى أيديهن ، وهذا يهيج الأفكار • طفت أنا وليجندر على كل الصوامع تقريبا • تعلقت راهبات الوحى الجســـــدى بحجـــرنا وطلبن البركة • أنزل ليجندر بركته على احداهن ، ولكنه سيضطر أن يصوم من أجل ذلك شهرا • وهأنذا أحضر معى راهبتين من راهبات الجسد •

مـــــــاريون : صباح الخير يا آنسة أديلاده ! صباح الخير يا آنسة روزالى !

روزالى : لم نتشرف من مدة طويلة •

مـــــــاريون : كان على عينى ••

اديلاده : آه ياربى ! نحن مشغولون بالليل والنهار •

دانتــــــون : (لروزالى) أنت ياصغيرة ! لقد أصـــبحت ملفوفة الاوراك !

روزالى : طبعا • نحن كل يوم فى تحسن •

لاكـــــــروا : ما هو الفرق بين أدونيس القـــديم وأدونيس الجديد(٣٩) ؟

---

(٣٩) هو فيما تروى الاساطير اليونانية حبيب افروديت الجميل الذى مزقه خنزير وحشى فحولته الى زهرة شقائق النعمان دائمة العطر ••

دانتـــــــــون : وأديلاده أصبحت مؤدبة وظريفة ، تغيير يرد الروح ٠

وجهها يبدو كورقة التين التى تستتر بها جسدها كله ٠ شجرة تين كهذه على طريق مريح كهذا تلقى ظلا منعشا ٠

اديلاده : كنت سأصبح طريقا تسير عليه القطعان لو أن السيد ٠٠

دانتـــــــــون : فهمت ٠ المهم الا تغضبى يا آنستى !

لاكـــــــــروا : أرجرك أن تسمعنى ! ان أدونيس الجديد لن يمزقه خنزير برى بل ستمزقه اناث الخنازير ٠ انه لن يجرح فى فخذه بل فى جنبيه ولن تنبثق الورود من دمه بل ستتفتح براعم الزئبق(٤٠) ٠

دانتـــــــــون : الآنسة روزالى تشبه تمثالا ناقصا(٤١) أعيد ترميمه وليس فيه شىء قديم سوى الساقين والقدمين ٠

انها مثل ابرة المغنطيس : ما يطرده قطب الرأس يجـــذبه قطب القدم ، أما المركز فهو منطقـة استوائية كل من يعبر خط الاستواء فيها يحصل على تعميد طبى(٤٢) ٠

---

(٤٠) كانت هذه الأوراق توصف علاجا للامراض التناسلية (كالزهرى)، والكلمة تشير هنا الى الالتهابات والأورام الناجمة عن هذا المرض ٠

(٤١) يقصد بالتمثال الناقص (Torso) غالبا ذلك التمثال الذى فقدت رأسه ولم يبق منه الا الجذع ٠

(٤٢) اشارة الى تقليد بحرى لايزال متبعا الى اليوم عند عبور خـط الاستواء وهو الاحتفال بكل من يعبره لأول مرة ٠

لاكـــــــــروا : انهما ممرضتان رحيمتان ، كل منهما تخدم فى مستشفى ، أقصد فى جسدها هى ٠

روزالى : أخجل من أن تجعل آذاننا حمراء من الخجل !

اديلاده : يجب أن تتعلم فن الحياة أكثر من هذا ٠

(تخرج اديلاده وروزالى)

دانتـــــــــون : ليلتكم سعيدة ياحلوات !

لاكـــــــــروا : ليلتكم سعيدة يامناجم الزئبق !

دانتـــــــــون : اننى أرثى لهما ٠ فهما لا تأتيان الا لتنــاول العشاء ٠

لاكـــــــــروا : اسمع يادانتون ! لقد كنت الآن مع اليعاقبة ٠

دانتـــــــــون : أليس لديك أكثر من هذا ؟

لاكـــــــــروا : قرأ وفد ليون بيانا أعلنوا فيه أنه لم يبق أمامهم الا أن يلتفوا بالتوجا(٤٣) ٠ أن كل واحد منهم يضع تكشيرة على وجهه كأنما يريد أن يقول لجاره : « بيتووس » ، انه لا يؤلم(٤٤) ٠ هتف ليجندر مطالبا بتحطيم تماثيل مارا وشـــاليه النصفية ٠ أعتقد أنه يريد أن يحمر وجهه مرة أخرى من الخجل ، لقد خرج من زمرة الكبار

---

(٤٣) التوجا (Toga) ثوب فضفاض كان يلبسه الرومانيون ، ولعل المقصود ان أهل ليون يريدون العودة الى سياسة الدماء ٠

(٤٤) كلمات قالتها « أريا » بعد أن غرزت الخنجر فى قلبهـــا ومدت يدها به الى زوجها الذى كان القيصر كلاوديوس قد غضب عليه ٠

المخيفين ولم يعد أحد يأخـــذه مأخذ الجد ، والأطفال فى الحارة يشدونه من ثيابه ٠

دانتـــــــــون : رروبسبيير ؟

لاكــــــــــروا : أشار بأصبعه الى المنصة وقال : يجب أن تحكم الفضيلة بالرعب ٠ لقد جعلتنى عبارته أحس الألم فى رقبتى ٠

دانتـــــــــون : لأنها تنجر الواح الخشب للمقصلة ٠

لاكــــــــــروا : وصاح كوللو كمن مسته الشياطين : لابد من انتزاع الأقنعة !

دانتـــــــــون : اذن فسوف ينتزعون معها الوجوه ٠

(يدخل بارى)

لاكــــــــــروا : ماهى الأخبار يافابريسيوس ؟

بـــــــــــارى : تركت اليعاقبة وذهبت الى روبسبيير لأطلب منه تفســـيرا ٠٠ حاول أن يتظاهر بالحزن كأنه بروتوس وهو يضحى بأولاده(٤٥) ٠ تكلم عن الواجبات بوجه عام ، قال انه لا يعبأ فى سبيل الحـــرية بأى اعتبـــار ، وأنه لن يتردد عن التضـــحية بكل شىء ، بنفســـه وشـــقيقه وأصدقائه ٠

---

(٤٥) كان أولاد القنصل الرومانى لوسيوس جونيوس بروتوس ، الذى حرر البلاد من الملكية ، قد اشتركوا فى مؤامرة مع الملك المطرود ، ونفـذ فيهم حكم الاعدام أمام أبيهم ٠

دانتــــــــــون : لقد تكلم بوضوح · علينا أن نقلب السلم فحسب وبذلك يقف فى الدور الأسفل ويحمل السلم لأصحابه · نحن مدينون بالشكر لليجندر ، فقد جعلهم يتكلمون ·

لاكــــــــــروا : ان الهيبرتيين لم يموتوا بعد ، والشعب يعيش عيشة بائسة ، وهذا ثقل فظيع · ان كفة الدماء لا يجب أن تثقل ، حتى لا تتحول الى مشانق لاعضاء لجنة الاصلاح انه فى حاجة الى حمل يثقل دماغه ·

دانتــــــــــون : أعرف أن الثورة مثل ساتورن[٤٦] ، فهى تفترس أبناءها (بعد تفكير) ولكنهم لن يجرؤوا !

لاكــــــــــروا : دانتون · أنت قديس ميت · ولكن الثورة لا تعترف بالعظام الباقية ، لقد ألقت بعظام الملوك جميعا الى الشارع وقذفت بكل التماثيل من الكنائس · أتظن أنهم سيتركونك كتمثال أثرى ؟

دانتــــــــــون : اسمى ! الشعب !

لاكــــــــــروا : اسمك ! انك معتدل ، وكذلك أنا ، وكاميل ، وفيلييو وهيرو · والشعب يعتبر الاعتدال والضعف شيئا واحدا ، ولذلك يقتل كل من يتأخر ويتباطأ ، ان خياطى قسم القبعات

---

(٤٦) اله رومانى (يقابل خرونوس أو الزمن عند اليونان) وقد التهم ابناءه على اثر ولادتهم بعد ان قالت له النبوءة انهم سيزيحونه عن عرشه ·

الحمراء[٤٧] سيحسون بالتاريخ الرومانى كله على طرف ابرتهم[٤٨] ، اذا شعروا بأن رجل سبتمبر يقف منهم موقفا معتدلا .

دانتـــــــــون : هذا حقى . أضف اليه أن الشـــعب كالطفل الذى يصـــر على أن يكســـر كل شىء ليرى ما بداخله .

لاكـــــــــروا : أضف الى هذا أيضا يادانتون أننا كما يقول روبسبيير نرتكب الرذائل ، فنحن نستمتع ، فى حين أن الشعب فاضل ، أى لايستمتع لأن العمل أصاب حواسه بالصدأ ، ولا يسكر لأنه لايملك المال ، ولا يتردد على المواخـــير لأن رائحـة الجبن والرنجة تصعد من رقبته والآنســـات يشعرن بالاشمئزاز لذلك .

دانتـــــــــون : انه يكره القادرين على الاستمتاع كما يكره الخصى الرجال ..

لاكـــــــــروا : انهم يسموننا الأوغاد (يميل على أذن دانتون) وفى هذه التسمية ـ فيما بيننا ـ شىء من الحق . روبسبيير والشعب يتمسكان بالفضيلة .. سان جوست سيكتب رواية وباربر سيفصل

---

(٤٧) اى اليعاقبة .

(٤٨) أى سترتفع قيمة اليعاقبة لو تمكنوا من القضاء على رجل مثـل دانتون انقذ الثورة ذات يوم .

« كارمانيولا »(٤٩) · ويضـــع معطف الدماء حول جسم الجمعية و ···· اننى أرى كل شىء ·

دانتـــــــــون : أنت تحلم ·· لم تكن لديهم الشـــجاعة أبدا بدونى · لن تكون لديهم الشجاعة لمواجهتى · ان الثورة لم تنته بعد وقد يحتاجون الى · انهم سيحتفظون بى فى ترسانتهم ·

لاكــــــــروا : يجب أن نعمل شيئا ·

دانتـــــــــون : ســـنرى ·

لاكــــــــروا : الى أن يتم هذا سنكون قد ضعنا ·

مـــــــاريون : (لدانتون) شفتاك أصبحتا باردتين ، كلماتك خنقت قبلاتك ·

دانتـــــــــون : (لماريون) ما أكثر الوقت الذى ضيعناه ! كان الأولى أن نستفيد منه ! (للاكروا) · سأذهب غدا الى روبسبيير : سأثير غضبه ولن يستطيع أن يســـكت · الى الغد اذن ! طابت ليلتكم يا أصدقائى ! طابت ليلتكم ! اننى أشكركم !

لاكــــــــروا : تثبتوا يا أصدقائى الاعزاء ، تثبتوا ! طابت ليلتك يادانتون · ان أفخاذ الآنســـة ستفصل

---

(٤٩) الكارمانيولا اسم أغنية شعبية ثورية اطلقت بعد الثورة على سترة شعبية قصيرة بغير رقبة سميت كذلك سترة اليعاقبة ·

رقبتك عن جســـدك ، والمونس فنيريس(٥٠)
سيكون هو صخرتك الترابية(٢) (يخرج مع
بارى)

« حجــــرة »

روبسبيير ـ دانتون ـ بارى

روبســـــبيير . قلت لك ان من يمســـك بذراعى عندما أجرد سيفى فهو عدوى · لا أهمية بعد هذا لقصده ونيته ، ومن يحل بينى وبين الدفاع عن نفسى فهو يقتلنى تماما كما لو كان يهاجمنى ·

دانتـــــون : حيث يتوقف الدفاع عن النفس ، تبدأ جرائم القتل لست أرى سببا يحملنا على الاستمرار في القتل ·

روبســــبيير : ان الثورة الاجتماعية لم تنته بعد ، من يكتف من الثورة بنصفها يحفر لنفســـه قبرا · ان المجتمع المرفه لم يمت بعد ، والقوة الشـــعبية السليمة يجب أن تحل محل هذه الطبقة المتفشية فى كل اتجاه · يجب أن تلقى الرذيلة العقاب الرادع ، وتحكم الفضيلة عن طريق الرعب ·

دانتـــــون : أنا لا أفهم معنى لكلمة العقاب · أنت وفضيلتك ياروبسبيير ! انك لم تسرق ، ولم تستدن ، ولم

---

(٥٠) أى الجبل الوقور (٢) وهى القمة الجنوبية للتل الذى يقوم عليه بناء الكابيتول فى روما وقد كان يقذف بالمجرمين والخونة من فوقه ، والاشارة ذات معنى جنسى ·

تنم مع امرأة . تعودت دائما أن تلبس الثياب المحترمة ، لم تسكر أبدا فى حياتك . روبسبيير انك مستقيم الى حد مزعج. لو أننى عشت ثلاثين عاما بأكملها أدور بين السماء والأرض بنفس السحنة الأخلاقية لمجرد الاحساس بهذه اللذة البائسة التى تجعلنى أجد غيرى أسوأ منى ، لو فعلت هذا لخجلت من نفسى . أليس فى داخلك اذن شىء يهمس لك فى الخفاء قائلا : أنت تكذب ، تكذب ؟!

روبسبيير : ان ضميرى نقى .

دانتون : الضمير مرآة ، يعذب القرد نفسه أمامها ، كل انسان يتزين بقدر ما يستطيع ، ثم يمضى ليروح عن نفسه كما يشاء هذا شىء يستحق أن نشد من أجله شعور بعضنا ! من حق كل انسان أن يدفع عن نفسه اذا وجد من يفسد عليه مزاجه .

هل من حقك أن تجعل من المقصلة حوض غسيل للملابس المتسخة لغيرك من الناس ، ومن رؤوسهم المقطوعة كرات لازالة البقع من ثيابهم القذرة ، لمجرد انك تلبس دائما ثوبا منظفا بالفرشاة ؟

نعم من حقك أن تدافع عن نفسك اذا بصقوا عليه أو أحدثوا ثقوبا فيه ، ولكن ما شأنك بهم ماداموا يتركونك فى حالك؟ واذا كان لايضايقهم أن يدوروا هكذا فى الشوارع ، فهل يعطيك ذلك

الحق فى أن تحبسهم فى القبور ؟ هل أنت شرطى السماء ؟ اذا كنت لاتستطيع أن تنظر اليهم كما ينظر الهك العزيز فضع منديلك أمام عينيك ·

روبسبيير : هل تذكر الفضيلة ؟

دانتون : والرذيلة أيضا · ليس هناك الا أبيقوريون ، غلاظ ورفيقون ، وقد كان المسيح أرقهم · هذا هو الفارق الوحيد الذى أميز به الناس · كل انسان يتصرف على حسب طبيعته ، أى يعمل مايروقه · أليس شيئا فظيعا أن أدوس على كعب حذائك أيها النزيه ؟

روبسبيير : دانتون · ان الرذيلة فى بعض الأوقات خيانة ·

دانتون : لايجوز لك بحق السماء أن تحتقرها ، والا كان هذا جحودا منك · انك مدين لها بالكثير ، على الأقل بالضد المقابل لها ·· زد على هذا – لكى لا أبتعد عن أفكارك – ان معاركنا يجب أن توجه لصالح الجمهورية ، ولا يجوز أن نأخذ الأبرياء بذنب المجرمين ·

روبسبيير : من قال لك اذن ان أحد الأبرياء قد أصيب ؟

دانتون : هل سمعت يافابريسيوس ؟ لم يمت برىء واحد حتى الآن !

(ينصرف وهو يقول لبارى) لا يجب أن نضيع لحظة واحدة · يجب أن نكشف عن انفسنا !

(يخرج مع بارى)

روبسبيير : (وحده) اذهب ! يريد أن يوقف خيول الثورة أمام الماخور ، كما يفعل السائق بجياده المدربة، ولكنهم سيجدون القوة الكافية لسحبه الى ميدان الثورة . يدوس على كعب حذائى ! لكى لا أبتعد عن أفكارك ! ـ قف ! قف ! هذه هى الحقيقة ؟ ـ سيقولون ان هيئته العملاقة ألقت ظلالها الكثيرة على ، ولذلك عملت على ابعاده عن الشمس . ـ واذا كانوا صادقين فى قولهم ؟ ـ أهو أمر ضرورى حقا ؟ ـ نعم ! نعم ! الجمهورية ! لابد أن يذهب . من المضحك أن تراقب أفكارى بعضها البعض . ـ لابد أن يذهب . ان من يتوقف عن السير وسط الجماهير الزاحفة فهو يقاومها كما لو كان يمنع تقدمها : ولابد أن تدوسه الأقدام .

لن ندع سفينة الثورة تتحطم على تقديرات هؤلاء الناس الضحلة وشواطئهم الموحلة ، يجب علينا أن نقطع اليد التى تجرؤ على وقفها ، حتى ولو تشبثت بها بالاسنان ! فلتستأصل هذه الجماعة التى جردت الارستقراطية الحمراء من ملابسها وورثت عنها قروحها !

لا فضيلة ! ـ الفضيلة كعب حذائى ! ـ لكى لا أبتعد عن أفكارك ! ـ لماذا تلح على هذه الخواطر ؟ ألا أستطيع أن أتخلص من هذه الفكرة ؟ انها تشير دائما بأصبع دامية الى

هناك ! الى هناك ! وكلما حاولت أن الف الخرق حولها نفدت منها الدماء ! (بعد فترة صمت) لست أدرى من الذى يكذب فى صاحبه ·· (يتقدم الى النافذة) الليل منسدل فوق الأرض يغط فى نومه ويلتف فى حلم موحش · أفكار وأمانى لانكاد نحس بها ، مضطربة وغامضة ، تتوارى خائفة من ضوء النهار ، تتلقى الآن شكلا ورداء وتتسلل الى بيت الأحلام الساكن انها تفتح الأبواب ، تطل من النوافذ ، تتجسد وتمد أعضاءها فى النوم وتتمتم منها الشفاه ·

ـ أليست يقظتنا حلما ناصعا ؟ ألسنا نسير نياما ؟ أليست أفعالنا هى نفس الأفعال التى نقوم بها فى الحلم ، ولكن بصورة أوضح وأدق ؟ من الذى يستطيع أن يلومنا على هذا ؟ ان العقل ينجز فى ساعة واحدة من الأفعال الفكرية أكثر مما يقدر الكيان العضوى الكسول على انجازه فى أعوام · ان الخطيئة كامنة فى الفكرة · أما أن تصبح الفكرة عملا ، أو أن يؤديها الجسم بعد ذلك فهذا أمر متروك للصدفة ·

(يدخل سان جوست)

روبسبيير : ها ، من هناك فى الظلام ؟ ها ! نور ! نور !

سان جوست : هل تعرف صوتى ؟

روبسبيير : أنت ياسان جوست ! (احدى الخادمات تحضر مصباحا)

ســـان جوســت : هل كنت وحدك ؟

روبســـــبيير : دانتون كان هنا وذهب منذ لحظة ٠

ســـان جوســت : قابلته فى الطريق فى « القصر الملكى » كان يســتعرض جبهته الثورية ويتكلم بالحكم ، ويتحدث مع الرعاع(٥١) بغير كلفة ٠ وكانت البغـايا تمشى وراءه والناس يقفون مذهولين ويتهامسون بما يقوله ٠ – ســنضيع مزية الهجوم٠ الى متى تتردد ؟ ســنتصرف من غيرك ٠ لقد عزمنا على هذا ٠

روبســـــبيير : ماذا تريدون أن تفعلوا ؟

ســـان جوســت : نريد أن ندعو لجان التشريع والأمن والاصلاح الى اجتماع عام ٠

روبســـــبيير : تعقيد لاداعى له ٠

ســـان جوســت : يجب أن ندفن الجثة العظيمة باحترام ، كالكهنة لا كالقتلة ٠ لا يصح أن نشوهها ، بل يجب أن نوارى معها كل أعضائها ٠

روبســـــبيير : أوضح كلامك !

ســـان جوســت : يجب علينـــا أن ندفنه فى التراب وهو بكامل سلاحه وأن نذبح خيوله وعبيده على قبره : لاكروا ٠٠

---

(٥١) فى الأصل عديمى السراويل (Sans-Culottes) وهـــم طبقة من الرعاع والصـــعاليك الذين اشتهروا بهذا الاسم أيام الثورة الفرنسية ٠

روبسبيير : وغد حقيقى ، كاتب محام سابق ، وجنرال فرنسا فى الوقت الحاضر . استمروا .

سان جوست : هيرو ـ سيشيل .

روبسبيير : رأس جميل !

سان جوست : كان الحرف الأول الجميل فى وثائق الدستور ، لم نعد الآن فى حاجة الى هذه الحلية ، سنمحوها . فيليبو ، كاميل .

روبسبيير : وهذا أيضا ؟

سان جوست : (يناوله ورقة) أظن اقرأ !

روبسبيير : آه ! « الفرنسسكانى العجوز ! لاشىء غير هذا؟ انه طفل وقد ضحك عليكم .

سان جوست : اقرأ هنا ، هنا ! (يبين له وضعا بعينه)

روبسبيير : (يقرأ) « هذا المسيح الملطخ بالدماء فوق جبل جلجاثة(٥٢) بين زميليه كوتو وكوللو ، حيث يضحى ولا يضحى به . الاخوات البتول يقفن تحت المقصلة مثل مريم والمجدلية . سان جوست حبيب الى قلبه مثل يوحنا والمسيح وهو الذى يعرف المجلس بالوحى الذى يهبط

---

(٥٢) اشارة الى الجبل الذى صلب عليه السيد المسيح ، وبجانبه اللصان ، والاشارة الى روبسبيير الذى كان يشبه نفسه بالمخلص مع فارق واحد وهو أنه لا يقبل أن يصلب !

على المعلم ، انه يحمل رأسه كما يحمل القسيس وعاء السر المقدس .

سـان جوسـت : سـأجعله يحمل رأسـه كما حمله القديس دنيس(٥٣) .

روبسـبيير : (يواصل القراءة) هل نصدق أن سترة المسيح النظيفة هى كفن فرنسا ، وأن أصابعه النحيلة المرتعشة التى يشير بها الى المنصة هى سكاكين المقصلة ؟ وأنت ياباريز – أنت يامن قلت ان عملات النقود ستسك فى ميدان الثورة(٥٤) ! ومع ذلك فلسـت أريد أن أنكش الكيس القديم(٥٥) . انه أرملة تزوجت نصف دستة من الرجال ونجحت فى أن تقبرهم جميعا .. وهل لأحد يد فى هذا ؟ انها موهبة طبيعية . انه يرى السحنة الابقراطية(٥٦) على وجوه الناس قبل موتهم بنصف سنة .. ومن الذى يحب أن يجلس مع الجثث ويشم العفن ؟

---

(٥٣) سان دنيس أو القديس ديونكس ، قطعت رأسه فى باريس سنة ٢٧٢ .

(٥٤) أى ان كل رأس تسقط من رؤوس النبلاء انما تزيد الثورة قوة .

(٥٥) تلاعب بكنية باريز وهى فييساك (Vieuzac) (الأصح Vieux Sac) أى الكيس أو الشوال القديم .

(٥٦) اى يرى علامات الموت والانهيار على وجوههم ، من التعبير اللاتينى (Facies hyppocratica)

أنت كذلك يا كاميل ؟ ـ ليذهبوا جميعـــــا ! وبســــــرعة ! ان الأموات وحدهم هم الذين لا يرجعون . هل أعددت وثيقة الاتهام ؟ .

ســـان جوســت : اعدادها ســـهل .. لقد أشــــرت اليه عند اليعاقبة .

روبســـــــبيير : أردت أن أرعبهم .

ســـان جوســت : على أن أنفذ فحسب ، المزورون(٥٧) سيقدمون البيضة ، والأجانب(٥٨) التفاحة . ـ سيموتون من هذه الأكلة . أعدك بهذا .

روبســـــــبيير : اذن فلنسرع ! غدا ! لا نريد صراعا طويلا مع الموت ! لقد اشتدت حســـاسيتى فى الأيام الأخيرة . المهم أن نسرع ! (يخرج ســـان جوست)

روبســـــــبيير : (وحده) أجل ! المسيح الملطخ بالدماء . الذى يضحى ولا يضحى به . لقد خلصهم بدمه ، وأنا أخلصهم بدمائهم . جعلهم يذنبون ، وأنا أحمل الذنب على كتفى . أحس بلذة الألم ، وأنا أحس عذاب الجلاد . من منا الذى أنكر نفسه أكثر من صاحبه . أنا أم هو ؟ ـ ومع

---

(٥٧) اشارة الى المزورين الأربعة شابو بازير ، دى لونى وفابر دجلانتين الذين زوروا مرسوما يأخذون بمقتضاه مبالغ رشوة كبيرة عند تصفية شركة الهند الشرقية .

(٥٨) هم الاجانب المعتقلون فى فرنسا وقد حوكموا مع دانتون واتباعه .

ذلك ففى الفكرة نفسها نصيب من الحمق ·
ـ لماذا نتطلع جميعا اليه وحده ؟ حقا ان ابن الانسان يصلب فينا جميعا · كلنا يصارع فى بستان جتسمان(٥٩) فى عرقنا الذى يقطر دما ، ولكن لا أحد يخلص الآخر بجراحه · ياحبيبى كاميل ! ـ انهم جميعا يتركوننى ـ كل شىء حولى وحشة وخراب ـ اننى وحيد ·

---

(٥٩) بستان يقال ان صلب السيد المسيح تم فيه ·

الفصــل الثــانى

حجـــــرة

دانتون ـ لاكروا ـ فيليبو ـ بارى ـ كاميل ـ
دى مولان

كاميــــــــــــل : أسرع يا دانتون · ليس لدينا وقت نضيعه ·

دانتـــــــــــون : (يرتدى ملابسه) ولكن الوقت يضيعنا · ـ هذا شىء ممــل الى أقصــى حد ، أن نبدأ بالقميص ثم نلبس السروال فوقه ونتسلل الى الفراش بالليل ونتسلل منه فى الصباح ونقدم رجلا على الأخرى ، فلا يدرى الانسان كيف يمكن أن يتغير هذا كله ، هذا شىء محزن الى أقصى حد ، ويزيد من حزنه أن الملايين من الناس قد فعلوه من قبل ، وأن الملايين سيفعلونه فى المستقبل ، وأننا بالاضافة الى ذلك نتكون من نصــفين يقــومان بنفس الشىء بحيث يتضاعف كل فعل ـ انه شىء محزن حقا ·

كاميــــــــــــل أنت تتكلم كالأطفال تماما ·

دانتـــون : المشـــرفون على الموت يكونون فى الغالب كالأطفال ٠

لاكـــروا : انك بترددك هذا تلقى بنفسك الى الهلاك وتشد كل أصدقائك معك ٠ أبلغ الجبناء أن الوقت قد حان لكى يتجمعوا حولك ، ناد على سكان الوادى والجبل ! أطلق صـــيحتك عن طغيان الديســـمفير(١) ، تكلم عن الخناجر ، خاطب بروتوس ، وســـوف تزلزل المنابر من الرعب وتجمع حولك حتى أولئك الذين يهددونهم بأنهم مشـــتركون مع هيبير فى الجريمة ! يجب أن تطلق العنان لغضـــبك ٠ لا تتركنا على الأقل نموت منزوعى السلاح مهانين كما مات المخزى هيبير !

دانتـــون : ان ذاكرتك ضعيفة ٠ لقد ســـميتنى القديس الميت ٠ وكنت صادقا أكثر مما تظن أنت نفسك ٠٠ لقد كنت فى زيارة الاقسام ، كانت تبدو عليهم الهيبة والوقار ، ولكن كما تبدو على أهل الميت ٠ اننى بقية عظام ، وبقايا العظام يلقى بها فى الطريق ٠ كان معك الحق ٠

لاكـــروا : لماذا تركت الأمور تصل الى هذا الحد ؟

دانتـــون : الى هذا الحد ؟ حقا ٠٠ لقد أحسست بالملل من أن أتمشى دائما فى نفس الثوب وأضع على وجهى نفس التجاعيد! هذا شىء يثير الشفقة ٠

---

(١) ذى الرجال العشرة ، وقد مر ذكرهم ٠

أن تكون آلة بائسة ، يردد الوتر المشدود فوقها نفس النغمة ! ـ انه شىء لايحتمل أردت أن أيسر الأمر على نفسى • وقد وصلت الى هذا، ان الثورة تحيلنى على المعاش ، ولكن على غير ما كنت أتصور • ومع ذلك ، فعلام أستند ؟ ان عاهراتنا يســـتطعن أن يؤدين العمل الذى تقوم به الاخوات المتبتلات بجانب المقصلة ، ولست أعرف شيئا غير هذا • كل شىء يمكن أن يعد الآن على الأصابع : لقد أعلن اليعاقبة أن الفضـــيلة أصبحت فى جدول الأعمال ، وأتبـــاع كور ديلييه يلقبوننى جلاد هيبير ، والمستشار(٢) يكفر عن ذنبه ، والجمعية ـ ربما استطعنا أن نلجأ اليها ! ولكن سيأتى يوم مثل ٣١ مايو وحينئذ لن يرضوا بالتراجع • ان روبسبيير هو عقيدة الثورة ، ولا يجوز أن تمحى لا يصح أيضا أن يحدث هذا • اننا لم نصـــــــنع الثورة ، ولكن الثورة هى التى صنعتنا •

وحتى اذا تم ذلك ـ اننى أفضل أن تقطع رأسى على أن أتسبب فى قطع الرؤوس • لقد سئمت • ما الذى يدعونا نحن البشر الى أن نتصارع ؟ خير لنا أن نجلس بجانب بعضنا البعض وننعم بالهدوء • ان هناك غلطة ارتكبت

---

(٢) المقصود به شوميت ، زعيم المجلس القومى (الكومونه) وقد كان متفقا مع سياسة هيبير واتباعه ، ولكنه عارض التمرد الذى دبروه •

عندما خلقنا ، هناك شيء ينقصـــنا لا أدرى
كيف أسميه ولكننا لن نستطيع أن ننتزعه من
احشائنا ، فلماذا نحاول أن نشق أجسامنا ؟
اذهبوا ! اننا كيماويون تعساء(٣) !

كاميــــــــــل : وبصورة عاطفية اكثر حدة يمكن أن نسأل :
الى متى تظل البشـــرية على جوعها الأبدى
تفترس أعضاءها ؟ أو الى متى نظل نحن الذين
تحطمت سفينتهم عطاشا نمتص دماء بعضنا
بغـــير أن نرتوى ؟ أو الى متى نظل ، نحن
أصحاب الجبر(٤) نبحث فى اللحم البشرى عن
« س » المجهولة الممتنعة أبدا ونكتب مسائلنا
بأعضاء ممزقة ؟

دانتـــــــــون : أنت صدى قوى ..

كاميــــــــــل : أليس كذلك ؟ ان طلقة المسدس تدوى كقصف
الرعد . وهذا من مصلحتك . عليك أن تحتفظ
بى دائما الى جوارك .

فيليبـــــــــو : وهل تبقى فرنسا فى أيدى الجلادين ؟

دانتـــــــــون : وما الضرر ؟ ان الناس مستريحون لهذا .
انهم أشقياء الحظ ، وهل يطلب المرء اكثر من
هذا لكى يكون عاطفيا ، نبيلا ، فاضـــلا أو

---

(٣) بالمعنى المعروف عن الكيمياء فى أوائل العصور الوســيطة ، أى السحر الأسود أو فن تحويل المعادن الى ذهب والبحث عن حجر الفلاسفة .. الخ .

(٤) نسبة الى علم الجبر ..

ساخرا ، أو لكى يتخلص تماما من الملل ؟ ـ وسواء بعد ذلك أن يموتوا بالمقصلة أو بالحمى أو بالشيخوخة ! مازال أمامهم أن يختاروا ٠ فهم يدخلون وراء الكواليس يحركون أعضاءهم المرنة ويستطيعون قبل مغادرة المسرح أن يؤدوا حـــركات لطيفة ويســـتمعوا للمتفرجين وهم يصفقون لهم ٠ هذا كله شيء جميل ومناسب لنا ، فنحن نقف دائما على خشبة المسرح ، وان كنا نطعن فى النهاية طعنة جادة ٠ من الخير أن يختصر العمر قليلا، لقد كان الثوب طويلا جدا ، وعجزت أعضاؤنا عن ملئه ٠٠ ستصبح الحياة حكمة موجزة(٥) ، وهذا شيء لابأس به ، ومن لديه النفس أو الروح الذى يكفى للملحمة من خمسين أو ستين نشيدا ؟ لقد حان الوقت لنكف عن شرب القليل من عصير الروح(٦) من أحواض الغســـيل لنشربه من كئوس الخمرالمسكرة ، بهذا يمتلىء الفم ولولاه لما أمكننا أن نجمع بضـــع قطرات فى الاناء الغليظ ٠ وأخيرا ـ ليتنى أستطيع أن أصرخ ٠ هذا شيء لايستحق كل هذا العناء ٠ والحياة

---

(٥) الكلمة الأصلية هى الابيجرام التى يصـــعب أن نجد لها ترجمة مناسبة فالابيجرام قصيدة قصيرة كان يكتبها اليونان على شواهد القبور ثم تطورت فأصبحت شكلا أدبيا مستقلا ٠

(٦) محاولة لترجمة « الاسنس » وهو خلاصـــة مشـــروب أو نوع من العطور ٠

لا تستحق الجهد الذى يبذله الانسان فى سبيل المحافظة عليها ·

بـــــــارى : أهرب اذن يادانتون !

دانتـــــــون : هل يأخذ الانسان وطنه معه فى كعب حذائه ؟ وأخيرا ـ وهذا هو المهم ، فانهم لن يجرؤوا · (لكاميل) تعـــال يا بنى ، قلت لك انهم لن يجرؤوا ·· الوداع ·· الوداع !

(دانتون وكاميل يخرجان)

فيليبـــــــو : انه ذاهب الى هناك ·

لاكـــــــروا : ولا يؤمن بكلمة واحدة مما قاله · ياللكسل ! انه يفضل أن تقطع رأسه على أن يلقى خطبة ·

بـــــــارى : والعمـــل ؟

لاكـــــــروا : نذهب الى بيوتنا وندرس قضية محترمة مثلما فعل لوكرتسيا ·

* * *

« نزهـــــة »

رجـــال ونســـاء فى نزهة

مـــــــواطن : حبيبتى جاكلين ـ أردت أن أقول كورذ ···· أردت كور ···

سيمون : كورنيليا ياموطن .. كورنيليا .

المواطن : حبيبتى كورنيليا فرحت قلبى بمولود صغير ..

سيمون : أهدت الجمهورية ولدا .

المواطن : الجمهورية ؟ ولكن هذا تعبير عام جدا . ربما أمكننا أن نقول ..

سيمون : بالضبط ، يجب أن يهب الفرد نفسه للمجموع .

المواطن : آه ! نعم ! هذا ما تقوله زوجتى أيضا ..

مغن متجول : (يغنى) خبرونى .. خبرونى ..

ما الذى يلقى الرجال

من نعيم أو هناء ؟

المواطن : الاسم هو الذى يحيرنى الآن .

سيمون : سمه على بيكى أو مارا !

المغنى المتجول : من صباح لمساء

بين هم وعنـاء

وعذاب وشـقاء

المواطن : أفضل أن تكون ثلاثة أسـماء ان العدد ثلاثة له دائما جانبية خاصة . ثم أريد أن يكون الاسم شيئا نافعا وصحيحا . الآن وصلت اليه: فلوج (٧) ، روبسبيير . والثالث ؟

---

(٧) فلوج (Pflug) هو المحراث بالالمانية ، أما (Pike) فهى نوع من الحراب الطويلة كان يستخدمه المشاه فى أواخر العصور الوسطى ، ولعل المقصود بهذه الأسماء هو معانيها قبل حروفها .

ســــــــيمون : بيكى ٠٠

المــــــــواطن : أشكرك ياجارى ، بيكى ، فلوج ، روبسبيير كلها أسماء لطيفة ، حلوة على اللسان ٠

ســــــــيمون : اســمع كلامى ٠٠ ان ثدى زوجتك كورنيليا سيكون كضرع الذئبة الرومانية ٠٠ لا ، ليس هذا ما أريده : روسولوس(٨) كان طاغية ، لا ولا هذا أيضا ٠ (يسيران)

شــــــــحاذ : (يغنى) دى دنيا غرورة ، ودنيا زوال ٠٠

الهى ما تحتاج لذل السؤال ٠٠

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب ٠٠

ما باقى من الدنيا غير التراب ٠٠

الســــيد الأول : أنت ياجدع ! اشتغل ! الشبع ظاهر عليك !

الســــيد الثانى : خذ ! (يعطيه قطعة نقود) يده ناعمة كالقطيفة شىء مخجل !

الشــــــحاذ : سيدى ! لماذا اشتغلت ؟

الســــيد الثانى : يا أحمق ! لأشترى الثوب الذى على ٠

---

(٨) يقال انه هو الذى أسس روما مع شقيقه التوأم ريموس وكان كذلك أول ملك لها ، كما يروى انه ألقى بهما فى الجبال بعد ولادتهما فأرضعتهما ذئبة ورباهما راع وزوجته ٠

الشحاذ : عذبت نفسك لتحصل على متعة · لأن مثل هذا الثوب متعة ·· يمكن أيضا أن توفرها لك الخرقة البالية ··

السيد الثانى : بالطبع · والا أصبحت الحياة مستحيلة ·

الشحاذ : ليتنى كنت أحمق ان هذا شىء يحقق التوازن ·· الشمس دافئة على الناصية ، والمسألة تتم ببساطة ·

(يغنى)

ما باقى من الدنيا غير التراب

يا أهل المروءة يا أهل الثواب

روزالى : (لاديدلادة) خذى بالك ! العساكر قادمون ! من أمس لم نضع شيئا فى بطوننا ·

الشحاذ : (يغنى) على الأرض بختى وآخر نصيبى

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب !

ياستات هوانم ، يازينة الشباب !

جندى : حاسب عندك ! الى أين يا أولادى ؟ (لروزالى) كم سنك ؟

روزالى : سنى من سن أصبعى الصغير ·

الجندى : لسانك حامى ·

روزالى : وأنت كلك صدأ ·

الجندى : اذن أسن نفسى عليك ·

(يغني) :

ياحلوة ياقمـــورة
قولى لى ياشــطورة
الجـــــرح بيأذيكى
وبتشكى زى زمان ؟

روزالى : (تغنى)

لا أبدا ياحضرات
ياعساكر يا صولات
أنا عايزة منه كمان
أنا عايزة منه كمان !

(يظهر دانتون وكاميل)

دانتــــــون : أليس هذا شيئا ظريفا ؟ ـ اننى أشم شيئا فى الجو ، كأن الشمس تفرز الفحشاء والرذيلة ـ ألا يود الانسان أن يقفز وينزع ســـرواله عن جسده ويضاجعهم كالكلاب فى الحارة ؟

(يمران)

شـــــاب : آخ يامدام ! لحن الناقوس ، ضوء المساء على الأشجار ، بريق النجم ..

المـــــدام : عطر زهرة ! هذه الافراح الطبيعية ، هذه المتعة الخالصة التى توفرها الطبيعة ! (لابنتها)

انظرى ، يا أويجينى ، الفضيلة وحدها هى التى ترى هذا .

أويجينى : (تقبل يد أمها) آخ ياماما ! أنا لا أرى غيرك .

المــــدام : ياطفلتى الطيبة !

الشــــاب : (يهمس فى أذن أويجينى) هل ترين السيدة الجميلة التى تمشى هناك مع الرجل العجوز ؟

أويجينى : أنا أعرفها .

الشــــاب : يقال ان حلاقها قص شـــعرها على طريقة الأطفال .

أويجينى : (تضحك) طول لسان !

الشــــاب : الرجل العجـــوز يمشى بجوارها ، انه يرى البرعم يتفتح وينزهه فى الشـــمس ويظن أن المطر هو الذى جعله ينمو .

أويجينى : قلة أدب ! يكاد وجهى يحمر من الخجل .

الشــــاب : أما أنا فكان من الممكن أن يصـــفر وجهى .

(يخرجان)

دانتـــون : (لكاميل) لا تقل أين الجد فى هذا ! اننى لا أفهم لماذا لا يقف الناس فى الحارة ويضحكون فى وجوه بعضهم البعض . كان الواجب عليهم أن ينظروا الى النوافذ والقبور ويضحكوا ، وكان على السماء أن تنفجر من الضـــحك وتتمرغ الأرض على بطنها من الضحك .

(يخرجان)

السـيد الأول : أؤكد لك أنه اكتشـاف خارق للعادة ! كل الصناعات والفنون سيتغير وجهها قريبا • ان الانسانية تسرع بخطوات جبارة الى مصيرها المجيد •

السـيد الثانى : هل رأيت المسرحية الجديدة ؟ برج بابل ! خليط من الأقبية والسلالم والأروقة ، وكل هذا يرتفع فى الهواء فى خفة وجسارة • ان الانسـان يشعر بالدوار مع كل خطـوة • رأس عجيب (يقف مرتبكا) •

السـيد الأول : ماذا جرى لك ؟

السـيد الثانى : آه ! لاشىء ! يدك ياسيدى ! النقرة ـ هكذا ! أشكرك كنت على وشك الوقوع فيها ، كان من الممكن أن يحدث شىء خطير •

السـيد الأول : ولكنك لم تكن خائفا ؟

السـيد الثانى : نعم ! ان الأرض قشرة رقيقة ، اقول لنفسى دائما اننى قد أسقط فيها حيث يكون ثقب كهذا •• يجب أن يطأها بحذر فقد تنزلق قدمه •• ولكن لاتنس أن تذهب الى المسرح • اسـمع نصيحتى !

* * *

« حجـرة »

دانتون ـ كاميل ـ لوسـيل

كاميـل : صدقونى انه لم يقدم اليهم كل شىء فى نسخ خشبية ، موزعة بين المسارح وصالات الموسيقى

ومعارض الرسم · لم يستطيعوا أن يروا شيئا أو يسمعوا شيئا · ان صنع أحد دمية يظهر الحبل الذى تشد منه وتطقطق مفاصلها مع كل حركة على الوزن اليامبى(٩) قالوا يالها من شخصية ! ياله من اتقان ! ان أخذ أحد احساسا ، أو عبارة ، أو فكرة وألبسها سترة وسروالا ، وجعل لها يدين ورجلين ولون وجهه وجعل المخلوق المسكين يتعذب ثلاثة فصول بأكملها حتى يتزوج أو يطلق النار على نفسه فى النهاية صاحوا ياله من مثل أعلى ! ان لحن أحدهم أوبرا تصور كيف ترتفع العواطف وتنخفض فى الوجدان كما تصور الصفارة صوت البلبل هتفوا آخ ! يااللفن ! - اترك الناس تغادر المسرح الى الحارة : يااللواقع المحزن ! - ان الفنان الردىء ينسيهم الفنان الأكبر ، فهم لايسمعون ولا يرون شيئا من الخليقة التى تتوهج وتفور وتضىء فيهم وحولهم ، وتخلق نفسها فى كل لحظة خلقا جديدا ، انهم يذهبون الى المسرح ويقرءون الأشعار والروايات ، ويقلدون المسخ التى يجدونها فيها ويقولون لمخلوقات الله : كم هى

(٩) أحد بحور الشعر يتألف من أربع تفعيلات قوامها مقطع قصير يتبعه مقطع طويل و من مقطع مشدد النطق يتبعه مقطع غير مشدد ·

عادية ! ـ لقد فهم الاغريق ما كانوا يقولون حين رووا أن تمثال بيجماليون دبت فيه الحياة حقا ولكنه لم ينجب أطفال ٠

دانتــــــــون : والفنانون يعاملون الطبيعة معــاملة دافيد(١٠) الذى راح فى برود يرسم قتلى سبتمبر عندما ألقوا بهم من مغارة « الفورس » الى الشارع ويقول : اننى أسجل آخر اختلاجات الحياة فى هؤلاء الأشرار ٠

(دانتون يستدعى الى الخارج)

كاميــــــــل : ماذا تقولين يالوسيل ؟

لوســــــــيل : لاشىء ٠ أحب أن أنظر اليك وأنت تتكلم ٠

كاميــــــــل : هل تسمعيننى أيضا ؟

لوســــــــيل : بالطبع !

كاميــــــــل : هل أنا على حق ؟ أتعرفين ماذا قلت ؟

لوســــــــيل : فى الحقيقة لا ٠ (دانتون يعود)

كاميــــــــل : ماذا بك ؟

دانتــــــــون : قررت لجنة الاصلاح القبض على ٠ لقد حذرونى وعرضوا على مكانا ألجأ اليه ٠ انهم يريدون رأسى ، كما يحبون ٠ لقد سئمت الكســـل

---

(١٠) هو الرسام الشهير جاك لوى دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥) وقد كان من انصار روبسبيير ٠ ولد فى باريس ومات فى المنفى فى بروكسل ٠

والاهمال · فليأخذوه اذا شاءوا · وما أهمية هذا ؟ ساعرف كيف أموت بشجاعة ، هذا أسهل من الحياة التى أعيشها ·

كاميـــــــــــل : دانتون · مازال الوقت أمامك !

دانتـــــــــون : مستحيل ·· ولكننى لم أكن أتصور ··

كاميـــــــــــل : كســـلك !

دانتـــــــــون : لست كسولا ، بل متعب ، ان قدمى ملتهبتان ·

كاميـــــــــــل : الى أين ؟

دانتـــــــــون : نعم ، ومن يدرى ؟!

كاميـــــــــــل : أنا لا أمزح · الى أين ؟

دانتـــــــــون : أتنزه ياولدى ، أتنزه (ينصرف)

لوســـــــــيل : آه ! كاميل ·

كاميـــــــــــل : اهدئى ياطفلتى المحبوبة !

لوســـــــــيل : حين أتصور أن هذه الراس ·· ! كاميل ·· حبيبى ! هذا جنـــون ·· أليس كذلك ؟ أنا مجنونة ؟

كاميـــــــــــل : اهدئى · دانتون وأنا لسنا شخصا واحدا ·

لوســـــــــيل : الأرض واسعة ، وعليها أشياء كثيرة ـ لماذا اذن هذا الشىء بالذات ؟ من يجرؤ على أخذه منى ؟ سيكون شـــيئا محزنا · وما الذى سيفعلونه به ؟

كاميـــــــل : أكرر لك ماقلت : يمكنك أن تهدئى • لقد تكلمت أمس مع روبســبيير : كان لطيفا معى • ان أعصابنا متوترة بعض الشىء • هذا صحيح • اختلاف فى الرأى • ولاشىء غير هذا •

لوســــــيل : اذهب اليه !

كاميـــــــل : لقد كنا نجلس على مقعد واحد فى المدرسة • كان دائما متجهما ووحيدا • أنا الوحيد الذى كنت أتحدث معه وأضحكه أحيانا • لقد كان دائما يظهر حبه لى • أنا ذاهب •

لوســــــيل : بهذه السرعة ياصديقى ؟ اذهب ! تعال ! هذه القبلة فقط ! (تقبله) وهذه اذهب ! اذهب ! (ينصرف) هذا زمن شرير • وهكذا الأيام • من الذى يملك تغييرها ؟ لابد من الصبر •

(تغنى)

أنفترق ؟ ياويلتى ! أنفترق ؟

من الذى أوجد لفظ نفترق ؟

كيف خطر هذا على بالى ؟ كيف عرف الطريق من تلقاء نفسه ؟ لا ليس هذا علامة خير ـ عندما خرج خيل لى أنه لن يعود سيبتعد دائما عنى • دائما •• كم تبدو الحجـــرة خالية ، النوافذ مفتوحة ، كأن ميتا كان يرقد فيها •• اننى لا أحتمل البقاء هنا • (تنصرف)

« خـــلاء »

دانتـــــــــون : لا أريد أن أواصل السير · لا أريد أن أزعج هذا السكون بثرثرة خطاى ولهاث أنفاسى ·· (يجلس · بعد فترة صمت) لقد حكوا لى عن مرض يجعل الانسان يفقد ذاكرته · لابد أن الموت يشبهه فى هذا · ويراودنى الأمل أحيانا أن يكون أقوى أثرا وان يجعل الانسان يفقد كل شىء · لو كان الأمر كذلك ! ـ لجـــريت كمسيحى لأنقذ عدوا ، أعنى لأنقذ ذاكرتى ·

لابد أن المكان مأمون ، لذاكرتى لا لى ، القبر أكثر أمانا ، فهو على الأقـــل يمنحنى النسيان · انه يقتل ذاكرتى · ولكن ذاكرتى تحيا هناك وتقتلنى · أنا أوهى ؟ الجـــواب سهل · (يقف ويعود من نفس الطريق) أنا أداعب الموت ، انه شـــعور ممتع أن يغازله الانسان على البعد بمنظار مكبر ·· الحقيقة اننى لابد أن أضحك على التاريخ · ان الشعور بالبقاء هو الذى يقول لى : سيكون الغد وبعد الغد الى مالانهاية مثل اليوم · انها ضجة فارغة · يريدون أن يخيفونى ، لن يجرؤوا أبدا ! (يخرج)

* * *

« حجـــــرة »

ـ ليـــــل ـ

دانتون : (وهو يطل من النافذة) أليس لهذا كله نهاية ؟ ألن ينطفىء النور ويخمد الصوت ؟ ألن ينتشر السكون والظلام حتى لا نسمع أو نرى خطايانا البشعة ـ سبتمبر !

جولي : (تنادى من الداخل) دانتون : دانتون !

دانتون : هيه ؟

جولي : (تدخل) ماهذا الهتاف ؟

دانتون : هل هتفت ؟

جولي : كنت تتكلم عن الخطايا البشعة ، ثم تأوهت وقلت : سبتمبر !

دانتون : أنا ؟ أنا ؟ لا • لم أتكلم • لم يخطر هذا على بالى • كانت مجرد أفكار خفية هامسة •

جولي : أنت ترتعش يادانتون !

دانتون : كيف لا أرتعش والجدران تثرثر هكذا ؟ وجسدى قد تهشم الى حد أن أفكارى تتحدث قلقة حائرة بشفاه الأحجار ؟

جولي : جورج ! جورج حبيبى !

دانتون : أجل ياجولى • انه شىء غريب • لا أحب أن أفكر بعد الآن ، اذا كانت الأفكار تتكلم بهذه الطريقة • هناك ياجولى أفكار لايجب أن توجد الآذان التي تسمعها • ليس حسنا أن تصرخ عند ولادتها كما تصرخ الأطفال ، ليس حسنا •

جـــــــولى : ليحفظ الله عقلك ! ـ جورج ـ جورج ، هل تعرفنى ؟

دانتـــــــون : ولم لا ؟ أنت انسانة وامرأة وأنت أخيرا زوجتى والأرض فيها خمس قارات أوروبا وآســـيا وأفريقيا وأمريكا واستراليا ، واثنان مضروبين فى اثنين يساوى أربعة • اننى فى تمام عقلى • أرأيت • هل سمعتنى أصرخ : سبتمبر ؟ ألم تقولى شيئا كهذا ؟

جـــــــولى : نعم يادانتون • ملأت الصرخة الحجرة كلها •

دانتـــــــون : عندما اقتربت من النافذة (يطل على الشارع) كانت المدينة هادئة وكل الأنوار مطفأة ••

جـــــــولى : هناك طفل يصرخ بجوارنا ••

دانتـــــــون : عندما اقتربت من النافذة ـ كانت صـــرخة الاستغاثة تدوى فى كل الحارات : سبتمبر !

جـــــــولى : كنت تحلم يادانتون • عد الى نفسك !

دانتـــــــون : أحلم ؟ ـ نعم •• لقد كنت أحلم ومع ذلك فقد كان شيئا يختلف عن هذا •

سأصفه لك حالا ـ رأسى المسكين ضعيف ـ حالا ! نعم • الآن وصلت اليه : كانت الكرة الارضية تلهث تحتى وهى تتذبذب وتهتز ، كنت قد أمسكت بزمامها كأنها جواد شرس ، ورحت أغوص بأعضاء ضخمة فى خصلات عرفها وأضغط بكل قوة على ضلوعها

•• كان رأسى يتدلى الى أسفل،وشعرى يرفرف فوق الهاوية • وهكذا وجدتنى أجر جرا الى الأعماق • هناك صرخات فى فزع وصحوت من النوم • اتجهت الى النافذة ـ وهناك سمعتها ياجولى •

ماذا تريد هذه الكلمة منى ؟ لماذا تعود هى نفسها ؟ ما شأنى بها ؟ لماذا تمد نحوى يديها المخضبتين بالدماء ؟ لست أنا الذى أطلقها • ـ آه ! •• ساعدينى ياجولى ! ان حسى قد تبلد ! ألم يكن ذلك فى سبتمبر ياجولى ؟

جولى : كان الملوك على بعد أربعين ساعة فقط من باريس ••

دانتون : وكانت القلاع قد سقطت ، والارستقراطيون فى المدينة ••

جولى : كانت الجمهورية قد أوشكت على الضياع ••

دانتون : نعم على الضياع •• لم نستطع أن نترك العدو فى ظهورنا ، والا لكانت حماقة منا • كان هنالك عدوان يقفان على لوح واحد ، اما نحن أو هم ، والأقوى يطيح بالأضعف أليس هذا عدلا ؟

جولى : نعم •• نعم ••

دانتون : ضربناهم الضربة القاضية ـ لم يكن ذلك قتلا، بل حربا من الداخل •

جـــــــــولى : لقد أنقذت الوطن •

دانتـــــــــون : نعم ، لقد أنقذت الوطن ، كنا فى حالة دفاع عن النفس • كان لابد أن نفعل مافعلناه •• المخلص على الصليب هون الأمر على نفسه : لابد أن يأتى كدر ، ولكن الويل لمن يتسبب فى الكدر ! ـ لابد ! كل شىء جاء من هذه «اللابد» من يستطيع أن يلعن اليد التى نزلت عليها لعنة « لابد » ؟ من الذى نطق بهذه الكلمة ، من ؟ ما هذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ ـ نحن دمى ، تشدها قوى مجهولة من السلك المعلقة فيه • لاشىء • لسنا نحن أنفسنا ! فما نحن الا السيوف التى تتصارع بها الأشباح ـ لكن لا أحد يرى الأيدى التى تحملها ـ تماما كما يحدث فى الحواديت ـ الآن هدأت نفسى •

جـــــــــولى : هل هدأت تماما ، ياحبيبى ؟

دانتـــــــــون : نعم ياجولى ـ تعالى الى الفراش !

* * *

شـــــارع أمام بيت دانتون

سيمون ـ جنود من المواطنين

ســــــــيمون : كم تقدم الليل الآن ؟

المـــواطن الأول : ماذا فعل الليل ؟!

سـيمون : أقول كم تقدم الليل ؟

المـواطن الأول : مسافة ما بين شروق الشمس وغروبها ..

سـيمون : يا وغد ! أسألك كم الساعة !

المـواطن الأول : انظر الى الميناء ، فهو الوقت الذى يتوقف فيه البندول تحت اللحاف .

سـيمون : يجب أن نصعد اليه . هيا أيها المواطنون ! لقد تكفلنا لذلك برؤوسنا . حيا أو ميتا ! ان أعضاءه جبارة . سأتقدم أيها المواطنون .. لنشق للحرية طريقا . اعتنوا بزوجتى ! سأترك لها اكليلا من فروع البلوط .

المـواطن الأول : أكليل من البلوط ؟ سيسقط كل يوم فى حجرها على كل حال من ثمره مايكفى(١١) .

سـيمون : الى الامام ، أيها المواطنون ! ستؤدون خدمة جليلة للوطن !

المـواطن الثانى : ليت الوطن هو الذى يؤدى لنا خدمة ! من كل الثقوب التى خرمناها فى أجسام الناس ، لم يرتق ثقب واحد فى سراويلنا(١٢) .

---

(١١) فى كلمة ثمر البلوط تلاعب لفظى ، ربما تختفى وراءه اشارة جنسية .

(١٢) أى أن قطع الرؤوس لم يصلح من حال الشعب ولم يبدد من بؤسه وجوعه .

المـــواطن الأول : هل تحب أن يستروا ثقوب سروالك ؟ ها ! ها ! ها ! ها ! ها !

الآخــــــرون : ها ، ها ، ها !

ســــــيمون : هيا ! هيا !

(يدخلون بيت دانتون)

(الجمعية الوطنية)

« جمـــاعة من الأعضــــاء »

ليجنــــــدر : ألن يتوقف اذن ذبح الأعضاء ؟ من الذى يضمن الآن متى يسقط دانتون ؟

عضــــــو : وما العمل ؟

عضـــو آخــر : يجب أن يسمع صوته أمام الجمعية . ان نجاح هذه الوسيلة مؤكد ، وما الذى يستطيعون أن يردوا عليه ؟

عـــو آخــر : مستحيل . هناك قرار يمنعنا من ذلك .

ليجنــــــدر : يجب أن يسحب هذا القرار أو يسمح باستثناء خاص . سأقدم طلبا بذلك ، وســـأعتمد على تاييدكم ..

الــــــرئيس : فتحت الجلسة ..

ليجنــــــدر : (يصـــعد على المنصة) لقد ألقى القبض فى الليلة الماضية على أربعة من أعضاء الجمعية

الوطنية • وقد علمت أن دانتون هو أحد الذين تم القبض عليهم ، أما أسماء بقية الأعضاء فلا أعرفها • ليكن هؤلاء الأعضاء من يكونون، فكل ما أطالب به أن تسمع أقوالهم أمام الجمعية •• أيها المواطنون ، هأنذا أعلنها صريحة أمامكم : اننى أعد دانتون طاهر النفس مثلى تماما ، ولا أظن أن هناك أى مأخذ يمكن أن يوجه الى • لا أريد أن أتهم أحدا من أعضاء لجنة الاصلاح أو لجنة الأمن ، ولكن هناك أسبابا تجعلنى أخشى أن يكون الحقد الشخصى والعواطف الشخصية هى التى دفعت البعض الى أن ينتزعوا من الحرية رجالا أدوا لها أعظم الخدمات • ان الرجل الذى أنقذ فرنسا فى سنة ١٧٩٢ بعزيمته يستحق أن تسمع أقواله يجب أن يكون من حقه الدفاع عن نفسه اذا اتهمه أحد بالخيانة العظمى • (اضطراب بين الأعضاء) •

بعض الأصوات : نحن نؤيد اقتراح ليجندر •

أحد الأعضاء : نحن هنا باسم الشعب ، ولا يستطيع أحد أن يقصينا عن أماكننا الا بأرادة ناخبينا •

عضو آخر : كلماتكم تفوح منها رائحة الجثث ، لقد أخذتموها من أفواه الجيرونديين • هل تريدون امتيازات ؟ ان بلطة القانون تحوم فوق كل الرؤوس •

عضـــو آخـــر : لايمكننا أن نسمح للجان بأن تنتزع مشرعينا من ملجأ القانون لتبعث بهم الى المقصلة ·

عضـــو آخـــر : الجريمة لا ملجأ لها · المجرمون المتوجون هم وحدهم الذين يلجئون الى عروشهم ·

عضـــو آخـــر : الأشـــرار وحدهم هم الذين يطالبون بحق الالتجاء ·

عضـــو آخـــر : والقتلة وحـــدهم هم الذين لا يعترفون بهذا الحق ·

روبســـبيير : ان الاضطراب الغريب الذى يسود هذا الجمع من وقت طويل يثبت أن الأمر يتعلق بقضـــايا خطيرة · سوف يتقرر اليوم ان كان من حق بعض الرجال ان يفرحوا بالانتصار على الوطن ـ كيف يمكنكم أن تذهبوا فى التنكر لقوانينكم الىحد أن تمنحوا اليوم بعض الأفراد مامنعتموه بالأمس عن شابو وديلوناى وفابر ؟ ما معنى هذه التفرقة لصـــالح بعض الرجال ؟ وماذا تعنينى المدائح التى يغدقها البعض على أنفسهم وأصحابهم ؟ ان التجارب الكثيرة التى مرت بنا علمتنا أن نتبين قيمتها على حقيقتها · اننا لا نسأل ان كان الرجل قد قام بهذا العمـــل البطولى أو ذاك ، وانما نســـأل عن تاريخه السياسى كله ـ يبدو أن ليجندر لا يعـــرف اسماء المعتقلين ، بينما تعرفهم الجمعية كلها ·· ان صـــديقه لاكروا واحد منهم · لماذا يتظاهر بأنه لا يعرف هذا ؟ لأنه يعلم تمام

العلم أن الوقاحة وحـــدها هى التى يمكنها الدفاع عن لاكروا • انه لم يذكر الا اســـم دانتون لاعتقـــاده أن هذا الاســـم يرتبط به امتياز معين • لا • نحن لا نريد امتيازات ، نحن لا نريد أصناما ! (تصفيق) ماهو فضل دانتون على لافاييت وديموريية وبرسو وشابو وهيبير ؟ ماذا يمكن أن يقال عن هؤلاء ولايقال عنه ؟ هل أبقيتم عليهم ؟ ما الذى يميزه عن مواطنيه ؟ الآن بعض المخـدوعين فيه وبعض الذين لم يستطع خداعهم قد اصـــطفوا حوله لكى يلقى بهم فى أحضان السعادة والسلطة ؟ بقدر ما خدع الوطنيين الذين وضـــعوا ثقتهم فيه ، يجب أن يحس بقسوة أصدقاء الحرية •

يريد البعض أن يبث فى قلوبكم الخوف من سوء اســتعمال الســـلطة التى مارستموها بأنفسكم • انهم يصرخون من استبداد اللجان، وكأن الثقـة التى أهـــداها الشـــعب اليكم ووضعتموها فى هذه اللجان لاتكفى لكى تكون ضمانا أكيدا على وطنيتكم • انهم يصورونكم وكأنكم ترتعشون • ولكننى أقول لكم ان من يرتعش فى هذه اللحظة فهو مذنب ، لأن البراءة لاترتعش أبدا أمام يقظة الشعب (تصفيق عام) لقد أرادوا أيضا أن يرهبونى ، حـــاولوا أن يفهمونى أن الخطـــر الذى يقترب من دانتون يمكن أيضا أن يصـــل الى • لقد كتبوا الى يقولون ان أصدقاء دانتون يحاصروننى ، ظنا

منهم أن ذكريات صـــداقة قديمة أو الايمان الأعمى بالفضـائل الخادعة يمكن أن تجعلنى أخفف من حماسى وعاطفتى للحرية · ولكن هأنذا أعلنها أمامكم : ليس هناك شىء يمكنه أن يقف فى طريقى ، ولو تعرضت للخطر الذى يتعرض له الآن دانتون · نحن جميعا فى حاجة الى شىء من الشـــجاعة والكبرياء · ان المجرمين والسفلة هم الذين يخافون أن يروا أشباههم يسقطون الى جانبهم ، لأنهم اذا انفض شركاؤهم الذين يتخفون بينهم وجدوا أنفسهم يواجهون نور الحقيقة · واذا كان أمثال هؤلاء موجودين فى هذا الاجتماع ، ففيه كذلك غيرهم من الأبطال · ان عدد الأوغاد ليس كبيرا ، لم يزل أمامنـــا بعض الرؤوس التى يجب أن نقطعها وبذلك ننقذ الوطن · (تصفيق) اننى أطالب برفض اقتراح ليجندر · (يقف الأعضاء جميعا علامة الموافقة) ··

ســان جوسـت : يبدو أن فى هذا الجمـــع بعض الآذان التى لا تتحمل ســـماع كلمة « الدم » · ان بعض الخواطر العامة قد تقنعهم بأننا لسـنا أقسى من الطبيعة ولا أفظع من الزمان · ان الطبيعة تخضع فى هدوء وبغير مقاومة للقوانين التى تتحكم فيها ، وحيثما دخل الانسان فى صراع معهـــا قضى عليه · ان تغييرا يطـرأ على العناصر المكونة للهواء ، أو تأججا فى النار الكامنة فى جوف الأرض ، أو تذبذبا فى توازن

كتلة من المياه ، أو وباء أو انفجارا بركانيا أو فيضانا يمكنها جميعا أن تدفن ألوف البشر .. وماهى النتيجة ؟ تغيير تافه لايكاد يلاحظ فى مجموع الطبيعة الفزيائية ، تغيير كان من الممكن الا يترك وراءه أثرا لو لم توضع الجثث فى طريقها . اننى أسأل الآن : هل ينبغى على الطبيعة العاقلة فى ثوراتها أن تعطى للحياة من الاعتبار أكثر مما تفعل الطبيعة الفزيائية ؟ أليس من حق الفكرة كما هو من حق القانون الطبيعى أن تقضى على كل ما يقف فى طريقها؟ الا يجوز لحدث يغير بناء الطبيعة الأخلاقية كله ، أعنى يغير البشرية أن يتم عن طريق الدم؟ ان الروح الكونى يستخدم أذرعنا فى مجال العقل ، بمثل مايستخدم البركان والفيضانات فى مجال الطبيعة . وما أهمية أن يموت الناس بالوباء أو يموتوا بالثورة ؟!

ان خطوات البشرية بطيئة جدا ، ولا نستطيع أن نعدها الا بالقرون ، ووراء كل خطوة ترتفع قبور أجيال . ان الوصول الى أبسط الاكتشافات والمبادىء قد كلف الملايين من الناس حياتهم لكى يصلوا اليها . أليس من الطبيعى اذن أن تتقطع أنفاس بعض الناس فى وقت تتحرك فيه عجلة التاريخ بسرعة أكبر ؟ من هذا نستنتج بسرعة وبساطة : ان الجميع ماداموا قد خلقوا فى نفس الظروف ، فهم جميعا متساوون ، ولا

تقلل من ذلك الفروق التى أوجدتها الطبيعة بنفسها · ولذلك فلكل انسان أن يتمتع بفضائل تميزه من غيره ولكن ليس له أن يستأثر بحقوق يحرم منها سواه ، سواء فى ذلك الفرد أو الفئة الصغيرة أو الكبيرة من الأفراد — ان كل فقرة من هذه العبارة التى طبقت فى الواقع قد قتلت عددا من الناس وأيام ١٤ يولية و ١٠ أغسطس و٣١ مايو هى عـلامات التنقيط فيها · لقد احتاجت الى أربع سنوات لكى تنفذ فى العالم المادى ، ولو كنا فى ظروف عادية لاحتاجت الى قرن من الزمان والى أجيال عديدة لتضع فيها النقط على الحروف · فهل من العجيب اذن أن يلفظ نهر الثورة جثثه عند كل تقاطع أو عند كل منحنى جديد ؟

ان علينا أن نضـيف الى عبارتنا بعض النتائج ، فهل تمنعنا من ذلك بضع مئات من الجثث ؟ لقد قاد موسى قومه فشق بهم البحر الأحمر وعبر بهم الصحراء ، حتى قضى على الجيل القديم الفاسد واستطاع أن يقيم الدولة الجديدة · أيها المشرعون ! نحن لا نملك البحر الأحمر ولا الصـحراء ولكننا نملك الحرب والمقصلة !

ان الثورة أشبه ببنات بلياس(١٣) · فهى

(١٣) ملك تروى عنه الأساطير الاغريقية أن بناته مزقنه اربا وطبخنه بحجة اعادة الشباب اليه ···

تمزق البشرية اربا لكى تعيدها شابة من جديد
.. ان البشرية ستخرج من مرجل الدم كما
خرجت الأرض من الطوفان فتبعث بأعضاء
قوية شابة ، وكأنها خلقت لأول مرة .

(تصفيق حاد متصل . بعض الأعضاء يأخذهم
الحماس فيقفون)

اننا نطلب من كل اعداء الطغيان المنتشرين
فى أوروبا وعلى سطح الأرض كلها ، أولئك
الذين يخفون خنجر بروتوس تحت ثيابهم ،
نطلب منهم أن يشاركونا فى هذه اللحظة
المجيدة .

(ينشد الأعضاء وجمهور المستمعين النشيد
الوطنى الفرنسى « المرسلييز ») .

الفصـــل الثـــالث

(سجن اللوكسمبورج ـ قاعة بها مساجين)

(شوميت ـ بين ـ مرسييه ـ هيرو دى سيشيل ومساجين آخرون)

شـــــــوميت : (يشد بين من كمه) اسمع يابين ، قد يكون الأمـــر كما تقول ، فهكذا تســـلط على هذا الاحساس منذ قليل . أشعر اليوم بصداع . أرجوك أن تساعدنى قليلا بحججك المنطقية . اننى أحس بانقباض فظيع .

بـــــــين : تعال اذن أيها الفيلســـوف أناكساجوراس(١) سوف أعلمك على طريقة السؤال والجواب(٢)

---

(١) اشـــارة الى أناكســـا جوراس (حوالى ٤٢٧ ـ ٤٩٩ ق.م) من كلازومنياى ، فيلسوف وعالم طبيعى اغريقى كان صديقا لبريكليس ، فسر النشوء والفساد بأنهما تركيب وتحلل العناصر الاولية غير المتناهية فى العدد والصغر ، وقال بالعقل (نوس) مبدأ أول للوجود .

(٢) التعبير الأصلى هو « الكاتشية » (Katschismus) وهى نوع من التعليم الدينى على طريقة السؤال والجواب .

ليس هناك اله ، لأنه اما أن يكون الاله قد خلق العالم أولا يكون قد خلقه · فان لم يكن قد خلقه ، فالعالم يحمل علته فى ذاته ، وبذلك لا يكون هناك اله ، لأن الاله لا يكون الها حتى يحمل فى ذاته علة الوجود كله · ولكن لايمكن أن يكون الاله قد خلق العالم ، لأنه اما أن تكون الخليقة أزلية مثل الاله ، واما أن تكون لها بداية · فاذا صح الفرض الأخير فلابد أن يكون الاله قد خلقها فى لحظة زمنية محددة · يتحتم اذن أن يكون الاله قد أصبح فى وقت من الأوقات فعالا ، بعد أن استراح زمنا يمتد كالأزل أى يتحتم أن يكون قد عانى نوعا من التغيير فى ذاته يسـمح بتطبيق فكرة الزمن عليه ، وكلا الأمرين مخالف لماهية الاله ·· لا يمكن اذن أن يكون الاله قد خلق العالم ·· والا ما كنا نعلم الآن بوضوح تام أن العالم أو أن ذاتنا على الأقل موجودة ، وأنها بحسب ما تقدم لابد أن تحمل علتها فى ذاتها أو شيء آخر ليس هو الاله ، فلا يمكن تبعا لذلك أن يكون هناك اله · وهو ما أردنا اثباته(٣) ·

شـوميت : صدقت · ان هذا يضيء لى الطريق من جديد أشكرك · أشكرك !

---

(٣) هذه العبارة مكتوبة فى الأصل باللاتينية
(Quod erat demonstrandum.)

مرسييه : مهلا يا بين ! ولكن ماقولك اذا كانت الخليقة أزلية ؟

بين : عندئذ لاتكون خليقة ، عندئذ تكون هى والاله شيئا واحدا أو تكون صفة من صفاته كما يقول اسبينوزا ، بذلك يكون الاله قد حل فى كل شىء ، فيك ، أيها المحترم ، وفى الفيلسوف أنكساجوراس وفى . لو حدث هذا فلن يكون الأمر سيئا كما تتصور ، ولكن لابد أن تعترف بأنه لا يشرف الجلالة السماوية أن يحس الاله فى كل واحد منا بألم فى الاسنان أو يصاب بمرض تناسلى ، أو يدفن حيا أو يتخيل على الأقل أفظع التصورات عنها .

مرسييه : ولكن لابد مع ذلك أن تكون هناك علة .

بين : ومن الذى ينكر هذا ؟ ولكن من الذى يقول لك ان هذه العلة هى ما نتصور أنه هو الاله أى ما نتصور أنه الموجود الكامل ؟ هل تعتقد أن العالم كامل ؟ .

مرسييه : لا .

بين : كيف تريد اذن أن تستدل من المعلول الناقص على وجود العلة الكاملة ــ ان فولتير لم يجسر على افساد الأمر بينه وبين الاله ولا بينه وبين الملوك ، ولذلك فقد فعلها . ان من لا يملك غير العقل ومع ذلك لا يعرف أو لا يجد الشجاعة التى تجعله يستخدمه استخداما منطقيا فهو غشاش ومضلل .

مرســــــــيــيه : أريد أن أسأل سؤالا غير هذا : هل يمكن أن يكون للعلة الكاملة معلول كامل ؟ أعنى هل يمكن لموجود كامل أن يخلق موجودا كاملا ؟ أليس هذا مستحيلا ، لأن المخلوق لا يمكن أن يحمـــل علته فى ذاته ، وهو الأمر الذى يدل على الكمال كما قلت ؟

شـــــــــوميت : اسكت ! اسكت !

بـــــــــين : هدىء نفسك يافيلسوف ! ـ ان الحق معك ، ولكن اذا كان من الضرورى أن يخلق الاله واذا لم يكن فى اســـــتطاعته أن يخلق غير الموجودات الناقصــة ، فأولى به أن يترك كل شىء على ماهو عليه ٠ اليس طبعا بشــــريا خالصا ألا نستطيع تصور الاله الا من جهة الخلق ؟ ٠ ألاننا ننفعل دائما ونهذى لكى نقول لأنفسنا نحن موجودون يتحتم علينا أيضا أن نلصق هذه الحاجة التعيســــة بالاله ؟ ـ هل يتحتم علينا ، حين تستغرق روحنا فى حقيقة كائن سعيد أزلى مكتف بنفسه ومنسجم مع نفسه أن تفترض دائما أنه لابد أن يمد أصبعه ويجبل من العجين بشرا صغارا ؟ عن حاجة مفرطة الى الحب ،كما نتهامس بذلك فى آذان بعضنا البعض ؟ هل من الضرورى أن نفعل هذا كله لمجرد أن نجعل من أنفسنا ابناء للآلهة ؟ اننى أفضل أن أقنع باله أضعف شأنا ، فانا على أقل تقدير لن أستطيع أن أقول عنه انه قد أنشأنى فى حظائر الخنازير أو بين عبيد الحرب المقيدين

على أسطح السفن القديمة · تخلصوا من كل الموجودات الناقصة ، وعندئذ تستطيعون أن تثبتوا وجود الاله ، لقد حاول اسبينوزا ذلك ·

قد يستطيع الانسان أن ينكر وجود الشر ، ولكنه لن يستطيع أن ينكر وجود الألم ، العقل وحده يمكنه أن يبرهن على وجود الاله ، أما الشعور فيحتج عليه · انتبه يا انكساجوراس : لماذا أتعذب ؟ ان هذه هى صخرة الالحاد ·

ان أقل رعشة ألم ، ولو كانت فى ذرة ضئيلة تحدث صدعا فى الخليقة من أعلاها الى أسفلها ·

مرسييه : والأخلاق ؟

بين : انكم تبدءون باثبات وجود الاله عن طريق الأخلاق ، ثم تثبتون وجود الأخلاق عن طريق الاله ـ فماذا تريدون اذن بأخلاقكم هذه ؟ أنا لا أعرف أن كان هناك شر أو خير فى ذاته ، ولا أجد لذلك داعيا لتغيير سلوكى · اننى أتصرف بما يوافق طبيعتى ، فكل مايتلاءم معها فهو عندى خير وأنا أفعله ، وكل ما يتعارض معها فهو عندى شر ولا أقربه بل أدفعه عن نفسى اذا وقف عقبة فى طريقى · انك تستطيع، كما يقولون ، أن تظل على أخلاقك الفاضلة وأن تدافع عن نفسك ضد الرذيلة ، بغير أن يلزمك ذلك باحتقار خصومك وهو كما تعلم احساس مؤسف ·

شـــــــوميت : صادق ، عين الصدق !

هـــــــيرو : ونســـتطيع أيضـــا ، يا أيها الفيلســـوف أنكساجوراس ، أن نقول : لأجل أن يكون الاله كل شيء فلابد كذلك أن يكون الضد من ذاته ، أى أن يكون كاملا وناقصا ، وخيرا وشريرا ، وسعيدا وشقيا ، وســـتكون النتيجة بالطبع مساوية للصفر ، وسيلغى نفســـه بنفســـه ، وســـنصل فى النهاية الى العدم · ـ افرح يا انكســاجوراس ، فســـوف تنجو بنفسك ! انك تستطيع وأنت مطمئن أن تتعبد فى مدام مومورو[٤] أنفس تحفة أخرجتها الطبيعة ، فهى على أقل تقـــدير قد تركت أكاليل الورد التى تثبت ذلك فى جنبيك[٥] ·

شـــــــوميت : أشكركم من صميم قلبى ، ياسادتى ! (يخرج)

بـــــــــدين : انه لم يطمئن بعد ، سيطلب فى النهاية حسن الختام فيلتمس البركة من الكنيســـة ، ويمد قدميه ناحية القبلة ، ويطاهر نفسه ، لكى لايفوته طريق واحد ·

(يدخل الحراس دانتون ، ولاكروا ، وكاميل وفيلييو)

---

(٤) هى زوجة الطباع مومورو الذى أعـــدم مع هيبير ، وكانت فاتنة الجمال الى حد أن شوميت صورها فى كتابه « عبد العقل » واحدة من ربات الجمال ·

(٥) المقصود هو القروح التى تتركها الأمراض التناسلية فى هذا الموضع من الجسم ·

هيرو : (يندفع الى دانتون ويعانقه) صباح الخير ! لا بل يجب أن أقول مساء الخير لا أستطيع أن أسألك كيف نمت ـ كيف سننام ؟

دانتون : حسن · يجب على الانسان أن يذهب الى الفراش وهو يبتسم ··

مرسييه : (لبين) هذه الكلمة التى تحمل أجنحة الحمام! انه روح الثورة الشرير · لقد تجرأ على أمه . ولكنها كانت أقوى منه ·

بين : ان حياته وموته كلاهما نكبة فظيعة ·

لاكروا : (لدانتون) لم أتصور انك ستأتى بهذه السرعة ·

دانتون : كنت أعلم ، وقد حذرونى ·

لاكروا : ولم تقل شيئا ·

دانتون : عن أى شيء ؟ ان موت الفجأة هو أفضل أنواع الموت · هل كنت تريد أن تمرض قبله ؟ ثم اننى ـ لم أتصور أنهم يمكن أن يجرؤوا على ذلك · (لهيرو) الأفضل أن يرقد الانسان فى جوف الأرض على أن يمشى فوقها بقدمين متورمتين ، وأنا أحب أن تكون الأرض مخدتى على أن تكون الكرسى الذى أجلس عليه ·

هيرو : على الأقل لن تداعب خدى السيدة الجميلة التى يسمونها « الفساد » بأصابع مشققة ·

كاميل : (لدانتون) لا تتعب نفسك ! تستطيع أن تخرج لسانك الى أقصى مسافة تشاء ، فلن يمكنك أن

تلعق عرق الموت الذى يتصبب على جبينك ..
آه يالوسيل ! هذه تعاسة فظيعة !

دانتـــــــون : (لبين) ان ما قدمته لخير بلدك ، قد حاولت أنا أيضا أن أقدمه لبلدى . كنت أقل منك حظا . وهاهم يرسلوننى الى المقصـــلة ، ليفعلوا ما يشاءون ، فلن أتعثر .

مرســــــــيه : (لدانتون) ان دم الاثنين والعشرين يغرقك .

ســــــجين : (لهيرو) ان قوة الشـــعب وقوة العقل شىء واحد .

ســجين آخـــر : (لكاميل) والآن ، يامدعى الشنق العام ، ان اصلاحك للاضاءة فى الشوارع لم يزد الأمور وضوحا فى فرنسا(٦) .

ســجين آخـــر : دعوه ! فهاتان هما الشفتان اللتان نطقتا بكلمة « الرأفة » (يعانق كاميل ، ويتبعه فى ذلك عدد كبير من المساجين)

فيليبـــــــــو : نحن كهنة صلينا مع أموات ، لقد أصـــابتنا العدوى وها نحن نموت بنفس الوباء .

بعض الأصـوات : ان الضربة التى تصيبكم ستقتلنا جميعا .

كاميـــــــــل : سادتى ! اننى أرثى لجهـــودنا التى لم تؤت ثمرة .

---

(٦) يتلاعب المؤلف هنا بالكلمة التى تدل على المشنقة والمصباح فى آن واحد Lateme كما سبقت الإشارة الى ذلك .

.. الآن أذهب الى المقصلة لأننى نظرت الى مصير بعض الأشقياء فابتلت عيناى بالدموع .

« حجـــــــرة »

(فوكييه ـ تانفيـــل ـ هرمـــان)

فوكييـــــــــه : هل أعددت كل شىء ؟

هرمـــــــــان : سيكون من الصعب تنفيذ خطتنا . لو لم يكن دانتون بينهم لتم الأمر بسهولة .

فوكييـــــــــه : يجب أن نبدأ به .

هرمـــــــــان : سيبث الرعب فى قلوب المحلفين . انه هو خيال الصحراء (٧) الذى يخيف الثورة . هناك وسيلة ولكنها ستكون انتهاكا للشكل القانونى .

فوكييـــــــــه : هات ماعندك !

هرمـــــــــان : من رأيى الا نختـــار بالقـــرعة ، بل ننتقى المضمونين منهم .

فوكييـــــــــه : يجب أن يتم هذا . ـ يجب أن نشـــغل النار المطلوبة على الذور . انهم تسعة عشر وهم خليط ممتـــاز . المزيفون الأربعة ، ثم بعض رجال البنوك والأجانب . ستكون محكمة مثيرة .

---

(٧) أو خيال المآتة (الناطور) .

الشعب دائما فى حاجة الى مثل هذا · ـ علينا اذن بمن يعتمد عليها ! من على سبيل المثال ؟

هرمـــــــان : ليروا · انه أصم ولا يسمع لذلك شيئا من كل ما يقوله المتهمون · يستطيع دانتون أن يصرخ أمامه حتى يبح صوته !

فوكييـــــــه : عظيم جدا ، ومن غيره ؟

هرمـــــــان : فيلات ولومبير · احدهما يجلس دائمـــا فى الخمارة ، والآخر ينام على الدوام ، وكلاهما لا يفتح فمه الا ليقول « مذنب » ! وجيرار يسير على المبدأ القائل بأن من يقدم للمحاكمة لايجوز أن يفلت من العقاب · وريندوادان ·

فوكييـــــــه : وهذا أيضا ؟ لقد ساعد مرة بعض القسس على الافلات من المقصلة ·

هرمـــــــان : اطمئن · لقد جاء الى منذ أيام وطـــالب بأن نفصد بعض الدماء من المحكوم عليهم قبـــل تنفيذ الاعدام فيهم، لكى يصابوا قليلا بالضعف والهمود ، انه ســـاخط على موقف العنـاد والتحدى من جانبهم ·

فوكييـــــــه : آه ، عظيم جدا · اذن فأســـتطيع الاعتماد عليك ؟

هرمـــــــان : اترك لى حرية التصرف !

* * *

(لاكروا ـ دانتون ـ مرسييه وغيرهم من المساجين يقطعون الممر جيئـة وذهـابا)

لاكـــروا : (لأحد المساجين) ماذا ؟ كل هؤلاء التعساء ، وفى مثل هذا البؤس ؟

الســجين : ألم تقل لك العربات المسرعة الى المقصلة ان باريس قد أصبحت مجزرة ؟

مرسـييه : ألست معى يالاكروا ؟ ان المساواة تهز منجلها فوق كل الرؤوس ، وحمم الثورة تسـيل ، والمقصلة تنشر مبادىء الجمهورية ! الجمهور يصـفق ، والرومان يفركون أيديهم ، ولكنهم لايدرون ان كل كلمة من هذه الـكلمات هى حشرجة ضحية • ابحثوا وراء كلماتكم حيث تجسدت انظروا حولكم ، نقد نطقتم بهذا كله انه محـاكاة لكلماتكم بالايماءات وتعبيرات الوجوه • هؤلاء التعساء وجلادوهم والمقصلة التى ستقطع رؤوسـهم هم خطبكم التى دبت فيهـا الحيـاة • لقد بنيتم نظمكم كما بنى بايزيد(٨) أهرامه من رؤوس الناس •

دانتـون : صدقت ـ ان كل الأعمال فى هذه الأيام تسجل على لحم البشر • هذه هى لعنة العصر ••

---

(٨) سلطان تركى (١٣٤٧ ـ ١٤٠٣) فتـح آسيا الصـغرى وهزم المسيحيين فى نيكوبوليس (١٣٩٦) • أمر بذبح ثلاثة آلاف أسير حرب تعبيرا عن سخطه للخسائر التى فقدها فى تلك المعركة •

وسوف يستهلك جسدى أيضا · لقد انقضت سنة على انشاء محكمة الثورة · انني أرجو من الله والناس أن يغفروا لى ذلك · أردت الا تتكرر حوادث سبتمبر وما جرى فيها من جرائم القتل البشعة ، رجوت أن أنقذ الأبرياء، ولكن هذا القتل البطىء بكل اجراءاته الشكلية أكثر بشاعة وهو مثله لايمكن تلافيه · سادتى ، لقد كنت أرجـــو أن أخرجكم جميعا من هذا المكان ·

مرســــــــيه : آه ! وسنخرج منه حتما ·

دانتــــــــون : أنا الآن معكم · الســـماء وحدها تعلم كيف سينتهى هذا كله ·

* * *

محكمة الثــــورة

هرمـــــــان : (لدانتون) ما اسمك ، أيها المواطن ؟

دانتــــــــون : الثورة تعرف اسمى · عما قريب سيكون سكنى فى بيت العدم واسمى فى بانثيون(٩) التاريخ ·

هرمـــــــان : دانتون ! المجلس يوجه اليك تهمة التآمر مع

---

(٩) البانثيون : معبد مقام لجميع الالهه ، وبخاصة فى روما القديمة ، وفى باريس معبد تذكارى مشهور بهذا الاسم يضم رفات العظماء والمشاهير ·

ميرابو وديمورييه وأورليـــانز والجيرونديين والأجانب وأتباع لويس السابع عشر(١٠) ٠

دانتـــــــــون : ان صوتى الذى كثيرا ماسمعتموه يدوى دفاعا عن قضية الشـــعب سيرد هذا الافتراء بغير عناء٠ ليظهر هؤلاء التعساء الذين يتهموننى ، وســـوف ألطخهم بالعار ٠ ليحضـــر أعضاء اللجان الى هنا ، فلن أرد على الأســـئلة الا أمامهم ٠ اننى فى حاجة اليهم كمتهمين وشهود فعليهم أن يظهروا ٠

ومع ذلك ، فماذا يهمنى منكم ومن حكمكم؟ لقد سبق أن قلت لكم ان العدم سيكون عما قريب ملجئى ٠ ــ لقد أصبحت الحياة عبئا على ، فلتنزعوها عنى ان شئتم لأنى فى شوق أن أنفضها عن نفسى ٠

هرمـــــــــان : دانتون ٠ ان الجســـارة من طبيعة المجرم ، والهدوء من طبع البرىء ٠

دانتـــــــــون : ان الجسارة الفردية تستحق اللوم بغير شك ، اما تلك الجسارة الوطنية ، التى طالما أبديتها وطالما كافحت بها فى سبيل الحرية ، فهى أرفع الفضائل واعظمها شأنا ٠ انها جسارتى أنا ،

---

(١٠) هو لويس فيليب امير أورليانز ، وقد أصبح منذ عام ١٧٨٩ عضوا فى الجمعية الوطنية ثم فى المجلس الوطنى تحت اسم فيليب ايجـــاليتيه (المساواة) ٠ صوت بالموافقة على أعدام لويس السادس عشر ، ثم اتهم فى عام ١٧٩٣ بالسعى الى الملك وأعدم ٠

وهى التى ألجأ الآن اليها لصالح الجمهورية ولمواجهة أولئك التعساء الذين يتهموننى ...
هل يمكن أن أضبط نفسى ، بينما أراهم يفترون على هذا الافتراء الحقير ؟ لاينبغى أن ينتظر أحد من ثائر مثلى دفاعا باردا . ان الرجال من أمثـــالى لايمكن تقديرهم بثمن ، ان روح الحرية تطوف فوق جبينهم .

(عــلامات تصـــفيق وحمـــاس بين جمهور المستمعين) .

انهم يتهموننى باننى تآمــرت مع ميرابو وديمورييه وأورليانز ، وأننى ركعت عند أقدام المستبدين التعساء . انهم يطالبوننى بأن أرد على العدالة الصارمة المحتومة . أنت ياسان جوســت الحقير ســتكون مسـئولا عن هذا التجديف أمام الأجيال المقبلة !

هرمـــــــــان : اننى أطالبك بالرد على الأسئلة الموجهة اليك فى هدوء ــ تذكر « مارا » الذى وقف أمام قضاته فى خشوع .

دانتــــــــــون : لقد وضعتم أيديكم على حياتى كلها ، فمن حقها أن تشد عزيمتها وتقف فى وجهكم ، وسأعرف كيف أدفن هذه الأيدى تحت ثقل الأعمال التى أديتها . لست فخورا بهذا ــ فالقدر هو الذى يسحبنا من أيدينا ، ولكن أصـــحاب الطبائع الجبارة هم أدواته . لقد أعلنت الحرب على الملكية ونازلتها فى الميـــدان . هـــزمتها فى

العاشر من أغسطس وقتلتها فى الواحد والعشرين من يناير والقيت فى وجه الملوك براس ملك كأنه قفاز المبارزة ٠

(تتكرر علامات الحماس والتأييد بين المستمعين ٠ دانتون يمسك بوثائق الاتهام) ٠

كلما ألقيت نظرة على هذه الوثائق المخزية شعرت بكيانى كله يتزلزل ٠ أين اذن هؤلاء الذين ألحوا على دانتون بالظهور فى ذلك اليوم التاريخى ، اليوم العاشر من أغسطس ؟ أين اذن تلك الصفوة التى استمد منها قوته ؟ — فليظهر هؤلاء الذين يتهموننى ! اننى أطلب هذا وأنا فى كامل قواى العقلية ٠ سوف اكشف الأوغاد السفلة وأقذف بهم فى هاوية العدم التى لن يخرجوا منها رؤوسهم بعد اليوم ٠

هرمان : (يدق الجرس) الا تسمع الجرس ؟

دانتون : ان صوت انسان يدافع عن شرفه وحياته لابد أن يعلو على صوت جرسك ٠ لقد أطعمت شباب الثورة بأجسام الارستقراطيين الممزقة ٠ ان صوتى هو الذى صنع الأسلحة للشعب من ذهب الارستقراطيين والأغنياء ٠ وصوتى هو العاصفة التى دفنت اتباع الطغيان تحت عباب البنادق ٠ (تصفيق حاد) ٠

هرمان : دانتون ٠ لقد أجهدت صوتك ٠ انك فى غاية التاثر والانفعال ٠ ستختتم دفاعك فى المرة

القادمة . انك فى حاجة الى الراحة . رفعت الجلسة .

دانتـــــــون : عرفتم الآن من هو دانتون . لن تمر ساعات قليلة حتى ينام فى أحضان المجد .

« اللكسمبورج ســـجن »

« ديللون ـ لافلوت ـ حارس »

ديللـــــــون : ولد ! ، لاتسلط نور أنفك فى وجهى هكذا(١١) . ها ! ها ! ها !

لافلـــــــوت : أغلق فمك . ان هلالك يرسل الضوء حوله(١٢) ها ! ها ! ها !

الحـــــــارس : ها ! ها ! ها ! هل تعتقد ياسيد أنك ستستطيع أن تقرأ على ضوئك ؟

(يشير الى ورقة يحملها فى يده)

ديللـــــــون : هات !

الحـــــــارس : سيدى . ان هلالى قد تسبب فى حدوث الجزر عندى(١٣) .

---

(١١) أى لاتلتصق بى الى هذا الحد ، وفى العبارة اشارة جنسية .

(١٢) أى أن على انفك علامات مرض تناسلى ، والصورة مشتقة من الهلال وحوله السحب .

(١٣) اى بدد ماله على النساء أو الخمر .

لافلـــــــــوت : يبدو من سراويلله كأن الفيضان قد وقع[١٤] .

الحـــــــارس : لا انها تجذب الماء فحسب[١٥] (لديللون) لقد توارت ياسيدى أمام شمسكم يجب أن تعطونى شيئا ، حتى تشتعل فيها النار من جديد ، اذا كنتم تريدون أن تقرءوا على ضوئها .

ديللـــــــــون : هاك ياولد ! وأمسك نفسك ! (يعطيه نقودا فينصرف ـ ديللون يقرأ) أفزع دانتون المحكمة وترنح المحلفون وتذمر المستمعون . كان الزحام غير عادى . تدافع الشعب على قصر العدالة ووقف فى صفوف بلغت الى الجسور . حفنة من المال وذراع واحدة ـ هم ! هم ! (يذهب ويجىء ويصب فى كأسه بين حين وحين من زجاجة خمر) لو استطعت أن أضع قدمى على أرض الحارة ! لن أتركهم يذبحوننى بهذه الطريقة نعم ! أن أضع قدمى فى الحارة فقط !

لافلـــــــــوت : وفى العربات المسرعة الى المقصلة ، فكلاهما واحد .

ديللـــــــــون : أهذا هو رأيك ؟ بل ان بينهما بضع خطوات تكفى لكى تقاس بجثث الرجال العشرة[١٦] . لقد آن الأوان أخيرا لكى يرفع الشرفاء رؤوسهم .

---

(١٤) اشارة الى الاستثارة الجنسية .
(١٥) اشارة أخرى الى مرض تناسلى .
(١٦) الديسمفير أو الرجال العشرة .

لافلــــــــــوت : (لنفسه) وهذا أفضل ، لكى يسهل قطعها ··
استمر ياصديقى العجوز · بضعة كئوس أخرى
ويعتدل مزاجى !

ديللـــــــــون : هؤلاء الأوغاد ، الحمقى ، سيقطعون فى النهاية
رؤوسهم بأنفسهم ·

(يذرع المكان ذهابا وايابا)

لافلــــــــــوت : (يحدث نفسه على انفراد) يستطيع الانسان
أن يحب الحياة حبا مخلصا من جديد ، كأنه
طفله عندما وهبه الحياة ·· لا يتكرر كثيرا أن
يفجر الانسان مع المصادفة ويصبح أبا لنفسه ·
الأب والولد فى نفس الوقت ، ياله من أوديب
مريح !

ديللـــــــــون : ان الشعب لا يعيش على الجثث ، فلتلقى زوجتا
دانتون وكاميل النقود على الناس فذلك أفضل
من القاء الرؤوس عليهم ·

لافلــــــــــوت : (لنفسه)لن أنتزع عينى بعد ذلك من محجريهما
فربما احتجت اليهما لكى أبكى على الجنرال ·

ديللـــــــــون : هل وضعوا أيديهم حقا على دانتون ؟ ومن
يأمن بعد هذا على نفسه ؟ ان الخوف سيوحد
بينهم ·

لافلــــــــــوت : (على انفراد) لقد ضاع وانتهى · وما الضرر
فى ان أدوس على جثة لكى أخرج من القبر ؟

ديللـــــــــون : المهم أن أضع على أرض الحارة ! سأجد العدد
الكافى من الناس ، جنودا قدامى وجيرونديين،

ونبلاء سابقين ، سنقتحم السجون · لابد من التفاهم مع المساجين ·

لافلـــــــوت : (لنفسه على انفراد) المسألة تفوح منها طبعا رائحة النذالة · وما الضرر فى هذا ؟ ان لدى الرغبة فى تجربة ذلك أيضا · لقد ظللت حتى الآن ضيق الأفق · سيؤذبنى ضـــميرى وهذا نوع من التغيير · ليس مما يكدر النفس كثيرا ان يشم الانسان رائحة نتانته بنفســـه ـ لقد سئمت النظر الى المقصـــلة · ومللت كل هذا الانتظار ! جربتها بخيالى عشرين مرة · لم يعد فيها شىء يثير الانتباه · لقد أصـــبحت شيئا حقيرا ·

ديلــــــــون : يجب أن نرسل ورقة لزوجة دانتون ·

لافلـــــــوت : (لنفسه على انفراد) ثم اننى ـ لا أخاف من الموت ، بل من الألم · ربما سببت لى ألما ، ومن الذى يستحق هذا ؟ يقولون انها لا تستغرق الا لحظة واحدة ، ولكن للألم مقياسا زمنيا أدق ، انه يستطيع أن يقســـم جزءا على ستين من الثانية ·

لا ! ان الألم هو الخطيئة الوحيدة ، والعذاب هو الرذيلة الوحيدة · سأظل محتفظا بفضيلتى

ديلــــــــون : اســـمع يالافلوت !! أين ذهب الجوع ؟ معى نقود · يجب أن ننجح · لابد أن نصب الحديد · ان خطتى جاهزة ·

لافلـــــــــوت : حالا ! حالا ! اننى أعرف السجان ، وسأتكلم معه · يمكنك أن تعتمد على ، ياجـــنرال · ستخرج من هذا الجحر (لنفسه وهو ينصرف) لندخل فى غيره : سأدخل أنا الجحر الأوسع ، أى العالم ، وسيدخل هو الجحر الأضيق ، أى القبر ·

* * *

« لجنـــــة الاصــــــلاح »

(سان جوست ، بارير ، كوللو ديربوا ، بيللو ـ فارين »

بــــــــــــارير : ماذا يقول فوكييه فى كتابه ؟

ســـان جوســت : مر الاســـــتجواب الثانى · المساجين يطالبون بظهور عدد كبير من أعضـــاء الجمعية ولجنة الاصــــــلاح ، انهم يهيبون بالشـــــعب الامتناع عن الادلاء بأقوالهم · يبدو أن المشـــــاعر فى هياج لا يوصـــــف · ـ ولقــــد هزأ دانتــون بجوبيتر(١٧) وراح يهز خصلات شعره ·

كوللـــــــــــو : سيسهل هذا على شمشون أن يمسكه منه ·

بـــــــــــارير : يجب أن نمتنع عن الظهور ، فربما وجــــدت

---

(١٧) اكبر الالهه عند الرومان ، ويقابل زيوس عند الاغريق ·

صيادات السمك وجامعو الخرق أن شخصياتنا أضعف مما كانوا يظنون ·

بيللـــــــــو : ان الشعب يحب بغريزته أن يستذل ويحتقر حتى ولو كان ذلك بالنظـــرات وحدها · مثل هذه الوجوه المتعجرفة تعجبه · ومثل هذه الجباه أسوأ من شـــعارات النبلاء ، فأخبث أنواع الارستقراطية التى تحتقر الانسان تلتصق بها · ان كل من تسيئه نظرة فاحصة من أعلى الى أسفل يجب عليه أن يساعد فى تحطيمها ·

بـــــــــأرير : انه أشبه بسيجفريد ذى القرون ، وقد حصنته دماء المقتولين فى سبتمبر(١٨) من الجراح · ماذا يقول روبسبيير ؟

ســـان جوســت : انه يتظاهر بأن لديه شيئا يقوله · ــ يجب أن يعلن المحلفون أنهم قد اطلعوا على المعلومات الكافية ويجب أن يختموا المناقشات ·

بـــــــــارير : مستحيل · لايمكن أن يتم هذا ·

ســـان جوســت : يجب أن نتخلص منهم بأى ثمن ولو اضطررنا أن نخنقهم بأيدينا · تجرءوا ! هذه هى الكلمة التى تعلمناها من دانتـــون ولا يصـــح ان تضيع عبثا · ان الثورة لن تتعثر على جثثهم ، ولكن اذا بقى دانتون حيا فسوف يشدها من ثيابها(١٩) · وفى هيئته ما يوحى بأنه يستطيع أن يغتصب الحرية اذا شاء ·

---

(١٨) المقصود بهم ضحايا الثورة الذين سقطوا فى سبتمبر ١٧٩٢ ·
(١٩) اى سيوقف تقدمها المحتوم ·

(ينادى على ســـان جوســت · يدخل أحد السجانين)

السـجان : هناك مساجين فى ســان بيلاجى(٢٠) · فى النزع الأخير ، وهم يطلبون طبيبا ·

بيللـــو : لا ضـرورة لهذا · فهم يخففــون من عبء الجلاد ·

السـجان : بينهم نساء حوامل ·

بيللـــو : من مصـــلحتهن ، فلن يحتاج أطفالهن الى توابيت ·

بـــارير : ان السل الذى يصيب أحد الارستقراطيين يوفر على محكمة الثورة جلســة · كل دواء يقدم اليهم هو ضربة موجهة الى الثورة ·

كوللـــو : (يتناول ورقة) التماس ، باسم امرأة !

بـــارير : لابد أنها واحدة من هؤلاء الذين يحبون أن يخيروا بين خشبة المقصلة وفراش أحد اليعاقبة ·· انهن يمتن مثل لوكريتسيا(٢١) بعد ضياع شرفهن ، ولكنهن يتأخرن قليلا عن تلك السيدة الرومــانية : فيمتن بعد الولادة أو يمتن بالسرطان أو الشيخوخة · ربما لايكون طرد تاركوينيوس من الجمهورية الفاضـلة لاحدى العذارى أمرا سخيفا الى هذا الحد ·

---

(٢٠) احد السجون فى باريس ·
(٢٦) راجع الهامش الذى تقدم فى المشهد الثانى من الفصل الأول ·

كوللـــــــــو : انها عجوز جدا • المدام تطلب الموت وتحسن التعبير عن نفسها فتقول ان الســـجن يخنق أنفاسها مثل غطاء التابوت ، لقد قضت فيه أربعة أسابيع • الجواب سهل (يكتب ثم يقرأ ماكتبه) « أيتها المواطنة • لم يمض عليك من الوقت مايبرر طلبك للموت » •

(ينصرف الســـجان)

بــــــــارير : احسنت القول ! ولكن لا يصح ياكوللو أن تبدأ المقصلة فى الضحك ، والا زال خوفهم منها • يجب الا ترفع التكليف الى هذا الحد • (سان جوست يعود)

ســـان جوســت : تلقيت الآن تقرير اتهـــام • انهم يتآمرون فى السجن • وقد استطاع شاب اسمه لافلوت أن يكشف كل شىء • كان مع ديللون فى نفس الحجرة ، وقد شرب ديللون وبدأ يثرثر •

بــــــــارير : سيقطع رقبته بزجاجته • لقد حدث هذا أكثر من مرة •

ســـان جوســت : دبرت الخطة بحيث توزع زوجتا دانتون وكاميل النقود على الشعب ، ويهرب ديللون من السجن ويحرروا المساجين وينسفوا الجمعية الوطنية •

بــــــــارير : هذه حواديت عجائز •

ســـان جوســت : ولكننا سنعرف كيف نحكى لهم هذه الحواديت ليناموا • ان البلاغ فى يدى • أضف الى ذلك

وقاحة المتهمين ، وتذمر الشعب ، وذهول المحلفين ـ سأكتب تقريرا .

باريو : نعم ياسان جوست : هيا انظم عباراتك الرصينة التى تشبه كل شولة فيها ضربة سيف ، وكل نقطة رأسا مفصولا عن جسده !

سان جوست : يجب أن تصدر الجمعية قرارها ، وتواصل المحكمة نظر القضية ، كما يجب أن يكون من حقها استبعاد كل متهم يهين المحكمة أو يزعجها من الاشتراك فى المناقشة .

باريو : أنت ثورى بفطرتك ، ان ما تقوله يبدو عليه الاعتدال ومع ذلك فسوف يحدث أثره . انك لاتستطيع أن تصمت . يجب أن يصرخ دانتون .

سان جوست : اننى أعتمد على تأييدكم . فى الجمعية قوم مصابون بمرض دانتون وهم خائفون من العلاج المقترح . لقد واتتهم الشجاعة من جديد وسوف يصرخون احتجاجا على انتهاك حرمة الشكليات ..

باريو : (يقاطعه) سوف أقول لهم : لقد اتهم القنصل الرومانى الذى اكتشف مؤامرة كاتيلينا واعدم المجرمين على الفور بانتهاك حرمة الشكليات فمن هم أولئك الذين وجهوا اليه هذه التهمة ؟

كوللو : (يتأثر) اذهب ياسان جوست ! : ان حمم الثورة تسيل وسوف تخنق الحرية أولئك

الضعفاء الذين حاولوا أن يندسوا فى حضنها الجبار لينجبوا منها · سيظهر لهم جلال الشعب كما ظهر جوبيتر لسيميلى(٢٢) بين الرعد والبرق ويحولهم الى رماد · اذهب ياسان جوست ، سوف نساعدك فى القاء الصاعقة على رؤوس الجبناء ·

(يخرج سان جوست)

بـــاريز : هل سمعت كلمة العلاج ؟ سيجعلون من المقصلة دواء ناجعا لوباء اللذة · انهم لا يكافحون المعتدلين ، بل يكافحون الرذيلة ·

بيللـــو : طريقنا واحد حتى الآن ·

بـــاريز : ان روبسبيير يريد أن يجعل من الثورة قاعة محاضرات عن الأخلاق ومن المقصلة منبرا يعظ من فوقه ·

بيللـــو : أو كرسى اعتراف ·

كوللـــو : سيكون عليه الا يقف فوقه بل يرقد عليه ·

بـــاريز : سيتم هذا بسهولة · اذا صح أن الاشرار المزعومين يشنقهم الشرفاء المزعومون فلابد أن يسير العالم على رأسه ·

كوللـــو : (لباريز) متى ترجع الى كليشى ؟

---

(٢٢) تشكل جوبيتر (أوزيوس عند اليونان) فى صورة سحابة ليعانق ابنة ملك طيبة ·

بـــــــــــآرير : حين ينقطع الطبيب عن زيارتى ·

كوللــــــــــــر : أليس كذلك ؟ هناك علقت نجمة من الشعر يجف نخاعك تحت أشعتها المحرقة(٢٣) ·

بيللـــــــــــو : عما قريب ستشده أصابع ديمالى الساحرة من عموده الفقرى وتعلقه على الظهر كأنه خصلة من الشعر(٢٤) ·

بـــــــــــارير : (يهز كتفيه) صه : لا يجب أن يعلم صاحب الفضيلة(٢٥) عن ذلك شيئا !

بيللـــــــــــو : انه ماسونى عنين ·

(يخرج بيللو وكوللو)

بـــــــــــارير : (وحده) هؤلاء الوحوش ! ـ لم يمض عليك فى السجن مايبرر طلبك للموت ! كلمات كان ينبغى أن تجفف اللسان الذى نطق بها · وأنا ؟ عندما اقتحم رجال سبتمبر السجون ، أمسك سجين بسكين ، واندس بين صفوف القتلة ، وطعن بها قسيسا فى صـــدره فأنقذوه ! من يستطيع أن يعترض على هذا ؟ وما الفرق بين أن أندس بين صفوف القتلة ، أو أجلس فى

---

(٢٣) اشارة الى المرض التناسلى او الاثارة الجنسية ·

(٢٤) اى ستزيد من اثارته الجنسية · والملاحظ ان هذه التعبيرات الغليظة مستمدة من اللغة التى كانت سائدة فى عهد الثورة الفرنسية كما انها غير مقصودة لذاتها بل لتصوير الشخصيات ·

(٢٥) اى روبسبيير ·

لجنة الاصلاح ، أو أمسك بسكين المقصلة أو بمطواة ؟ انها نفس الحالة ، ولكن الظـروف هى التى تتعقد بعض الشىء ، وتظل الأوضاع الأســاسية واحدة لا تتغير ومادام قد اغتال واحدا ، ألم يكن من حقه أيضا أن يغتال اثنين وثلاثة ، وأكثر ، وأين الحد الذى يتوقف عنده؟ وتأتى حبات القمح ! هل تصنع حبتان كومة ، أم ثلاثة أم أربعـة ؟ كم حبة اذن ؟ تعـال ياضميرى ، تعالى يادجاجتى ، تعالى ، بى ! بى ! بى ! هذا هو علفك !

ومع ذلك ـ فهل كنت سجينا ؟ لقد كنت مشبوها ، وكلاهما فى النهاية سيان كان موتى مؤكدا ! (يخرج)

* * *

الكونسـيـيرى جرى(٢٦)

« لاكروا ـ دانتون ـ فيليبو ـ كاميل »

لاكـــروا : أجدت الصراخ يادانتون ، لو أنك ناضلت من قبل من أجل حياتك لتغيرت أحوالنا الآن ألست معى فى هذا ؟ اذن لما اقترب الموت منا بوقاحته

(٢٦) سجن مشهور فى باريس أقيم فى بناء قصر العدالة ، كان يوضع فيه المساجين قبل اقتيادهم الى المقصلة .

ولما فاحت رائحته النتنة من رقابنا ولا راح
يلح علينا ويزداد على الدوام الحاحا ؟

كاميـــــــــل : ليته اغتصب الواحد منا بالقوة وانتزع فريسته من الأعضاء الدافئة بالصراع والكفاح ! أما أن يلجأ الى كل هذه الشكليات كما يحدث فى زفاف امرأة عجوز ، فتوقع العقود ويستدعى الشهود ، ويقال آمين ويرفع اللحاف وتتسلل العروس العجوز بأعضـــائها البــاردة الى الفراش !

دانتـــــــون : ليته كان صراعا بالأذرع والاسنان ! اما الآن فأحس كأننى سقطت فى طاحونة ، وأن قوى الطبيعة الباردة تلوث أعضائى ببطء ونظام !
ما أتعس أن يموت الانسان هذه الميتة الآلية !

كاميـــــــــل : ثم يرقد هناك وحيدا ، باردا ، مشـــدودا ، يتصاعد حوله بخار الفساد الرطب ـ ربما كان الموت ينتزع الحياة من الأنســـجة بالتعذيب البطىء ـ وربما كان الانسان يفسد شـــيئا فشيئا وهو يشعر بكل شىء !

فيليبـــــــــو : اهدءوا يا أصدقائى ! نحن كزهرة الخريف التى لا تحمل البذور الا بعد أن ينقضى الشتاء، نحن لا نختلف عن الزهور التى تنقل من مكان الى مكان الا فى اننا ننتن قليلا(٢٧) أيحزنكم هذا الى هذا الحد ؟

---

(٢٧) فى الشتاء تموت الحياة الطبيعية فى أوربا وتذبل · والاشارة هنا الى الثوار الذين لابد لهم ان يموتوا لكى تحيا أفكارهم بين الناس ·

دانتـــــــون : مستقبل مطمئن ! من كومة روث الى كومة قمامة ! أليست هذه هى نظرية الطبقات الالهية من الدرجة الأولى الى الثانية ، ومن الثانية الى الثالثة وهكذا ، لقد سئمت الجلوس على مقاعد التلاميذ ، وتورم فخذاى كالقرد من كثرة ما جلست عليهما ٠

فيليبـــــــو : ماذا تريد اذن ؟٠

دانتـــــــون : الراحة ٠

فيليبـــــــو : انها عند الله ٠

دانتـــــــون : بل فى العدم حاول أن تستغرق فى شىء أكثر راحة وهدوءا من العدم ، واذا كانت الراحة القصوى هى الله ، إلا يكون العدم هو الله ؟ ولكننى ملحد ٠ هذه الجملة الملعونة : يستحيل على الشىء أن يصبح عدما ! وانا شىء ، وتلك هى الكارثة ! لقد اتسعت الخليقة الى حد انه لم يبق فيها فراغ ، بل امتــلأ كل شىء وازدحم ٠ قتل العدم نفســه والخليقة جرح ونحن قطرات الدم التى تسيل منه ٠ العالم هو القبر الذى نفسد فيه : ـ كل هذا يبدو ككلام المجانين ، ولكن فيه شيئا من الحقيقة ٠

كاميـــــــل : العالم كاليهودى الأبدى والعدم هو الموت ، ولكنه مستحيل ٠ آه لو امتنع الموت ، لو امتنع الموت ، كما تقول الأغنية ٠

دانتـــــــون : نحن جميعا قد دفنا أحياء ووضعنا كما يوضع الملوك فى توابيت مثلثة ومربعة ، تحت قبة

السماء ، فى بيوتنا ، فى ستراتنا وقمصاننا ـ ونظل خمســـين عاما بطولها نخدش غطاء التابوت · أجل ! من استطاع أن يؤمن بالفناء فربما أراح نفسه ! ـ لا أمل فى الموت ، فليس الا فسادا أبسط ، أما الحياة فهى فساد أكثر تعقيدا وتنظيمـــا · هذا هو الفارق الوحيد بينهما ! غير اننى قد تعودت على هذا النوع من الفساد ، ويعلم الشيطان وحده ماذا سأفعل مع نوع آخر ! آه ياجولى ! ماذا يحدث لى لو ذهبت وحدى! لو تركتنى وحيدا! ولو تحللت تحللا كاملا لأصبحت حفنة من التراب المعذب ولما وجدت كل ذرة من ذراتى الراحة الا لديها · لايمكننى أن أموت ، لا ، لايمكننى أن أموت : عليهم أن ينتزعوا كل قطرة حياة من أعضائى انتزاعا !

* * *

« حجـــــرة »

فوكييه ـ آمار ـ فولان

فوكييـــــــــه : ماعدت أدرى كيف أرد عليهم انهم يطـــالبون بتأليف لجنة ·

آمـــــــــــار : لقد جمعنا الأوغاد هاك ماتطلبه ·
(يناول فوكييه ورقة)

فـــــــــولان : سيرضيهم هذا ·

فوكييـــــــــــه : حقا ، لقد كنا فى حاجة اليه ·

آمـــــــــــار : اجتهد الآن أن تزيح المسألة عنا وعنهم ·

***

« محكمة الثـــورة »

دانتـــــــــون : الجمهورية فى خطر ، ويقول انه ليست لديه تعليمات ! نحن نتجه بندائنا الى الشعب · ان صوتى مازال قادرا على القاء خطب الوداع أمام جثث الرجال العشرة · اننى اكرر ماسبق ان قلته : نحن نطالب بلجنة سنكشف عن أسرار هامة · اننى سأعتصم بقلعة العقل ، وسأخرج منها وفى يدى مدفع الحقيقــة · وســأسحق اعدائى · (علامات تأييد) ·

(يدخل فوكييه وآمار وفولان)

فوكييـــــــــه : باسم الجمهورية أطالبكم بالهدوء واحـــترام القانون ! لقد قررت الجمعية مايلى :

نظرا لما ظهر فى الســـجون من علامات العصيان، ونظرا لما ثبت من أن زوجتى دانتون وكاميل ستقومان بتوزيع النقود على أفـــراد الشعب ، وان الجنرال ديللون يدبر الهروب من الســـجن وقيادة المتمردين لتحرير المتهمين ،

ونظرا لأن هؤلاء قد حاولوا اثارة الشعب واهانة المحكمة فقد فوضت المحكمة بالاستمرار فى نظر القضية واستبعاد كل متهم لايحترم القوانين الاحترام الواجب ·

دانتون : اننى أسأل الحاضرين : هل أهنا المحكمة أو الشعب أو الجمعية الوطنية ؟

أصوات كثيرة : لا ! لا !

كاميل : السفلة ! يريدون أن يقتلوا زوجتى لوسيل !

دانتون : سيعلم الناس الحقيقة يوما ما · اننى أرى كارثة فظيعة تزحف على فرنسا · هذه هى الدكتاتورية · لقد مزقت قناعها ، وهى الآن تشمخ بجبهتها وتخطو فوق جثثنا (مشيرا الى آمار وفولان) انظروا الى القتلة الجبناء ! انظروا غربان لجنة الاصلاح ! أنا أتهم روبسبيير وسان جوست وجلاديهم بالخيانة العظمى – انهم يريدون أن يغرقوا الجمهورية فى بحر من الدماء · ان الآثار التى تتركها العربات المسرعة الى المقصلة هى الطرق العريضة التى سينفذ منها الأجانب الى قلب الوطن ·

الى متى تظل آثار أقدام الحرية قبورا : انكم تريدون الخبز ، وهم يلقون اليكم بالرؤوس ! انكم تموتون من العطش وهم يطلبون منكم أن تلعقوا الدماء التى تسيل على درجات المقصلة !

(حركة عنيفة بين جمهور الحاضـــرين ·· صيحات تأييد)

اصـــوات كثيرة : عاش دانتون ·· يسقط الرجال العشرة !!

(الحراس يخرجون المساجين بالقوة)

***

« امام قصر العدالة »

« مجموعة من افـــراد الشـــعب »

بعض الأصــوات : يسقط العشرة ! يحيا دانتون !

المـــواطن الأول : حقا ! الرؤوس بدل الخبز ، والدم بدل النبيذ !

بعض النســـــاء : المقصلة طاحونة سيئة وشمشون خباز ردىء · نريد الخبز ! الخبز !

المـــواطن الثانى : خبزكم التهمه دانتون · رأسه ســـتعيد الخبز اليكم جميعا · لقد كان معه الحق ·

المـــواطن الأول : كان دانتون معنا فى العاشر من اغسطس ، وكان معنا فى سبتمبر · أين كان هؤلاء الذين يتهمونه اليوم ؟

المـــواطن الثانى : ولافاييت كان معكم فى فرساى وكان مع ذلك خائفا ·

المـــواطن الأول : من الذى يقول ان دانتون خائن ؟

المـــواطن الثانى : روبسبيير ..

المـــواطن الأول : وروبسبيير خائن أيضا !

المـــواطن الثانى : من الذى يقول هذا ؟

المـــواطن الأول : دانتون .

المـــواطن الثانى : دانتون يرتدى الثياب الجميلة ، يسكن فى بيت جميـــل ، دانتون متزوج من امرأة جميلة . دانتون يستحم فى نبيذ البرجوندر ، ويأكل لحم الغزلان فى أطباق فضية ، واذا سكر نام مع زوجاتكم وبناتكم . كان دانتون فقيرا مثلكم . لقد اشترى له الفيتو[٢٨] كل هذا ، لكى ينقذ تاجه . وأهداه أمير أورليانز كل هذا ، لكى يســـرق له التاج ، وأعطاه الأجنبى كل هذا ، لكى يخونكم جميعا . ماذا يملك روبسبيير ؟ روبسبيير العفيف انكم جميعا تعرفونه .

الجميــــــــــــع : يحيا روبسبيير ! يسقط دانتون ! يسقط الخائن!

---

(٢٨) كناية عن الملك الذى كان يملك وحده حق الاعتراض (الفيتو) كما تقدم . وفى العبارة غمز بتآمر دانتون مع الملكيين .

الفصـــل الرابـــع

حجـــــرة

جـــولى ـ غـــــلام

جـــــــــــولى : انتهى كل شىء ·· لقد ارتعشـــوا أمامه ·· سيقتلونه خوفا منه · اذهب ! أعرفه أننى رأيته لآخر مرة · قل له اننى لا أستطيع أن أراه وهو فى هذه الحال · (تعطيه خصلة شعر) خذ · أعطه هذه الخصلة وقل له انه لن يذهب وحده الى هناك · هو يفهم ما أريد · ثم عد بسرعة ، لأقرأ نظراته فى عينيك ·

***

« شـــــارع »

دومـــا ـ مـــواطن

المـــــــــواطن : كيف يمكن الحكم بالاعدام على كل هذا العدد من الابرياء بعد استجواب كهذا ؟

دومـــــــــا : هذا فى الواقع شىء غير عادى ، ولكن رجال الثورة لديهم احساس لا يوجد عند غيرهم من الناس ، وهذا الاحساس لا يخدعهم أبدا ٠

المـــــــواطن : انه احساس النمر ٠٠ أنت متزوج ؟

دومـــــــــا : سأصبح عما قريب زوجا سابقا ٠

المـــــــواطن : اذن فالخبر صحيح ؟

دومـــــــــا : ستقضى محكمة الثورة بطلاقنا وستفرق المقصلة بيننا على المائدة والفراش ٠

المـــــــواطن : أنت متوحش ٠٠

دومـــــــــا : يا أبله ! هل أنت معجب ببروتوس ؟

المـــــــواطن : من كل قلبى ٠

دومـــــــــا : هل يتحتم أن يكون المرء قنصلا رومانيا وأن يغطى رأسه بالتوجا(١) لكى يقدم حبيبه ضحية الى الوطن ؟ سوف أمسح عينى بكم بذلتى الرسمية الحمراء ، هذا هو كل الفرق ٠

المـــــــواطن : شىء مفزع !

دومـــــــــا : اذهب انك لا تفهمنى !

(ينصرفان)

---

(١) رداء رومانى قديم ٠ (انظر التعليق السابق فى المشهد الخامس من الفصل الأول) ٠

« فى الكونسييرجرى »

(لاكروا وهيرو راقدين على سرير

دانتون وكاميل على سرير آخر)

لاكروا : طالت شعورنا وأظافرنا الى حد مخجل ·

هيرو : احترس قليلا · انك تعطس فى وجهى وتملؤه رملا !

لاكروا : وأنت أيضا ياعزيزى ، لاتدس على قدمى ، فأصابعى متورمة !

هيرو : وأنت تعانى كذلك من الحشرات ·

لاكروا : آه لو استطعت أن أتخلص من الديدان !

هيرو : والآن · أتمنى لك نوما هادئا ! ان المكان ضيق وعلينا أن ننظر كيف يتسع لنا · لاتخدشنى بأظافرك وأنا نائم ! هكذا ! لاتشد الكفن هكذا، فالدنيا برد !

دانتون : أجل ياكاميل · غدا نصبح أحذية بالية ، يقذفون بها فى حجر الأرض(٢) المتسولة ·

كاميل : أو جلد الثيران الذى تصنع منه الملائكة الشباشب التى تتخبط بها فوق الأرض ، كما

---

(٢) لعلها اشارة الى ان الرجال يضنون انفسهم لتنعم النساء ، وهى شكوى أزلية !

يقول أفلاطون · آه ياحبيبتى لوسيل ! هذا هو مصيرنا !

دانتـــــــون : اهدأ ياولدى !

كاميــــــــل : وهل أقدر ؟ أتعتقد يادانتون أننى أقدر على هذا ؟ لايمكنهم أن يضعوا أيديهم عليها ! ان نور الجمال الذى يتدفق من جسدها العذب لن ينطفىء · والأرض لن تجرؤ أن تطمرها تحت التراب ، بل سوف تجعل من نفسها قبوا يحيط بها ، وبخار القبر سيلمع كالندى على رموشها والبلور سيتألق كالأزهار حول أعضـــائها ، والينابيع الصافية ســـتهمس فى أذنيها وهى نائمة ·

دانتـــــــون : نم ياولدى ! نم !

كاميــــــــل : اسمع يادانتون · من التعاسة أن يفرض علينا الموت · ثم انه لايفيد فى شىء · لازالت لدى الرغبة فى أن أسرق النظرات الأخيرة من عينى الحياة الجميلتين ، أريد أن تظـــل عينـــاى مفتوحتين ··

دانتـــــــون : ستضطر أن تفتحهما على كل حال فان شمشون لا يغمض عينى أحد · النوم ارحم · نم ياولدى نم !

كاميــــــــل : لوسيل ! قبلاتك تداعب شفتى كالخيال · كل قبلة تصبح حلما تضمه عيناى بشدة ·

دانتـــــــــون : الا تريد الساعة ان تهدأ ؟ ان كل دقة تضيق الجدران على شيئا فشيئا حتى تصبح خانقة كالتابوت . عند ماكنت طفـــلا قرأت حكاية كهذه ، ووقف شعرى كالجبل ، نعم ! عندما كنت طفلا ! أكان شيئا يســـتحق العناء أن اتغذى وأكبر واتدفأ .. كل هذا الجهد من أجل حفار القبور !! يخيل لى الآن كأننى أشم رائحتى . ياجسدى العزيز ! أريد أن أســد أنفى وأتصورك امرأة رقصت كثيرا فتصبب منها العرق وصعدت رائحتها الكريهة ، وأريد أن أداعبك وأهمس لك بأشــياء عجيبة . كم تعودنا أن نقضى الوقت معا ونتسلى أكثر مما نفعل الآن . غدا ســتكون كمانا مكسورا ، ماتت الألحـــان عليه . غدا ستصبح زجاجة فارغة نفد مافيها من نبيذ غير أننى لم أســـكر منه ، وسأذهب الى فراشى وأنا يقظ الحواس ـ ما أسعد الذين لايزال فى قدرتهم أن ينتشوا بالخمر ! غدا ستكون سروالا باليا . يلقى بك فى دولاب الملابس ، وتفترسك العثة ، وتنتن رائحتك كما تشاء !

آه ! كل هذا لانفع منه ! أجل ! من التعاسة أن يفرض الموت على الانسان . الموت . يهزأ بالميــلاد . وعندما نموت نعود عرايا عاجزين كالولدان الصغار . صحيح أنهم يلفوننا فى

الكفن . ولكن ما الفائدة ؟ ربما نتأوه فى اللحد كما تأوهنا فى المهد .

كاميـــــــل : لقد نام (وهو ينحنى عليه) الحلم يداعب أجفانه . لا . لا أريد أن أمسح حبات الندى الذهبية عن عينيه . (ينهض واقفا ويتجه الى النافذة) لن أذهب وحدى . أشكرك ياجولى ! ومع ذلك فقد كنت أفضل أن أموت ميتة أخرى بلا جهد أو عناء ، كما يسقط النجم ، أو يخمد نغم أو يقتل انسان نفسه من القبل ، يدفن شعاع نفسه فى المياه الصافية النجوم منثورة فى الليل كأنها دموع متألقة ، لابد أن تكون العين التى تترقرق منها حزينة حزنا لا يوصف ..

كاميـــــــل : آه ! (يقف فى فراشه ويتلمس السقف) ..

دانتـــــــون : ماذا بك ياكاميل ؟

كاميـــــــل : آه ! آه !

دانتـــــــون : (يهزه بشدة) أتريد أن تسقط السّقف علينا ؟

كاميـــــــل : آه ! أنت ! أنت ! امسكنى ! تكلم !

دانتـــــــون : كل أعضائك تهتز .. العرق يتصبب على جبينك .

كاميـــــــل : هذا أنت .. وهذا أنا .. هذه يدى ! نعم نعم ! الآن تذكرت .. آه يا دانتون ! لقد كان شيئا مفزعا ..

دانتـــــــون : وما هو اذن ؟

كاميـــــــــل : كنت أرقد بين الحـــلم واليقظة ‥ اختفى السقف ، وتدلى القمر ، وأقترب منى حتى أمسكت يدى به · هبط سقف السـماء بكل أضوائه ، اصطدمت به ، تحسست النجوم ، تخبطت كالغريق تحت السقف الثلجى ‥ كان شيئا مفزعا يادانتون !

دانتـــــــــون : ان المصباح يلقى ضوءه الدائرى على السقف ربما كان هذا هو الذى رأيته ·

كاميـــــــــل : ليكن مايكون ! ان أهون شىء يمكن أن يفقدنا القليل من العقل الذى بقى لنا · لقد شـدنى الجنون من شعرى · (يقف) لا أريد أن أنام · لا أريد أن أجن ·

(يمد يده الى كتاب)

دانتـــــــــون : ما هذا ؟

كاميـــــــــل : خواطر الليل ·

دانتـــــــــون : أتريد أن تموت قبل الموت ؟ أما أنا فسأقرأ فى العذراء الطاهرة(٣) لا أريد أن أغادر الحياة كما لو كنت أتسلل من كرسى الصلاة ، بل كما لو كنت أتســلل من فراش راهبة رحيمة · ان

---

(٣) (La Pucelle) ملحمة فولتير عن جان دارك التى لم تعالج الموضوع بما يستحقه من الاحترام ·

الحياة عاهرة ، ترتكب الفحشـــاء مع العالم كله ..

* * *

« ميدان أمام الكونســــييرجيرى »

سجان ـ سائقان ومعهما العربات ـ نساء

السجـــــــــان : من الذى دعاك أن تسوق العربة الى هنا ؟

الســــــائق ١ : أنا لا أدعى سوقيا (٤) . هذا اسم غريب .

السجـــــــــان : ياغبى ! من الذى عينك لهذا ؟

الســــــائق ١ : أنا لم آخذ أى تعيين . اللهم الا عشـــرة « سو »(٥) عن كل رأس .

الســــــائق ٢ : يريد الوغد أن يقطع عيشى .

الســــــائق ١ : وهل تسمى هذا عيشا ؟ ؟ (مشيرا الى نوافذ المساجين) انه أكل الدود .

الســــــائق ٢ : أطفالى أيضا ديدان . وهم يريدون نصيبهم . آه ! ان صنعتنا ساءت مع اننا من أحســـن السائقين .

---

(٤) هنا تلاعب بالالفاظ لايمكن نقله الا على وجه التقريب وهو يذكرنا ببعض مشاهد من « هاملت » وبخاصة مشهد المقبرة .

(٥) عملة فرنسية رخيصة من النحاس .

السائق ١ : وكيف هذا ؟

السائق ٢ : من هو أحسن سائق ؟

السائق ١ : هو الذى يقطع أبعد مسافة ويسير بأقصى سرعة .

السائق ٢ : والآن ياحمار : هل هناك من يقطع مسافة أبعد ممن يبعد بركابه عن العالم ، وهل هناك من يسير أسرع ممن يقطع المسافة فى ربع ساعة ؟ انها ربع ساعة بالضبط من هنا الى ميدان الثورة .

السجان : أسرعوا يا أوغاد ! اقتربوا من البوابة . أفسحن المكان يابنات !

السائق ١ : لاتغيرن أماكنكن . لا يجب أن يلف الانسان ويدور حول البنت ، بل يجب أن يقتحمها .

السائق ٢ : أجل ، هذا رأيى أنا أيضا يمكنك أن تنفذ بالعربة والخيول ، وستجد السكة معبدة ، ولكن اذا أردت أن تنفذ بجلدك ، فيجب أن تقرض الحجر الصحى (يتقدمان بعرباتهما)

السائق الثانى : (للنساء) فيم تبحلقن هكذا ؟

امرأة : ننتظر زبائن قديمة .

السائق الثانى : هل تحسبن عربتى ماخورا ؟ انها عربة نظيفة ، نقلت الملك وكل سادة باريس الكبار الى المائدة .

لوسيل : (تظهر على المسرح وتجلس على حجر تحت نافذة المساجين) كاميل ! كاميل !

(يظهر كاميل فى النافذة) اسمع ياكاميل ! • أنت تضحكنى بهذا الرداء الطويل الضخم والقناع الحديدى على وجهك • الا تستطيع أن تنحنى أين ذراعاك ؟ أريد أن أصيدك • ياعصفورى العزيز (**تغنى**)

نجمان فى السماء

أبهى من القمر

فواحد يضيء

نافذة الحبيب

وواحد ينير

أمام بابه

تعال، تعال ياصديقى ! اطلع على السلالم بهدوء ، فهم جميعا نائمون • القمر يساعدنى من مدة طويلة على الانتظار • ولكن لايمكنك أن تدخل من الباب ، فهذه الملابس فظيعة •• هذا مزاح سخيف ، لابد أن تضع له حدا ! ولكنك لا تتحرك • لماذا لا تتكلم ؟ انك تخيفنى •

اسمع • الناس يقولون • لابد أن تموت ، ويكشرون وجوههم • تموت ! يجب أن أضحك على هذه الوجوه • الموت ! ما معنى هذه الكلمة ؟ قل لى ما معناها ياكاميل ؟ الموت !

أريد أن أفكر . هاهو ! هاهو ! أريد أن أجرى وراءه . تعال ياصديقى الحبيب . ساعدنى على صيده ! تعال ! تعال ! (تجرى) ..

كاميـــــــــــل : (ينادى) : لوسيل ! لوسيل !

« الكونسيـــــيرجرى »

(دانتون يطل من نافذة تكشف الحجرة المجاورة)

(كاميل ـ فيليبو ـ لاكروا ، هيرو)

دانتـــــــــون : أنت الآن هادىء يافابر .

صـــــــــــوت : (من الداخل) فى النزع الأخير .

دانتـــــــــون : هل تعلم أيضا ، ماذا ستفعل الآن ؟

الصـــــــــوت : ماذا ؟

دانتـــــــــون : مافعلته الديدان(٦) طول حياتك ..

كاميـــــــــل : (لنفسه) كان الجنون يطل من عينيها . كثيرون جنوا من قبل . هذا حال العالم . هل نملك تغييره ؟ انا نغسل أيدينا ـ وهذا هو الأفضل أيضا .

دانتـــــــــون : سأترك كل شىء فى اضطراب فظيع . لا أحد يفهم شيئا عن الحكم . ربما ينفعهم أن اترك عاهراتى لروبسبيير ، وسيقانى لكوتون .

---

(٦) تلاعب بالكلمة الفرنسية (Vers) التى تفيد بيتا من الشعر كما تفيد الدودة (Ver)

لاكـــــــــروا : كان ينبغى علينا أن نجعل من الحرية عاهرة !

دانتـــــــــون : وماجدوى هذا أيضا ؟ ان الحرية والعاهرة هما أعم الأشياء تحت الشمس · وسوف تفجر الآن وتزنى فى فراش محامى أرا(٧) · ولكنى أعتقد أنها ســـــتلعب معه دور كليتامنيســـترا(٨) · سأعطيه مهلة لن تزيد عن ستة أشهر ، وسأشده معى ·

كاميـــــــــل : (لنفسه) فلتوفقها السماء الى فكرة ثابتـــة مريحة · ان الأفـــكار الثابتة العامة التى يسمونها العقل السليم ، مملة الى حد فظيع · أسعد انسان هو ذلك الذى تصـــور أنه الأب والابن والروح القدس ·

لاكـــــــــروا : سيهتف الحمير عندما نمر بهم قائلين : تحيا الجمهورية !

دانتـــــــــون : وأى شىء فى هذا ؟ ليقذف طـــوفان الثورة جثثنا حيث يشاء ، فسوف يســـتطيع الناس دائما أن ينقبوا عن عظامنا ويقطعوا بها رقاب جميع الملوك ·

هـــــــــرو : نعم ، ان وجد شمشون يعرف كيف يستخدم فكوكنا ·

دانتـــــــــون : انهم أشقاء قابيل ·

---

(٧) هو روبسبيير كما تقدم ·

(٨) هى زوجة اجاممنون الذى قتلته بالاشتراك مع عشيقها ايجسترس ، مما جعل ابنها أورست ينتقم منها ويقتلها ·

لاكـــــــــروا : لا شيء يثبت أن روبسبيير كنيرون(٩) مثل أنه لم يتلطف أبدا مع كاميل كما فعل قبل القبض عليه بيومين • أليس كذلك ياكاميل ؟

كاميـــــــــــل : وماذا يهمنى من هذا ؟ (لنفسه) ياله من طفل ساحر ولدته للجنون ! لماذا يتحتم على الآن أن أذهب ألم يكن من الممكن أن نضحك معه ونهدهده ونقبله معا !

دانتـــــــــون : عندما يأتي اليوم الذى يفتح فيه التاريخ قبوره فسوف يختنق الاســـتبداد دائما من رائحة جثثنا •

هـــــــــــيرو : لقد صعدت روائحنا النتنة بما فيه الكفاية فى أثناء حياتنا ـ انها عبارات للأجيال المقبلة ، أليس كذلك يادانتون ، وهى فى الواقع لاتعنينا فى شىء •

كاميـــــــــــل : أنه يضع تكشـــيرة على وجهه ، كأنه يريد أن يتحجر ليكتشفه الأثريون فى العصور المقبلة ! أهو شىء يســـتحق العنـــــاء أن يتكلف الانســان الكلام ويصبغ وجهه باللون الأحمر ويتكلم بنبرة مهذبة ؟ علينا أن ننزع الأقنعة يوما عن وجوهنا ولن نرى عندئذ ـ كما لو كنا فى حجـــرة كل جدرانها مرايا ـ الا رؤوس الخراف(١٠) العتيقة العاطلة من الاسنان التي

---

(٩) قيصر رومانى (٥٤ ـ ٦٨) أمر بقتل شقيقه وأمه وزوجته ومربيه •
(١٠) كناية عن الغباء •

لا تتغير فى أى مكان لا أكثر من ذلك ولا أقل · ان الفروق بيننا ليست كبيرة بقدر ما تتصور ، فنحن جميعا أوغاد وملائكة ، أغبياء وعباقرة، وكل هذا فى وقت واحد · وهذه الأشـياء الأربعة تجد مكانا يكفيها فى الجسد الواحد ، فهى ليست بالاتساع بقدر ما نتخيل · ان الجميع يناموں ويهضمون وينجبون الأطفال ، وكل ماعدا ذلك فهو متنوعات على لحن واحد · ما حاجتنا اذن أن نقف على أطراف أصابعنا ونضع سحنة **ملفقة على وجوهنا** ، ونتظـاهر بأننا نستحى من بعضنا البعض ؟ لقد أكلنا جميعا على نفس المائدة حتى مرضنا وأصبنا بالمغص ، فما الذى يدعوكم أن تضعوا الفوط أمام وجوهكم ؟ اصرخوا وصيحوا كما ينبغى لكم ! لا تضعوا سـحنة الفضـيلة والظرف والبطـولة والعبقرية على وجوهكم ، فنحن نعرف بعضنا حق المعرفة ، وفروا هذا الجهد على أنفسكم !

هـيرو : أجل يا كاميل · نريد أن نجلس بجانب بعضنا البعض ونصرخ · وليس هناك أغبى من أن يطبق الانسان شفتيه بينما يضنيه الألم ـ لقد صرخ الاغريق وصرخت الآلهة ، أما الرومان والرواقيون فقد تظاهروا بالبطولة ·

دانتـون : كان هؤلاء وأولئك أبيقوريين على حد سواء · لقد وجدوا راحتهم فى الشـعور بالاعتداد بالنفس · لابأس من أن يرتدى الانسان ثوبه

الفضفاض[١١] ويتلفت حوله ليرى ان كان يلقى خلفه ظلا طويلا · ماجدوى أن نتزين ؟ وما الفرق بين أن نضع على عورتنا أوراق الغار أو أكاليل الورد أو ورق العنب أو نكشف الشيء القبيح ونترك الكلاب تلعقه ؟

فيليبـــــو : ياأصدقائى ! ليس من الضـــرورى أن يرتفع الانسان فوق الأرض لكى لايرى شـــيئا من أضوائها المضطربة المرتعشـــة ويملأ عينه من بعض الخطوط الالهية الرائعـــة · هناك آذان ينسكب فيها الصراخ والعويل الذى يصـــم آذاننا كأنه لحن منسجم ·

دانتـــــون : ولكننا نحن الموسيقيين المساكين وأجسامنا هى الآلات ألم توجد الأنغام البشعة التى يخبطونها عليها الا لكى تصعد شيئا فشيئا الى الاذان السماوية لكى تخمد شيئا فشـــيئا ثم تموت هناك ؟

هـــــيرو : هل نحن كالخنازير الصـــغيرة التى يجلدونها حتى الموت لكى يكون لحمها ألذ طعما على موائد الملوك والأمراء ؟

دانتـــــون : أم نحن كالأطفال الذين يشـــويهم هذا الجبار الرهيب[١٢] بين ذراعيه ويدغدغهم بأشـــعة الضوء لكى يسر الآلهة بضحكاتهم ؟

---

(١١) يستخدم المؤلف هنا كلمة « توجا » وهو الثوب الرومانى الطويل الذى سبقت الاشارة اليه ·

(١٢) يستخدم المؤلف هنا كلمة « ذراعى مولوخ » ومولوخ اله سـام قديم أصبح علما على النهم الدائم ، الى كل أنواع الأضاحى والقرابين ·

كاميــــــــــل : وهل الأثير بعيونه الذهبية طبق مملوء بالشبوط الذهبى موضوع على مائدة الآلهة المباركين ، فيضحك الالهة المباركون الى الأبد ، وتموت الأسماك الى الأبد ، ويفرح الآلهة فرحا أبديا بهذا الصراع الدموى المتنوع الألوان ؟

دانتــــــــــون : العالم هو العماء ، والعـــدم هو الاله الذى يناسب الكون ٠

(يدخل السجان)

الســـــــجان : سادتى ٠ العربات واقفة أمام الباب ٠ يمكنكم ان تمضوا الآن ٠

فيليبــــــــــو : تصبحون على خير يا أصدقاء ! فلنســـحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون ، اللحاف الذى تتـــوقف تحته كل القلوب وتغمض كل العيون ٠

(يعانقون بعضهم)

هــــــــــيرو : (يتأبط ذراع كاميل) افرح ياكاميل فستكون ليلتنا جميلة٠ السحب معلقة على صفحة المساء كأنها الأوليمب الذى انطفأ بريقه فتراءت فيه خيالات الآلهة شاحبة محزونة ٠

(يخرجـــــون)

« حجــــرة »

جـــــــولى : كان الشعب يجرى فى الأزقة ٠ هدا الآن كل شىء لا أريد منه أن ينتظرنى لحظة واحـدة

(تخرج زجاجة) تعال يا أحب الكهنة ، يامن يقول « آمين » فنذهب الى الفراش (تتجه الى النافذة) ما أجمل الوداع ! لم يبق الا أن أغلق الباب ورائى ..

(تشرب من الزجاجة)

ليتنى أقف هكذا الى الأبد ! ـ الشمس غابت. كان نورها يسقط على وجه الأرض فيجعل ملامحه حادة .. ولكن وجهها الآن هادىء وجاد كوجه انسان يحتضر . ما أجمل ضوء المساء وهو يعبث بجبهتها وخديها ! ان لونها يشحب شيئا فشيئا فتغوص كالجثة فى بحر الأثير . ألن تمتد اليها ذراع فتشدها من خصلات شعرها الذهبى وتخرجها من الماء وتواريها التراب ؟

أنا أمشى فى خطوات هادئة . لن أقبلها حتى لايوقظها من نعاسها نفس ولا تنهيدة . نامى ! نامى ! (تموت)

* * *

ميدان الثورة

(تصل العربات الى ميدان الثورة وتقف امام المقصلة . رجال ونساء يغنون ويرقصون على

أغنية الثورة المساجين ينشدون النشيد الوطنى « المرسيلييز »)

(امرأة تحمل أطفالا على ذراعها وصدرها) : افسحوا مكانا ! أفسحوا مكانا ! الأطفال يصرخون من الجوع(١٣) لابد أن يتفرجوا حتى يسكتوا ! افسحوا مكانا !

امـــــرأة : ها ! دانتون ! تستطيع الآن أن تفجر مع الديدان ·

امـــــرأة : وأنت ياهيرو ! سأصنع من شعرك الجميل باروكة ··

هـــيرو : أنا لا أملك الأشجار التى تكفى لجبل فينوس الأجرد(١٤) ·

كاميـــل : أيتها العجائز الملاعين ! سوف تصرخن عن قريب : « أيتها الجبال ، اسقطن فوقنا ! »

امـــــرأة : ليسقط الجبل(١٥) فوقكم ! أنتم الذين سقطتم تحته ·

---

(١٣) اشارة عميقة الى ان الشعب الجائع لايشبع من الدماء المراقة ·

(١٤) اسم يطلق على عدة جبال فى مقاطعتى تورنجن وهسن بألمانيا ، تقول الخرافة ان ربة الحب فينوس تسكنها والمقصود هنا اشارة الى جزء من جسد هذه المرأة الفاسدة لا تكفى خصلات شعره لتغطيته ·

(١٥) الجبل هنا اشارة الى سلطة اليعاقبة التى راح ضحيتها هؤلاء المساجين ·

دانتـــــون : (لكاميل) اهدأ ياولدى ! لقد بح صوتك من الصياح ·

كاميــــــل : (يعطى للســـائق بعض النقـــود) : خذ ياخارون(١٦) العجوز أجـــرة عربتك · طبق لابأس به ! ـ سادتى ! أحب أن أكون أول من يبدأ الوجبة ! هذه مأدبة كلاسيكية ، اننا نرقد فى أماكننا ونسكب بعض الدماء تكريما للآلهة· الوداع يادانتون !

(يصعد الى المقصلة · المســـاجين يتبعونه واحدا بعد الآخر · دانتون آخرهم)

لاكــــروا : (للشــــعب) لقد قتلتمونا يوم فقدتم عقلكم ، وسوف تقتلونهم يوم تستردونه ·

أصـــوات : سمعنا هذا من قبل · ياللملل !

لاكــــروا : ستكسر رقاب الطغاة فوق قبورنا ·

هـــــيرو : (لدانتون) انه يحسب جثته مزبلة الثورة ·

فيليبـــــو : (وهو على المقصلة) اننى أسامحكم وأرجو ألا تكون ساعة موتكم أمر من ساعتى ·

هـــــيرو : كنت أتوقع هذا ! انه لايستطيع أن ينسى أن يمد يده فى صدره ليرى الناس أن ملابســـه الداخلية نظيفة ·

---

(١٦) ملاح عجوز ، تقول الاساطير اليونانية انه يعبر بأرواح الموتى الى شاطىء العالم الآخر ·

فـــــــــابر : وداعا يادانتون ! انني أموت مرتين ··

دانتـــــــــون : وداعا ياصديقي ! المقصلة خير طبيب ·

هـــــــــيرو : (يريد أن يعانق دانتون) : آه يادانتون ! لقد أصبحت عاجزا عن اخراج نكتة واحدة ! لقد آن الأوان · (يدفعه أحد الجلادين بعنف)

دانتـــــــــون : (للجلاد) أتريد أن تكون أقسى من الموت ؟ أتستطيع أن تمنع رؤوسنا من تقبيل بعضها في قاع السلة ؟!

« شـــــــارع »

لوســـــــيل : كأن الأمر جد ·· أريد أن أفكر ·· بدأت افهم شيئا كهذا ·· الموت ! الموت ! كل شيء من حقه أن يعيش ·· كل شيء ·· البعوضة ·· والعصفور ·· ولماذا لا يعيش هو أيضا ؟ كان يجب أن يتوقف تيار الحياة ·· لو انسكبت قطرة دم واحدة ·· كان يجب أن تجرح الأرض من طعنة واحـــدة ·· كل شيء يتحـــرك : الساعات تدور ·· النواقيس تدق ·· الناس يمشون الماء يجري · وكل شيء يسير حتى يصل الى هناك ·· الى هناك ·· لا ·· لايجب أن يحدث ذلك ·· لا ·· سأجلس على الأرض وأصرخ حتى يتوقف كل شيء من الرعب ·· يتوقف كل شيء ·· لا يتحرك شيء ·

(تجلس على الأرض وتغطي عينيها وتصرخ

صـرخة مفجعة .. تنهض واقفة بعـد فترة صمت) ..

لا فائدة .. كل شيء كما هو : البيوت .. الأزقة .. الريح تهب . السحب تمر .. علينا أن نتحمل هذا العذاب ..

(بعض النسوة يظهرن قادمات من الزقاق)

المـرأة الأولى : هيرو ! ياله من رجل فتان ! .

المرأة الثـانية : عندما رأيته فى عيد الدستور واقفا تحت قوس النصر قلت لنفسى سيكون منظره تحت المقصلة عجيبا .. كانت مجرد فكرة خطرت على بالى .

المـرأة الثالثة : نعم . يجب أن نرى الناس فى كل الظروف .. رائع أن يصبح الموت شيئا علنيا ..

(تخرجن)

لوسـيل : ياحبيبى كاميل .. أين أجدك الآن ؟ ..

(ميدان الثورة ـ جلادان مشغولان بالعمل

فى تنظيف المقصلة)

الجـلاد الأول : (يقف فوق المقصلة ويغنى) :

وحين أعود لبيتى

يبدو القمر جميلا

الجـلاد الثانى : هيه . .هل أوشكت أن تنتهى ؟

الجـلاد الأول : حالا . حالا .. (يغنى) :

ويضيء القمر لجدى

فيرانى من نـــافذته

ويقول بصــوت عال

ولدى هل عدت أخيرا

للبيت من المـــاخور ؟

هكذا ! . ناولنى سترتى ! .

(ينصرفان وهما يغنيان)

وحين أعـــود لبيتى

يبدو القمر جميلا ...

لوســــــــيل : (تظهر على المســـرح وتجلس على درجات المقصـــلة) : هأنذا أجلس على حجرك ..

ياملاك الموت الرحيم .. (تغنى) :

الموت جـــلاد

وســـيفه ظامى

أنت أيها المهد الجميل ، يامن هدهدت حبيبى كامين لينام ، وخنقته تحت أنفاس زهورك . أنت ياناقوس الموت ، يامن غنيت له بلسـانك العذب حتى دخل القبر .

(تغنى) :

ويحصد الآلاف

بالمنجل الدامى

(تظهر داورية من الحراس)

مـــــــــــــواطن : هه ! من هناك ؟!

لوســـــــــــــيل : (تفكر قليلا وكأنها تصمم على قرار ثم تهتف فجأة) : عاش الملك !

مـــــــــــــواطن : باسم الجمهورية ! (يحيط بها الحـــــراس ويقتادونها) ..

(النهـــاية)

* * *

ليونس ولينــا

تقـــــديم

الفيبرى : والمجـد ؟
جوتزى : والجوع ؟ (١)

(١) يضع بشنر هذا الشعار لمسرحيته على لسان الشاعرين الايطاليين الشهيرين ألفييرى (١٧٤٩ ـ ١٨٠٣) الذى ألف مسرحيات تراجيدية تمجد البطولة المثالية والارادة مثل شائول وماريا ستيوارت وميـرا ، وجوتزى (١٧٢٠ ـ ١٨٠٦) الذى كان معاصرا ومنافسا لجولدونى الكاتب الكوميدى الشهير ، وألف مسرحيات تتميز بطابعها الشعبى وروحها المرحة وتمسكها بالجانب المادى من الحياة مثل توارندو (التى أعاد شـيلر كتابتها فيما بعد) وحب البرتقالات الثلاث (التى لحنها الموسيقى الروسى بروكوفييف) ولعل بشنر قد أراد بهذا الشعار أنه اذا كان الشعراء المثاليون الذين يبغضهم أشد البغض قد بحثوا عن المجد فان الشـعراء المـاديين ـ ان صح هذا التعبير ! ـ قد عرفوا أن جوع البطون يطرد المثل العليـا من الدمـاغ ! (انظر المقدمة ورأيه فى شيلر) .

ليونس ولينــا

الشـــــــخصيات :

الملك بيتر : من مملكة بوبو

الأمير ليونس : ابنه وخطيب لينا

لينــــا : من مملكة بيبى

فاليريو

المربيـــــة

رئيس التشريفات

رئيس الوزراء

واعظ البلاط

أعضاء مجلس الوزراء

المدرس

روزيتـــا

خدم ـ وزراء ـ فلاحون ٠٠ الخ ٠

الفصـــل الأول

ياليتنى كنت أحمق
فلست اطمع الا
فى سترة حمراء ..
(كما تهواه لشيكسبير)

● المشـــهد الأول :

« بستان . ليونس مستريحا على احدى الأرائك . المعلم » .

ليـــــــــونس : سيدى، ماذا تريد منى ؟ اتريد ان تعدنى لمهام وظيفتى ؟ ان يدى مزدحمتان بالعمـــل ، ولا أدرى كيف اتصرف ـ انظر ، ان على أولا أن أبصق على هذا الحجر ثلاثمائة وخمسا وستين مرة متتالية . ألم تجرب ذلك بعد ؟ حـــاول وسوف ترى أنه يضمن لك تسلية فريدة . ثم ـ هل ترى هذه الحفنة من الرمال ؟

(يتناول حفنة من الرمل ويلقى بها فى الهواء ثم يتلقاها بظهر يده)

هأنذا ألقى بها فى الهـــــواء · أتحب أن نتراهن ؟ كم حبة من الرمل على ظهـــر يدى الآن ؟ عدد زوجى أم فردى ؟ ماذا ؟ ألا تريد أن تدخـــل فى الرهان ؟ هل أنت وثنى ؟ هل تؤمن بالله ؟ اننى فى العادة أتراهن مع نفسى وأستطيع أن أفعل ذلك طوال أيام عديدة · اذا استطعت أن تقنع انسانا يلمس فى نفسه الرغبة فى أن يدخل معى أحيانا فى رهان ، فستؤدى الى خدمة مشكورة · ثم ان على ـ أن أتفكر كيف يكون حالى لو أمكننى أن أرى نفسى واقفا على رأسى · آه ! لو استطاع الانسان أن يرى نفسه وهو واقف على رأسه ! هذا هو أحـــد المثل العليا التى أســـعى اليها · لو تم هذا لساعدنى كثيرا · ثم ـ ثم أحلام من هذا النوع لانهاية لها · ـ أترى أننى لا أجد ما أعمله ؟ أليس لدى الآن عمل أقوم به ؟ ـ نعم ، انه لشىء محزن ··

المعـــــــــلم : محزن جدا ، ياصاحب السمو ·

ليـــــــونس : السحب تزحف منذ ثلاثة أسابيع من الغرب الى الشـــــرق · هذا شىء يجعلنى فى منتهى الاكتئاب ·

المعـــــــــلم : أكتئاب له مايبرره ياصاحب السمو ·

ليونس : أف ! لماذا توافقنى دائما ؟ لماذا لا تعارض كلامى ؟ لديك أعمال ملحة ، أليس كذلك ؟ يؤسفنى أننى عطلتك كل هذا الوقت . (يبتعد المعلم بعد أن ينحنى انحناءة شديدة) سيدى ، أهنئك على القوس الجميل(٢) الذى تصنعه ركبتاك عندما تنحنى .

ليونس : (وحده ـ يتمدد على الأريكة) النحل يرقد فى كسل على الزهور ، وضوء الشمس يرقد فى خمول على الأرض ، وفراغ مفزع ينتشر حولى الفراغ هو أصل كل الرذائل ـ ما أكثر ما يفعله الناس بدافع الملل ! انهم يدرسون لاحساسهم بالملل ، ويصلون لشعورهم بالملل، والملل هو الذى يجعلهم يحبون ويتزوجون ويتكاثرون ، وفى النهاية يموتون من الملل ، وهم يفعلون ذلك كله ـ وهذا هو مبعث الضحك فى الأمر كله ـ بنفس الوجوه الجادة الصارمة ، دون أن يعرفوا سببا لذلك ، والله وحده يعلم لماذا . كل هؤلاء الأبطال ، هؤلاء العباقرة ، والأغبياء ، والقديسون ، والمذنبون ، والآباء ليسوا فى الحقيقة الا متبطلين فارغين . ولكن لماذا كتب على أن أعرف ذلك ؟ لماذا لا أصبح مهما مثلهم

---

(٢) القوس هو العلاقة التى توضع بينها الكلمات ، وهو نوع من التلاعب بالألفاظ الذى يسود المسرحية كلها ويعبر عن جو الملل والسأم الذى ينتشر فيها وتحاول الشخصيات أن تطرده عن نفسها .

وألبس الدمية المسكينة سترة السهرة السوداء وأعطيها مظلة واقية من المطر تضعها في يدها ، حتى تصير متأنقة نافعة وطيبة الخلق ؟ ـ هذا الرجل الذى انصرف الآن عنى ، كم أحسده ، وكم وددت لو استطعت أن أعبر عن حسدى بعلقة أعطيها له ! آه لو كان فى استطاعة الانسان أن يتحول شخصا آخر ، ولو لدقيقة واحدة ! ـ (يظهر فاليريو وهو سكران قليلا) • هذه المشية التى يمشيها ! ليتنى أعرف شيئا تحت الشمس يدفعنى أنا أيضا على المشى !

فاليريو : (يقف فى مواجهة الأمير ، ويضع أصبعه على أنفه ويبحلق فى وجهه) : نعم !

ليونس : (فى مثل لهجته) صحيح !

فاليريو : هل قصدتنى ؟

ليونس : بالضبط ••

فاليريو : تريد اذن أن نتحدث عن شىء آخر (يرقد على العشب) سوف أستلقى فى هذه الأثناء على العشب ، وأترك أنفى تزدهر بين رؤوس الأعشاب ، واستمد منها احساسات رومانتيكية حين أجد النحل والفراشات تهتز فوقها كما تهتز فوق زهرة •

ليونس : ولكن لا تتنشق ياعزيزى بكل هذه القوة ، والا تضور النحل والفراش جوعا لكثرة الروائح التى تشدها من الزهور •

فـــــــــــاليريو : آه ياسيدى ! ما أعجب هذا الاحساس الذى أحمله للطبيعة ! لقد بلغ العشب من الجمال درجة يتمنى معها الانسان أن يكون ثورا لكى يستطيع أن يفترسه ، ثم يتمنى أن يعود فيتحول انسانا لكى يأكل الثور الذى افترس مثل هذا العشب ! ٠

ليـــــــــــونس : أيها الشقى ! يبدو أنك تعذب نفسك أيضا بالمثل العليا ٠

فـــــــــــاليريو : انها مصيبة فادحة ! فلا يستطيع الانسان أن يقفز من فوق برج كنيسة بغير أن تكسر رقبته ٠ ولا يستطيع أن يأكل أربعة أرطال من الكرز بغير أن يصيبه المغص ٠ انظر ياسيدى ، ان فى استطاعتى أن أجلس فى زاوية وأغنى من المساء حتى مطلع الصبح : « هاى ، هناك ذبابة على الحائط ! ذبابة على الحـــائط ! ذبابة على الحائط » وهكذا الى آخر لحظة فى حياتى ٠

ليـــــــــــونس : كف عن أغنيتك السخيفة ، ان الانسان يكاد يجن عند سماعها ٠

فـــــــــــاليريو : اذن لأصبح الانسان شيئا ٠ مجنون ! مجنون ! من ذا الذى يحب أن يأخذ منى عقلى ويعطينى جنونه ؟ ها ! أنا الاسكندر الأكبر ! الشمس تسطع فى شعرى كأنها تاج من الذهب ، وما أجمل ما تلمع بذلتى العســكرية ! أيتهـــا الجرادة ! أنت القائد الأعلى ! دعى القوات

تتقدم ! أيها العنكبوت ! أنت وزير المالية ! انا فى حاجة الى مال ! وأنت أيتها الفراشة ! ياوصيتتى العزيزة ! كيف حال زوجتى العزيزة الغاصوليا ؟ وأنت أيها الذباب الاسبانى ! ، ياطبيبى الخاص ذراح(٣) ! أنا فى حاجة الى ولى للعهد ! ومع هذه الخيالات اللذيذة يحصل الانسان على شـــربة ممتعة ، ولحم طيب ، وخبز لذيذ ، وفراش ناعم ، ويحلق شـــعره مجانا - أعنى فى مستشفى المجانين - بينما أنا بعقلى السليم لا أصلح الا لتسميد شجرة كرز ، لكى ؟ - لكى ؟ ..

ليـــــــــونس : لكى تجعل حبات الكرز تتســـاقط من ثقوب سروالك حمراء من الخجل ! ولكن أيها العزيز، ماذا عن صنعتك ، مهنتك ، حرفتك ، مركزك ، فنك ؟

فـــــــــاليريو : (فى كبرياء) سيدى ، ان شغلى الأكبر هو الصعلكة ! وبراعتى التى لا نظير لها هى ألا أعمل شيئا ، وعندى الصبر الهائل على الكسل .. مامن عمل أهان كفى بالشقوق ، ولا شربت الأرض قطرة عرق من جبهتى ، فمازلت عذريا من ناحية العمل ، ولولا أن الأمر يكلفنى من

---

(٣) نوع من الحشرات المغمدات الجناح من فصيلة الذراريح منتشر فى جنوب أوربا

الجهد فوق طاقتى ، لبذلت جهدى فى شرح هذه المآثر كلها لك(٤) ٠

ليـــــوتس : (فى حماس مضحك) تعال الى صدرى ! ألست واحدا من الالهيين الذين يجوبون طريق الحياة خلال العرق والتراب بغير عناء وبجبهة صافية، ويدخلون الى الأوليمب بأقدام لامعة وأجساد زاهية كأنهم آلهة مباركون ؟ تعال ! تعال !

فـــــاليريو : (يغنى وهو ينصرف) هاى ! هناك ذبابة على الحائط : ذبابة على الحـــائط ! ذبابة على الحائط !

(ينصرفان وكلاهما ممسك بذراع الآخر)

***

● المشـــهد الثانى

غـــــرفة

(الملك بيتر يساعده خادمان على ارتداء ملابسه)

بيـــــتر : (والخادمان يلبسانه ثيابه) من الواجب على الانسان أن يفكر ، وواجبى أن أفكر لرعيتى ،

---

(٤) يلاحظ أن المهرج فاليريو ـ فى هذا الموضع وفى سواه ـ يتلاعب بألفاظ اللغة كما يتلاعب بكل شىء وكل قيمة ٠وقد حاولت جهد الطاقة أن أبين هذا فى الترجمة ٠

لأنهم لا يفكرون ، لا يفكرون · الجوهر هو الموجود فى ذاته ، وهذا هو أنا[٥] · **(يتجول فى الغرفة شبه عار)** مفهوم ؟ فى ذاته هو فى ذاته ، أتفهمون ؟ الآن تأتى صفاتى ، وأحوالى وانفعالاتى ، وأعراضى : أين قميصى ، أين ســـروالى ؟ ـ قف ! الارادة الحرة مفتوحة تماما · أين الأخلاق : أين الأساور ؟ المقولات فى ارتباك مخجـــل : لقد أحكم زراران أكثر من اللازم ، العلبة فى الجيب الصحيح ، مذهبى كله انهار ـ ها !ما معنى هذا الزرار الموضوع فى المنديل ؟ أنت ياغلام ! مامعنى هذا الزرار، ما الذى أردت أن أذكر به نفسى ؟

الخـــادم الأول : عندما شاءت ارادة جلالتكم أن تضـــعوا هذا الزرار فى منديلكم ، كنتم تريدون ··

الملك : ماذا كنت أريد ؟

الخـــادم الأول : أن تتذكروا شيئا ·

بيـــــــــتر : جواب محير ! والآن ، ماذا تقصد ؟

الخـــادم الثانى : أردتم جلالتكم أن تتذكروا شيئا ، عندما شاءت ارادة جلالتكم أن تضعوا الزرار فى منديلكم ·

بيـــــــــتر : (يذرع الغرفة جيئة وذهابا) : ماذا ! ماذا ؟

---

(٥) يلاحظ هنا وفى السطور التالية أن بشنر يسخر بفلسفة كانط وبخاصة من نظرية المعرفة لديه ونظريته عن الشىء فى ذاته الذى يرى انه موجود ولكن يستحيل التوصل اليه أو معرفته بالعقل ! ··

انهم يحيروننى · اننى فى أشد الارتباك ··
لست أدرى ماذا أفعل · (يظهر أحد الخدم)

الخـــــــادم : ياصـــاحب الجـــلالة ، لقد اجتمع مجلس الوزراء ·

بيـــــــتر : (فرحا) نعم ، هو ذاك ! هوذاك ! لقد أردت أن أتذكر شعبى · تعالوا يا سادتى ! اجعلوا خطواتكم متناسقة · أليس الجو شديد الحرارة؟ أخرجوا مناديلكم وامســـحوا بها وجوهكم ! اننى أصاب دائماً بالارتباك حين أتحـدث فى اجتماع عام · (ينصـــرف الخدم · الملك ــ الوزراء)

بيـــــــتر : يا أحبائى وأعزائى ، أردت بهذا الاجتماع أن أخبركم وأنهى الى علمكم ، أن أخبركم وأنهى الى علمكم ــ ذلك أنه اما أن يتزوج ابنى ، واما الا يتزوج ــ (يضع أصبعه على أنفه) : اما أو ــ أنتم تفهموننى بطبيعة الحال ؟ وليس هناك أمر ثالث · الواجب على الانســـان أن يفكر (يقف لحظة متفكرا) : عندما أتحدث بصوت مرتفع لا أدرى عندئذ ان كنت أنا الذى أتحدث أو شخص آخر سواى ، ان ذلك يفزعنى ·· (بعد فترة من التفكير الطويل) أنا هو أنا ــ ما رأيك فى هذا ، ياسيادة الرئيس ؟

الـــــــرئيس : (فى بطء وتثاقل) ياصاحب الجلالة ، ربما كان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن أيضـــا كذلك ·

الوزراءجميعا فى صوت واحد : نعم ، ربماكان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن أيضا كذلك ·

بيـــــــتن : (فى تأثر) آه ياحكمـــائى ! فيم اذن كنت أتحدث ؟ عن أى شيء كنت أريد أن أتكلم ؟ ياسيادة الرئيس ، لم كانت ذاكرتك ضعيفة كل هذا الضعف فى مثل هذا الحفل العام ؟ رفعت الجلسة ·

(يبتعد فى مظاهرة فخمة ووراءه الوزراء)

***

● **المشـــــهد الثالث**

(قاعة رائعة الزينة ـ شموع تحترق)

(ليونس مع بعض الخـــدم)

ليـــــــونس : هل أسدلت جميع الستائر ؟ أوقدوا الشموع ! ليذهب النهار الى غير رجعة ! أريد الليل · الليل الالهى ، المعطر ، العميق(٦) ضـــعوا المصـــابيح تحت الكئوس البلورية فى زهور

---

(٦) الكلمة الأصلية هى « الليل الأمبروزى » ، نسبة الى دهان أو مسك الهى تتحدث عنه الأساطير الاغريقية ، وليلة أمبروزية اى ليلة معطرة بأريج المتعة واللذة ·

الدفلى ، حتى تحلم مثل عيون العذارى تحت رموش الأوراق · قربوا الزهور ، حتى تفيض الخمر كقطرات الندى من الكئوس · موسيقى ! أين الكمنجات ! أين روزيتا ؟ ـ اذهـــوا ـ اخرجوا جميعا !

(ينصرف الخدم · ليونس يتمدد على سرير ـ تدخل روزيتا فى رداء رشيق · تســـــمع موسيقى من بعيد)

روزيتـــــــا : (تقترب مداعبة) ليونس !

ليـــــــونس : روزيتا !

روزيتـــــــا : أوه !

ليـــــــونس : آه ياروزيتا · أمامى عمل فظيع ··

روزيتـــــــا : وماهو ؟

ليـــــــونس : الا أعمل شيئا ··

روزيتـــــــا : سوى أن تحب ؟

ليـــــــونس : وياله من عمل !

روزيتـــــــا : (وقد أحست بالاهانة) ليونس !

ليـــــــونس : أو ياله من انشغال !

روزيتـــــــا : أو من فراغ ·

ليـــــــونس : معك الحق كما تعودت دائما ، أنت فتاة ذكية وأنا أقدر فيك حدة الذكاء ·

روزيتـــــــــا : وهكذا تحبنى لاحساسك بالملل ؟

ليــــــــونس : لا ، بل اننى أحس بالملل لأننى أحبك · ولكننى أحب الملل الذى أشعر به تماما كما أحبك · أنتما عندى شىء واحد · ما أحلى ألا يعمل الانسان شيئا !(٧) اننى أحلم بالنظر فى عينيك كما لو كانا نبعين عميقين حافلين بالأســرار والمعجزات ، تقبيل شــفتيك يجلب لى النعاس مثل ما يفعل خرير الأمواج · (يعــانقها) تعال ، أيها السأم المحبوب · شفتاك تثاؤب شهى ، وخطاك ايقاع رتيب(٨) ·

روزيتـــــــــا : هل تحبنى ياليونس ؟

ليــــــــونس : ولم لا ؟

روزيتـــــــــا : تحبنى دائما ؟

ليــــــــونس : دائما ؟ هذه كلمة طويلة ! ان أحببتك خمسة آلاف سنة وسبعة شهور ، فهل يكفيك هذا ؟ انها تقل بكثير عن دائما ، ولكنها على كل حال مدة كافية ، وفى استطاعتنا ان ندخر الوقت الذى يكفى لنتبادل الحب معا ·

روزيتـــــــــا : وربما سلبنا الوقت الحب ·

---

(٧) فى الأصل بالايطالية ·

(٨) الكلمة الأصلية لاتينية وهى Hiatus اى التثاؤب ويقصد بها فى علم اللغة تلاقى صوتين متحركين فى نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى (مثل أنا آخذ) ويشبه بها ليونس خطوات روزيتا ·

ليـــــــونس : أو ربما ســــــــلبنا الحب الوقت : ارقصى يا روزيتا ، ارقصى ، حتى يمضى الزمن على وقع قدميك الرقيقتين !

روزيتـــــــــا : تود قدماى لو خرجتــا عن الزمن ، **(ترقص وتغنى) :**

أواه يارجلى

رجلى المضنيين

لابد من رقصة

فى ذلك الحذاء

الأحمر اللون

ولو ملكتما

لغصتما فى الأرض

وغبتما هناك

فى جوفها العميق

فى جوفها العميق •

وآه ياعينى

عينى الحلوتين

لابد أن تلتمعا

فى وهج الشموع •

ولو ملكتما

أغفيتما طويلا
فى عتمة الظلام
من شدة الآلام ٠
من شدة الآلام ٠
وآه ياخدى
خدى الدافئين
لابد أن تحترقا
فى لهب العناق
فى حين تنشدان
لو ازدهرتما
كمثل زهرتين
فى ألق الربيع ٠
فى ألق الربيع ٠

ايـــــــونس : (حالما) آه ! ان حبا يموت خير من حب يولد ٠ أنا رومانى ، أجلس الى مائدة الطعام الشهى بينما تلعب الأســـماك الذهبية بألوانها وهى تموت ، كنوع من التحلية للوجبة اللذيذة ٠٠ انظـــرى الى اللون الأحمـــر وهو يموت فى خدودها ، والأعين التى ينطفىء لهيبهـــا فى سكون ، واهتزازات أعضـــائها وهى ترتفع وتهبط فى هدوء ٠ الوداع ، الوداع ، ياحبيبتى

أريد أن أحب جثتك . (روزيتا تعود فتقترب منه) هل تبكين ياروزيتا ؟ ان القدرة على البكاء طبع أبيقورى لطيف . اجلسى فى الشمس ، حتى تتحول القطرات الغالية الى حبات من البللور ، لابد أن تصبح قطعا بديعة من الماس . تستطيعين أن تصنعى منها عقدا .

روزيتا : تقول قطعا من الماس ، وهى تجرح عينى كالسكاكين . آه ياليونس ! (تريد أن تضمه الى صدرها) .

ليونس : احذرى ! رأسى ! لقد دفنت حبنا فيه . انظرى فى نوافذ عينى ! ألا ترين أن المخلوق المسكين قد مات وشبع موتا ؟ ألا ترين الزهرتين البيضاوين على وجنتيه ، والزهرتين الحمراوين على صدره ؟ لاتدفعينى ، حتى لا ينكسر له ذراع ، والا كانت خسارة . ان على أن أحمل رأسى فوق كتفى كما تحمل الندابة تابوت طفل صغير .

روزيتا : (مازحة) مجنون !

ليونس : روزيتا ! (روزيتا تقطب وجهها مداعبة) الحمد لله ! (يغمض عينيه) .

روزيتا : (مفزوعة) ليونس ! انظر الى !

ليونس : مستحيل !

روزيتا : نظرة واحدة !

ايـــــــونس : ولا نظرة ! فما هى الاشعرة واحدة ويولد حبى العزيز من جديد · اننى سعيد لأننى دفنته فى التراب · أنا الآن أحتفظ بطعمه ·

روزيتـــــــا : (تبتعد حـــزينة بطيئة الخطى ، وتغنى وهى تنصرف) :

ما أنا الا طفلة يتيمة

تخاف من وحدتها الأليمة

أواه ! يالوعتى الرحيمة

ليتك ياصديقتى الحميمة

ترافقين رحلتى العقيمة

ورقدتى وأكلتى المسمومة(٩)

ليـــــــونس : (وحده) ما أعجب أمر الحب ! يرقد الانسان فى فراشه عاما بأكمله بين اليقظة والمنام ، ثم اذا به يستيقظ ذات صباح جميل ، فيشرب كوب ماء ، ويرتدى ثيابه ، ويمر بيده على جبهته ، ويتفكر ، ويتفكر · ياالهى ! كم عدد النساء اللائى يحتاج اليهن الانسان لكى يغنى على سلم الحب صـــعودا وهبوطا ! لا تكاد توجد امرأة تؤدى نغمة واحدة · لماذا يتجمع البخار

---

(٩) تصرفت قليلا فى الاغنية الأصلية التى تقول : أنا يتيمة مسكينة ، أخاف من الوحدة الشديدة ، آه يا أيها الحزن العزيز ، الا تريد ان تأتى معى الى البيت ؟

فوق أرضنا كانه مخروط زجاجى يكسر شعاع الحب الأبيض المتوهج فى قوس قزح ؟ (يشرب) أين الخمر التى سأسكر بها اليوم ؟ فى أية زجاجة يختبىء ؟ هل فقدت القدرة حتى على السكر ؟ هأنذا كما لو كنت أجلس أمام خرطوم ينفث الهواء . والهواء تلسعنى برودته ، حتى أكاد أتجمد ، وكان على أن أرتدى سراويل « نانكنج »(١٠) لأتزحلق على الجليد ـ سادتى ، سادتى ، هل تعرفون كاليجولا ونيرون ؟ أنا أعرفهما . ـ تعال ياليونس . اسمعنى حديثك الى نفسك ، فأنا أريد أن أنصت اليك .

حياتى تتثاءب فى وجهى كأنها ورقة كبيرة بيضاء ، كتب على أن أملأ صفحتها ، غير أننى لا أقدر على كتابة حرف واحد . رأسى قاعة رقص خالية ، زهرات ذابلة على الأرض واشرطة مثنية ملقاة ، كمنجات مهشمة فى ركن بعيد ، ومن تخلف من الراقصين نزعوا الأقنعة عن وجوههم وراحوا يتطلعون الى بعضهم البعض بعيون منهكة من التعب . أنا أتعثر حولى كل يوم أربعة وعشرين مرة كأننى قفاز يوضع فى اليد .. آه ! أنا أعرف نفسى،

---

(١٠) سراويل من القطن كثيفة مصقولة تمتاز بألوانها الصفراء الضاربة الى الحمرة ، وتسمى بهذا الاسم نسبة الى مدينة نانكنج الصينية .

أنا أعلم فيم سأفكر وأحلم فى الربع ساعة القادمة ، فى ثمانية أيام ، فى سنة كاملة ·
الهى ! أى ذنب جنيت حتى تجعلنى أكرر درسى كالتلميذ الخائب كل هذا الوقت ؟ برافو ياليونس ! برافو !(**يصفق بيديه**) اننى أشعر بمنتهى الفرح حين أنادى نفسى بهذا النداء ·
ها ! ليونس ! ليونس !

فاليريو : (الذى يظهر من تحت مائدة) يبدو أن سموك فى طريقك الى أن تكون مغفلا حقيقيا ·

ليونس : نعم · نفس الشىء يتضح لى أنا أيضا ··

فاليريو : انتظر قليلا · نريد أن نتحدث فى ذلك على النور ! لازالت أمامى قطعة لحم مشوى أخذتها من المطبخ ، وقليل من الخمر سرقته من مائدتك · سألتهمها حالا !

ليونس : ياللمفترس ! الوغد يسبب لى احساسات خيالية لذيذة ، انى أتمنى الآن لو أعود فأبدأ من أبسط الأشياء ، فآكل الجبن ، وأشرب الجعة ، وأدخن الطباق · هيا أسرع ، ولا تقبع هكذا بخرطومك ، ولا تصر هكذا بأنيابك !

فاليريو : ياسيدى العزيز أدونيس(١١) ، هل تخاف على فخذيك ؟ لا تخش شيئا فلست صانع مكانس

---

(١١) أدونيس : تذكره الأساطير الفينيقية شابا رائع الجمال ، جرحه خنزير برى جرحا مميتا فحولته ربة الحب أفروديته الى زهرة شقائق النعمان ·

ولا أنا معلم فى مدرسة ، لست فى حاجة الى أعواد لبلاب لأفتل منها سياطا ·

ليــــــــونس : لست مدينا بشىء لأحد ·

فـــــــاليريو : تمنيت لو كان هذا هو حال سيدى ·

ليــــــــونس : هل تقصد العلقة التى تستحقها ؟ أتهتم كل هذا الاهتمام بأمر تربيتك ؟

فـــــــاليريو : ياالهى ! أسهل على الانسان أن يولد من أن يربى · من المحزن أن يرى المرء فى أية ظروف يضعه غيره ممن تختلف ظروفهم عنه ! كم من أسبوع عشته منذ أن حملت بى أمى !(١٢) وكم من خير لقيته حتى أشكر اليوم الذى تلقتنى فيه القابلة ؟

ليــــــــونس : أما فيما يتعلق بحملك ، فليس هناك مايحملك على أن تحمل على أمك لأنها حملت بك · عبر عن نفسك تعبيرا أفضل · والا أصابك أســوأ انطباع من طبعى ·

فـــــــاليريو : عندما أبحرت سفينة أمى حول جبال الرجاء الصالح · · ·

ليــــــــونس : وتكسرت سفينة أبيك عند رأس القرن · ·

فـــــــاليريو : صدقت ، فقد كان من حراس الليل · ومع ذلك

---

(١٢) يلجأ بشنر هنا أيضا الى التلاعب بالألفاظ واستخدام الجنـــاس والكناية ·

فلم يكن من عادته أن يضع القرون على الشفاه
كما يضعها آباء النبلاء على الجبين ٠

ليـــــونس : أيها الوغد ! أنت تملك موهبة الوقاحة السماوية ·· اننى أشعر بحاجة تدفعنى الى استغلالها عن قرب ٠ كما أشعر بشوق عظيم لأن أضربك علقة ٠

فـــــاليريو : هذا جواب مفحم وبرهان قاطع ٠

ليـــــونس : (يهجم عليه) وأنت نفسك جواب مهزوم ·· ذلك أنك ستأخذ علقة عليه ٠

فـــــاليريو : (يفر منه ٠ ليونس يتعثر ويسقط) وأنت برهان مازال ينتظر الاثبات ، ذلك لأنه يسقط على ركبتيه ، اللتين تحتـــاجان فى الحقيقة الى الاثبات ٠ انهما عبارة عن عضلات ساق على أقصى درجة من عدم الاحتمال ، وافخاذ تعد مشكلة عويصة ٠

(يدخل الوزراء ٠ ليونس يظل جالســا على الأرض ٠ فاليريو)

رئيس الـــوزراء : هل تغفرون لى ياصاحب السمو ؟

ليـــــونس : كما أغفر لنفسى ! كما أغفر لنفسى ! اننى أغفر لها حسن النية الذى يجعلنى أنصت اليك ·· سادتى ، ألا تحبون أن تجلســـوا ؟ ـ يالهذه الملامح التى تكسو وجوههم حين يسمعون كلمة « الجلوس » ٠ اجلســـوا على الأرض ولا

تتحرجوا ! انها المكان الأخير الذى ستشغلونه فى يوم من الأيام ، ولكنه مكان لا يكلف أحدا أى شىء ، اللهم الا حفار القبور !

رئيس الوزراء : (الذى يمضى فى تحريك أصبعه نفس الحركة السريعة) :

هل تتعطفون سموكم ، بخصوص ...

ليونس : يا الهى ، أخف يديك فى جيوب سروالك ، أو اجلس عليهما . لقد خرج عن طوره تماما .. تماسك يارجل !

فاليريو : لا يصح أن يقاطع الانسان طفلا يتبول ، والا حصلت له حبسة ...

ليونس : يارجل ! أمسك نفسك ! فكر فى أسرتك ، فى مهام الدولة ! لو وقفت خطبتك فى حلقك فربما تتعرض للاصابة بالشلل !

رئيس الوزراء : (يسحب ورقة من جيبه) هل تسمحون ياصاحب السمو ..

ليونس : ماذا ؟ وتستطيع أيضا أن تقرأ ؟ ؟ ماذا اذن ..

رئيس الوزراء : ان صاحب الجلالة يحيط علم سموكم بأن غدا هو موعد وصول عروس سموكم صاحبة السمو والرفعة الأميرة لينا من مملكة بيبى ..

ليونس : اذا كانت عروسى تنتظرنى فسوف أنفذ اردائها وأجعلها تنتظرنى . لقد رأيتها ليلة أمس فى المنام . كانت لها عينان واسعتان بحيث يصلح

حذاء الرقص الذح تلبسه روزيتا ليكون حاجبا لهما • أما على خديها فلم أر أخاديد غائرة بل حفرا تتسع لضحكاتها • اننى أؤمن بالأحلام • هل تحلم أنت أيضا فى بعض الأحيان ياسيادة الرئيس ؟ هل يحدث لك أن ترى رؤيا أو الهاما ؟

فـــــــاليريو : بالطبع • كلما ســـــمع أنه فى اليوم التالى سيشوى لحم أو يذبح ديك(١٣) أو أن سموكم الملكى سيصاب بمغص •

ليـــــــــونس : على فكرة • ألم يبق شىء على طرف لسانك ؟ هات كل ما عندك •

رئيس الـــوزراء : لقد شاءت الارادة العليا لصـــاحب الجلالة الملكية أن يضــــع فى يوم الزواج كل مظاهر ارادته السامية بين يدى سموكم •

ليـــــــــونس : بلغ مسامع صاحب الارادة الســـامية أننى سأفعل كل شىء باستثناء ماسوف أبقيه على حاله ، وهو مالن يكون على كل حال أكثر مما لو كان كثيرا •• ـ سادتى ، اعذرونى فلن أستطيع مصـــاحبتكم ، وأنا فى هذه اللحظة متحمس للجلوس ، ولــــكن رحمتى بلغت من الاتســـــاع حدا أعجز معه عن قياس مداها برجلى (يفرج مابين رجليه) سيادة رئيس الوزراء ، تناول المقياس لكى تذكرنى به فيما بعد • فاليريو ، اصحب السادة الى الباب !

---

(١٣) الكلمة الأصلية تدل على نوع خاص من الديكة المخصية وهـى الكابوان •

فـــــــاليريو : جرس الباب ؟ هل أعلق على ســـيادة رئيس الوزراء جرسا ؟ هل أسوق السادة كما لو كانوا يسيرون على أربع ؟

ليـــــــوتس : أيها الوغد ، ما أنت الا تلاعب سيىء بالألفاظ • ليس لك أب ولا أم ، فقد رقدت الحروف الخمسة مع بعضها فأنجبتك •

فـــــــاليريو : وأنت أيها الأمير ، كتاب بلا حروف ، وليس فيه الا الشرط • تعالوا أيها السادة ! ان كلمات مثل « تعالى » و « ادخل » و « اخــــرج » و « اصعد » و « انزل » أمرها محزن • فاذا أردت أن يكون لك دخل ، فلابد لك أن تسرق ، واذا أردت أن تصعد فليس أمامك الا أن تشنق نفسك ! أما المنزل فلا يعثر عليه الانسان الا اذا استقر فى قبره ، وأما المخرج فهو مضمون فى كل لحظة كلما لجأت الى النكتة ، ولم يكن لديك شيء تقوله كما أفعل الآن على سبيل المثال ، وكما فعلتم أنتم أيضـــــا قبل أن تقولوا كلمة واحدة • لقد دخلتم فى اتفاق وانتم مطالبون الآن بالبحث عن طريقة للخروج •

(ينصرف الوزراء وفاليريو)

ليـــــــوتس : ما أحقر أن اجعل من نفسى فارسا على حساب هؤلاء المساكين ! ولكن ماذا افعل اذا كانت الحقارة لا تخلو من المتعة ؟ أتزوج ؟ معنى هذا أن افرغ بئرا فى جوفى • آه ياشـــــاندى ،

يأشاندى العجوز !(*) · من ذا الذى أهدانى ساعتك ؟ (يعود فاليريو) آه يافاليريو ، هل سمعت ؟

فـــــــاليريو : يظهر أنك ستصبح ملكا · هذا شىء مضحك · فى استطاعة المرء عندئذ أن يخرج للنزهة طول النهار ، ويتلف قبعات الناس من كثرة ما يرفعونها لتحيته ، فى استطاعته أن يفصل من الناس المحترمين عساكر محترمين ، حتى يصبح كل شىء طبيعيا تماما ، ويستطيع كذلك أن يحول السترات السوداء وأربطة العنق البيضاء الى خدم مطيعين للدولة · وعندما يموت ، تسير كل الرؤوس الصلعاء حزينة فى جنازته ، وتتفتت حبال أجراس الكنائس كالخيوط الدقيقة من كثرة الشد والجذب ·· أليس هذا كله أمرا مسليا ؟

ليـــــــونس : فاليريو ، فاليريو ! لابد أن نعمل شيئا ! انصحنى !

فـــــــاليريو : آخ ! العلم ! العلم ! نريد أن نصبح علماء ! قبلى أو بعدى ؟

(*) اشارة لشخصية شاندى العجوز فى رواية « حياة وآراء ترسترام شاندى » للكاتب الساخر لورنس ستيرن (١٧١٣ ـ ١٧٦٨) الذى كان من عادته منذ أن بلغ الخمسين من عمره حتى الستين ان يملأ ساعة البيت ويقوم بواجباته الزوجية فى ليلة الأحد الأولى من كل شهر ، لكى « يطرح عبئهما عن رقبته » على حد قوله !

ليـــــــــونس : القبلى يجب أن نتعلمه من أبى ، ولكن كل شىء يبدأ بالبعدى ، كما فى الحكايات القديمة : كان يا ما كان ...

فــــــــاليريو : اذن فلنكن أبطالا !

(يمشى هنا وهناك مشية عسكرية وهو يدق ويطبل) .

تروم ! تروم !

ليـــــــــونس : ولكن البطولة تتحلل ، تسكر بأردأ الخمور ، وتصاب بالحمى التى تنتاب نزلاء مستشفيات الميدان ولا يمكنها أن تبقى بدون الضـــباط والأنفار . ارجع لعقلك وانس أحلام الاسكندر ونابليون !(*) .

فــــــــاليريو : فهل نصبح اذن عباقرة ؟!

ليـــــــــونس : ان بلبل الشعر يتغنى طوال النهار فوق رؤوسنا . ولكن أرق مافيه يذهب للشـــيطان ، قبل أن نتمكن من انتزاع ريشه وغمسه فى الحبر أو فى الألوان .

فــــــــاليريو : اذن فلنصـــبح أعضـــاء نافعين فى المجتمع البشرى ؟!

ليـــــــــونس : أحب الى من هذا أن أتخلى عن صـــفتى كانسان .

(*) اشارة ساخرة الى أحلام الاسكندر الاكبر ونابليون الاول .

فـــــــــاليريو : لم يبق أمامنا الا أن نذهب للشيطان !

ليـــــــــوقس : آخ ! ليس الشيطان سوى الوجه المضاد الذى نفهم منه أن هناك موجودا آخر يقـــابله فى السـمـاء (قافزا) آه ! فاليريو ، فاليريو ، وجدتها ! الا تشعر بالأنسام تهب من الجنوب ؟ ألا تحس كيف يتموج الأثير الأزرق العميق الملتهب صعودا وهبوطا ، وكيف يسطع النور من الأرض الذهبية المشمسة ، والبحر المالح المقدس، والأعمدة والأجســـاد الرمرية ؟ ان « بان »(١٤) العظيم نائم ، والأبطال الشجعان يحلمون فى الظل وعلى خرير الأمواج العميقة بالساحر القديم فيرجيل ، وبأنغام الطبـــول ورقصـــة التارنتللا(١٥) ، والليالى العميقـة المجنونة الزاخر بالأقنعة والمشـــاعل والحان القيثار • فاليريو ، لنكن شحاذين فى نابولى ، لنذهب الى ايطاليا !

* * *

---

(١٤) هو فى الأساطير اليونانية القديمة اله الصيد والرعاة فى جزيرة أركاديا » ، وهى جزيرة السلام والبراءة والبساطة ، وقد جعل منه الرواقيون فى العصور المتأخرة رمزا يمثل الكل والحياة الشـــاملة • وكان اليونـــان يتصورونه بساقى جدى وشعره وقرنيه •

(١٥) رقصة ايطالية شعبية تتميز بالعنف •

المشـــهد الرابـــع

« حـــــــديقة »

(الأميرة لينا فى زينة العروس ـ المربية)

لينـــــــــــا : نعم ، الآن ! هاهو كل شيء قديم • عشـــت عمرى كله لا أفكر فى شيء مر دون أن أحس بشيء • وفجأة وقف اليوم أمامى منتصـــب القـــامة • هاهو ذا الاكليل فى شـــعرى ، والأجراس ، الأجراس ! (تميل بجسدها الى الوراء وتغمض عينيها) • انظرى ، انى أتمنى الآن لو ان العشب ينمو فوقى ، والنحل يطن حولى ، انظرى الى • أنا الآن فى ثياب العرس، والأوراق الخضراء مشبوكة فى شـــعرى • أليست هناك أغنية قديمة تقول :

أريد أن أنام

فى ساحة الكنيسة

كأننى الوليد

فى مهده السعيد •

المـــــــــربية : ياطفلتى المسكينة ، كم تبدين شـــاحبة الوجه تحت بريق هذه الجواهر اللامعة !

لينـــــــــا : ياالهى ! فى امكانى أن أحب ، ولم لا ؟ الانسان يســـير وحيدا فى حياته ، يتحسس اليد التى تمسك يده ، الى أن تأتى المغسلة فتفرق بينهما

وتشبك يدى كل منهما على صدره · ولكن لم يحاولون أن يدقوا مسمارا فى يدين لم يبحثا عن بعضهما ؟ وماذا جنت يدى المسكينة ؟ (تخلع خاتما من أصبعها) هذا الخاتم يلسعني كالحية ·

المربية : ولكن ـ يقال عنه انه « دون كارلوس »(١٦) حقيقى !

ليندا : ولكن رجلا · · ·

المربية : ماذا ؟

ليندا : لا يحبه القلب · (تنهض واقفة) أف ! انى أخجل من نفسى · غدا يتبخر العطر وينطفىء البريق · هل أنا اذا كالنبع المسكين الوحيد الذى كتب عليه أن يعكس كل وجه يميل على سطحه الساكن ؟ ان الزهور تفتح براعمها أو تغلقها كما تريد لشمس الصباح أو لريح المساء · أتكون ابنة الملك أقل من زهرة ؟

المربية : (باكية) ياملاكى المحبوب ، أنت فى الحقيقة كبش الفداء !

ليندا : أجل ، والكاهن يرفع السكين فى يده · · ـ ربى ! ربى ! هل صحيح أننا نخلص أنفسنا

---

(١٦) اشارة الى مسرحية « شيلر » المعروفة « دون كارلوس » عن ولى عهد اسبانيا الذى أحب زوجة أبيه ، وقد عاش من سنة ١٥٤٥ الى سنة ١٥٦٨ وكتب شيلر مسرحيته عنه سنة ١٧٨٧ ·

بآلامنا ؟ هل صحيح أن العالم مسيح مصلوب ، وأن الشمس هى تاج الشوك حول رأســـــه ، والنجوم هى المســـامير والســهام فى قدميه وجنبيه ؟

المـــــــــربية : ياطفلتى ! ياطفلتى ! لا يمكننى أن أراك على هذه الحال · لايمكنك أن تستمرى على هذا ، أنت تقتلين نفسك · ـ ربما ـ من يدرى ؟ ان شــيئا كهذا يدور فى رأسى · فلننتظر ·· تعالى !

(تصحب الأميرة خارجة)

الفصــل الثـانى

كيف رن صوت

فى اعمق اعماقى

وابتلع مرة واحدة

كل ذكرياتى ·

« أدالبيرفون كاميسو »(١)

(١٧٨١ ـ ١٨٣٨)

---

(١) أديب وشاعر وباحث فى التاريخ الطبيعى من أصل فرنسى ، فقد ولد فى سنة ١٧٨١ فى قصر بونكور بمقاطعة شمبانى بفرنسا ولكنه هرب مع أبويه من الثورة الفرنسية الى ألمانيا حيث تعلم اللغة الألمانية وكتب بها وان لم يستطع أن يتقنها تمام الاتقان · يضعه مؤرخو الأدب بين الرومانسية المتأخرة وأوائل الواقعية وقد اشتهر بروايته الرمزية القصيرة « حكايـــة بيتر شليميل العجيبة » عن رجل فقد ظله بعد أن باعه للشيطان فكتب عليه الضياع ·

● المشـــهد الأول :

(سـقل فسيح ـ نزل فى الجانب الخلفى)

(يظهر ليونس ومعه فاليريو الذى يحمل حملا على ظهره)

فــــــــاليريو : (لاهث الأنفاس) شرفا يا أمير ، العالم بناء هائل واسع الأرجاء .

ليــــــــونس : لا تبالغ ! لا تبالغ ! اننى لا أجسر أن أمد ذراعى ، وكأننى حبيس غرفة ضيقة صنعت جدرانها من المرايا ، خوفا من أن أصطدم بها فتتفتت التماثيل الجميلة وتتكسر على الأرض وأقف أمام الجدار العارى وجها لوجه .

فــــــــاليريو : لقد ضــعت .

ليــــــــونس : لن يحس بالضياع الا من يجدك .

فــــــــاليريو : عما قريب سأضع نفسى فى ظل ظلى .

ليــــــــونس : سوف تذوب ذوبانا تاما فى الشمس ، هل ترى هذه السحابة الجميلة فى السماء ؟ انها على الأقل فى ربع حجمك . وتطل فى ارتياح تام على المواد الغليظة التى جبلت منها .

فــــــــاليريو : لن تستطيع السحابة أن تمس رأسك بأذى ، لو أمكن التحكم فيها بحيث تسـقط فوقه قطرة فقطرة ـ خاطر بديع ! هانحن أولاء قد جبنا عددا من الامارات يزيد على عدد أصــابع اليدين ، ونصفه من الدوقيات وبعض الممالك ،

وكل هذا فى أقصى سرعة وفى نصف يوم ـ ولماذا ؟ لأنه فرض عليك أن تصبح ملكا وأن تتزوج أميرة حسناء ! ومازلت تعيش فى هذه الحال ؟ · اننى لا أفهم زهدك وصدودك · ولا أفهم لماذا لم تشرب زرنيخا ، ولا لماذا لم تقف على سلم برج الكنيسة وتصوب رصاصة الى رأسك فلا تخطئها ·

ليـــــــــوتس : ولكن المثل العليا يافاليريو ! اننى أحمل فى روحى المثل الأعلى لامرأة ولابد لى أن أبحث عنها · انها جميلة جمالا لانهاية له ، كما انها غبية غباء لا حد له ! ان جمالها كسير ومؤثر كأنها مولود جديد · ذلك هو التضاد الممتع : هذه العيون السماوية الغبية ، وهذا الفم الالهى الساذج ، وهذا المنظر الجانبى « الاغريقى » ذو الأنف التى تشـــبه أنوف الأغنام ، وهذا الموت الروحانى فى هذا الجسد الخالى من الروح ··

فــــــــاليريو : ياللشيطان ! هانحن مرة أخرى على الحدود ! هذه بلد تشبه البصلة : لاترى العين فيها الا القشور أو علب الكبريت التى وضع بعضها فى بعض : العلب الكبيرة ليس فيها الا علب ، والصـــغيرة لا تحتوى على شىء · (يقذف بحمله على الأرض) هل قدر لهذا الحمل أن يصبح شاهد قبرى ؟ انظر أيها الأمير ـ وأنا الآن أتفلسف ! ـ هذه الصورة التى رسمتها

للحياة الانسانية : اننى أجر هذا الحمل بقدمين داميتين خلال الصقيع وتحت لهيب الشمس ، لأننى أريد فى المساء أن ألبس قميصا نظيفا وعندما يأتى المساء أخيرا ، تكون جبهتى قد ملأتها التجاعيد ، ووجنتى غارت ، وعينى أظلمت ، ولا يتبقى لدى من الوقت الا ما يكفى لكى ألبس قميص أو كفنى . ولو كنت حاذقا لرفعت حملى من مكانه وبعته فى أول حانة تصادفنى ، ولشربت بثمنه ونمت فى الظل ، حتى يحل المساء ، ولوفرت على نفسى العرق الذى تصبب منى ، والأورام(٢) التى أوجعت قدمى . والآن ، أيها الأمير ، يأتى دور العمل والتطبيق : نريد الآن بدافع الحياء الخالص أن نكسو الانسان من الداخل أيضا ونلبسه سترة وسروالا (يتجهان ناحية النزل) آه ، ياجرابى العزيز ، ماهذه الرائحة الشهية التى تفوح من النبيذ واللحم المشوى ؟! آه ! ياسروالى العزيز ، ما أحلى أن تمد الآن جذورك فى الأرض وتخضر وتزدهر ! وأن تتدلى عناقيد العنب الطويلة الثقيلة فى فمى ، ويتخمر عصير العنب تحت العصارة (ينصرفان) .

(الأميرة لينا ومربيتها)

---

(٢) المقصود هو تورم الأصابع الذى يعرف « بالكاللو » .

المـــــــــــربية : لابد أنه يوم ساحر الفتنة ، فالشمس لا تريد أن تغيب ، وقد مر زمن لا آخر له منذ أن هربنا معـــــا ٠

لينـــــــــــــا : لا تبالغى ياحبيبتى ، فلم يكد يذبل الورد الذى قطفته ســـــاعة الوداع ، عندما خرجنا من الحديقة ٠

المـــــــــــربية : وأين سنستريح ؟ اننا لم نعثر على أى شىء حتى الآن ٠ لا أرى ديرا ، ولا نساكا ، ولا رعاة أغنام ٠

لينـــــــــــــا : لقد سرحنا بأحلامنا ونحن نقرأ خلف أسوار الحديقة ، بين أشجار المر(٣) والدلفى ٠

المـــــــــــربية : أف ! العالم فظيع ! ولم نعثر حتى الآن على أى أثر لابن ملك تائه ٠

لينـــــــــــــا : العالم رائع الجمال ٠ ومتسع غاية الاتساع ! بودى لو ظللت أسير ليل نهار ٠ مامن شىء يتحرك ٠ ظل وردة حمراء يمرح فوق الأعشاب، والجبال البعيدة ترقد فوق الأرض كأنها سحب نائمة ٠

المـــــــــــربية : سيدى يسوع ، ماذا عساى أقول ؟ ومع ذلك فهى فى غـــاية الرقة والأنوثة : لقد زهـــدت فى كل شىء ٠ وهربت كما هربت القديســـة

---

(٣) أشجار المر أو الصبر وهى أشجار دائمة الخضرة ٠

أوتيليا(٤) . ولكن لابد أن نبحث عن مأوى : فقد أوشك المساء أن يحل علينا !

لينــــــــا : نعم . ان النباتات تضم أوراقها لتنام ، وأشعة الشمس تسترخى فوق أطراف الأعشاب كالفراشات المتعبة .

* * *

● **المشـــهد الثـــانى :**

(النزل فوق مرتفع من الأرض يطل على نهر .

منظر شاسع . حديقة أمام النزل . فاليريو وليونس)

فــــــاليريو : والآن يا أميرى ، ما رأيك فى الشراب اللذيذ الذى ينضح من سروالك ؟ ألا تبتلع حذائك فى غاية السهولة ؟

ليـــــونس : هل ترى الأشجار القديمة ، والسياج والزهور ؟ لكل شىء منها حكاية ، حكاية جميلة ، غنية بالأسرار . هل ترى الوجوه

---

(٤) تقول خرافة من منطقة « الالزاس » انها هربت من والدها الدوق اتيخو الأول وذلك لرغبتها فى الزواج من « عريس السماء » .

العجـــوز الودودة فى ظل تكعيبة العنب أمام الباب ؟ وكيف يجلسون هناك وأيديهم متشابكة وفى قلوبهم خوف من أنهم قد شاخوا ، والعالم مازال شـــابا ؟ آه يافاليريو ، وأنا فى هذا الشباب والعالم بهذه الشـــيخوخة ! فى بعض الأحيان يتملكنى الذعر فأتمنى لو أجلس فى ركن بعيد لأرثى نفسى وأذرف دموعا ساخنة ٠

فـــــــاليريو : (يناوله كأســـــا) خذ هذه الكأس ، كأس الغواص ، وغص فى بحر الخمر ، حتى تطفو اللآلىء فوقك ٠ انظر كيف ترف الجنيات حول كئوس زهرات النبيذ ، وفى أقدامها أحـــذية ذهبية ، وكيف تضرب الصناجات(٥) ٠

ليــــــونس : (قافزا) تعال يافاليريو ، يجب أن نعمل شيئا، نعمل شيئا ! نريد أن نفكر فى مسائل عميقة ، نريد أن نبحث كيف يحدث للكرسى أن يقف على ثلاث أرجـــل بدلا من اثنتين ٠ تعال ، نريد أن نشرح نملا ، ونحصى ذرات الرماد ! سوف أجعل من ذلك هواية الأمراء وسوف أبتهج كالأطفال الذين يلعبون بالشـــخاشيخ ولن أهدأ الا اذا جمعت الريش وضربته على الســـقف ٠ مازالت عندى جرعة حماس لم أســـتهلكها بعد ، ولكننى بعد أن أســـــوى

---

(٥) آلة موسيقية عبارة عن صفائح نحاسية نصف كروية يضرب بهـا على اخرى ٠

الطعام سـأحتاج الى زمن لانهاية له حتى أعثر على ملعقة آكله بها، وعلى هذه الملعقة يتوقف كل شيء ٠

فـالبريو : ارجوبيبا موس !(٦) اذن فلنشـرب ! هذه الزجاجة ليست حبيبة ولا فكرة ، انها لاتعرف آلام الوضع ، ولا تصبح مملة ، ولا تخون ، بل تظل هي نفسها لا تتغير من أول قطرة الى آخر قطرة ٠ ما عليك الا أن تفض غطاءها ، وستفور في وجهك كل الأحلام الناعسـة فيها ٠

ليـوتس : يا الهي ! أعدك أن أجعل نصف حياتي صلاة لك لو أنني وهبت عودا واحـدا من القش أركب عليه كما أركب على ظهر جواد رائع، حتى أرقد أنا نفسي فوق القش ٠ ـ يالهذا المساء الفظيع ! كل شيء ساكن على الأرض ، وفي السماء تركض السحب وتغير أشكالها ، وضـوء الشمس يظهر ثم يغيب ٠ انظر الى هذه الأشكال الغريبة التي تطارد بعضـها في السماء ! انظر الظلال الطويلة البيضاء ذات الأقدام النحيلة المفـزعة وهي ترف رفيف الوطاويط ! وكل شيء هناك يلهث ويضطرب ، وهنا لا تتحـرك ورقة ولا عود ٠ الأرض تكومت على نفسـها كطفل ، وعلى مهدها تخطو الأشباح ٠

---

(٦) باللاتينية : اذا فلنشرب ٠

فــــــاليريو : لا أدرى ماذا تريد ، فأنا أحس بالبهجــــة تغمرني · ان الشمس تبدو كأنها درع معلق على باب فندق ، والســـحب المتوهجة التى تغطيها كأنها اللافتة المكتوبة فوقه : « فندق الشـــمس الذهبية » · والأرض والماء الذى يســـيل عليها كأنهما مائدة اندلقت الخمر فوقها ونحن نرقد عليها كأوراق اللعب ، التى يلعب بها الله مع الشيطان ليذودا الســـأم عنهما · أنت الملك ، وأنا الولد ، ولا ينقص الا البنت ، البنت الجميلة ذات القلب الناعم على الصدر ، والســـنابل الرائعة ، يتدلى أنفها الطويل على نحو يثير العواطف (تظهر المربية والأميرة) و ··· يا الهى ! هاهى ذى بنفسها ! ولكنها ليست سنبلة بل تنشـــيقة دخـــان ، وأنفها ليس أنفا ، بل خـــرطوم (للمربية) : لماذا تسيرين ، ياسيدتى المبجلة بهذه السرعة كلها ، حتى يكاد الانسان يرى عضلات ساقك لغاية شرائط جوربك المحترم ؟!

المــــــــربية : (تظل واقفة وقد ظهرت عليها أمارات الغضب الشديد)

ولماذا ياسيدى المحترم تفتح فاك على آخره فلا يرى الانسان أمامه الا فوهة واسعة ؟

فــــــاليريو : لكى لا يصدم الأفق أنف سيدتى المبجلة فينزف دما · فمثل هذا الأنف يشبه برج لبنان المائل فى اتجاه دمشق ·

ليندا : (للمربية) حبيبتى ، هل مازال الطريق أمامنا طويلا ؟

ليونس : (حالما) آه كل الطرق طويلة . دقات ساعة الموتى فى صدورنا بطيئة ، وكل قطرة دم تقيس الزمن ، وحياتنا حمى تزحف فى أعضائنا .. الأقدام المتعبة تجد كل طريق طويلا ..

ليندا : (التى تصغى اليه متفكرة) والأعين المتعبة تجد كل شعاع قاسيا ، والشفاه المتعبة كل نسمة ثقيلة (مبتسمة) والآذان المتعبة كل كلمة مملة (تدخل مع المربية الى النزل) .

ليونس : آه يافاليريو العزيز ! الم يكن فى استطاعتى أيضا أن أقول : ألم يكن لهذا كله ولغابة من أدغال الريش والأزهار المكومة فوق حذائى .. (؟)(٧) . أعتقد أننى قلت ماقلته أنا فى منتهى الحزن . الحمد لله ، أننى أوشكت أن أضع(٨) حزنى ! الهواء لم يعد ناصعا وباردا ، والسماء تنحنى متوهجة فوقى ، وقطرات ثقيلة تتساقط على ... آه من هذا الصوت : ألم يزل الطريق طويلا ؟ . « أصوات كثيرة تتحدث فوق الأرض ، ويخيل للانسان أنها تتحدث عن أشياء أخرى ، ولكننى فهمت صوتها . أنه يرف فوقى رفيف

---

(٧) هذه العبارة ناقصة فى الأصل ..

(٨) الوضع هنا بمعنى الولادة .

الروح فوق الماء ، قبل ان يكون النـــور ..
ياللتخمر فى أعماق ذاتى ، ياللوجود الذى
يولد فى نفسى ، وما أعذب هذا الصوت الذى
ينســـاب فى المكان ! ـ ألم يزل الطـــريق
طويلا ؟ » (يخرج) ..

فـــــــالديريو : لا ، ان الطريق الى مســتشفى المجانين ليس طويلا ، من السهل العثور عليه ، انا أعرف كل الدروب المؤدية اليه ، وكل الطرق المجاورة له والشــوارع المحيطة به . اننى أراه الآن أمامى يسير على الطريق العريض الموصـل اليه ، فى يوم من أيام الشتاء الباردة ، حاملا قبعته تحت أبطه ، وأراه أمامى واقفـــا فى الظلال الطويلة تحت الأشجار العارية يروح عن نفسه بمنديله . انه مجنون ! (يتبعه) .

* * *

● المشــــهد الثـــالث :

(حجـــــرة)

(لينـــا ـ المربيـــة)

المـــــــربية : لا تشغلى نفسك بهذا الرجل !

لينــــــــا : كان يبدو عجوزا بين خصلات شعره الشقراء . الربيع على الخدين ، والشتاء فى القلب ! هذا

شيء محزن · ان الجسد المتعب يجد الفراش الذى ينام فيه فى كل مكان ، أما الروح المتعب فأين يجد المكان الذى يستريح فيه ؟ فكرة فظيعة تخطر على بالى : يخيل الى أن هناك نوعا من الناس يحسون بالشقاء ، بالتعاسة التى لا شفاء منها ، لمجرد احساسهم بأنهم موجودون · (**تنهض واقفة**) ·

المربية : الى أين يا ابنتى ؟

لينا : أريد أن أنزل الى الحديقة ··

المربية : ولكن ··

لينا : ولكن ماذا يا أمى ؟ تعرفين أنه كان ينبغى أن يضعونى داخل قفص من الزجاج المكسور ·· اننى أحتاج الى الندى ونسيم الليل كما يحتاج الورد اليهما · هل تسمعين أنغام المساء المنسجمة ؟ هل تسمعين الجنادب تغنى للنهار وبنفسجات الليل يهدهدنه بعطرهن لينام ؟! لا أستطيع أن أبقى فى الحجرة · أحس أن الجدران ستنطبق على ·

* * *

● المشـــهد الـــرابع :

ــ الحديقة ــ ليل وضوء القمر ــ

(ترى لينا جالسة على العشب)

فـــــــاليريو : (منبعيد) الطبيعة جميلة ، وكانت تكون أجمل لو لم يوجد بعوض ولو كانت الأسرة أنظف مما هى عليه ولم تدق ســـاعات الموت على الجدران(٩) · فى الداخـــل يغط الناس فى النوم ، وفى الخارج تنقنق الضـــفادع ، فى الداخل تصفر الصراصير ، وفى الخارج تطن صراصير الحقل · أيها العشب النضير ، هذا قرار خطير !(١٠) (يرقد على العشب)

ليـــــــونس : (يظهر) أيها الليل الشافى البلسم ، كمثل أول ليلة هبطت على الفردوس !

(يلاحظ الأميرة ويقترب منها فى هدوء) ·

لينـــــــــا : (تكلم نفسها) بعوضة العشب وشـــوشت فى الحلم ــ

الليل ينام نوما عميقا ، خده يزداد شحوبا ، ونفسه تزداد سكونا · القمر يشبه طفلا ناعسا،

---

(٩) تعبير شعبى عن ديدان الخشب ·

(١٠) يتلاعب المؤلف هنا بكلمتي عشب Rasen وغاضب Rasend وقد ترجمنا العبارة بتصرف ·

تساقطت خصلات شـــعره ذهبية فوق وجهه الحبيب · ـ آه ! ان نومه موت · ما أجمل الملاك الميت الذى يرقد على مخـــدته المظلمة والنجوم تشتعل من حوله كالشموع ! الطفل المسكين ! انه حزين ، ميت ووحيد ·

ليـــــــونس : انهضى فى ثوبك الأبيض وتجـــولى فى الليل خلف جثته وغنى له أغنية الموت !

لينـــــــا : من الذى يتكلم ؟

ليـــــــونس : حـــلم ·

لينـــــــا : الأحلام سعيدة ·

ليـــــــونس : اذن فاحلمى انك ســـــعيدة واجعلينى حلمك السعيد ·

لينـــــــا : الموت أسعد الأحلام ··

ليـــــــونس : اذن فاجعلينى ملاك موتك ! دعى شفتى تهبطان على عينيك كأنهما رفيف جناحيه · (**يقبلها**) أيتها الجثة الجميلة · أنت ترقدين فاتنة على كفن الليل الأســـود ، فتجعلين الطبيعة تكره الحياة وتعشق الموت ·

لينـــــــا : لا ، اتركنى (تقفز واقفة وتبتعد بسرعة)

ليـــــــونس : هذا كثير ! هذا كثير ! وجودى كله تجمع فى هذه اللحظة الوحيدة · الآن مت ! مستحيل أن تطمع فى أكثر من هذا · ما أبدع الخليقة التى تطالعنى خارجة من ظلمة العماء ، منتعشـــة

الأنفاس ، رائعة الحسن والبهاء ! الأرض وعاء
من الذهب المعتم : كم يزيد النور فيها ويفور
على حوافيها ، ويلمع سنى النجوم المتلألئة

فوقها . هذه القطرة من السعادة تحيلنى الى وعاء شهى . أسقط هنا أيها الكأس المقدس ! (يريد أن يلقى بنفسه فى النهر)

فـــــاليريو : (يقفز ويمسك به) قف ياصـــاحب الســـمو والصفاء(١١) !

ليـــــونس : دعنى !

فـــــاليريو : بمجرد أن تعود الى اتزانك وتعدنى بأن تدع الماء !

ليـــــونس : أيها الغبى !

فـــــاليريو : ألم تتخلص بعد ياصـــاحب الســـمو من رومانتيكيتك فتحـاول أن تقذف بالكأس التى شربت منها على صحة حبيبتك ؟

ليـــــونس : يبدو أن الحق معك !

فـــــاليريو : عز نفسك ! ان لم تنم اليوم تحت العشب فحاول على الأقل أن تنام فوقه . ان الســعى الى الفراش شبيه بمحاولة الاقدام على الانتحار . الانسان يرقد فوق القش كالموتى وتلســعه البراغيث كالأحياء ..

---

(١١) التعبير يفيد هذا المعنى Serenssime ولكنه كان لقبا يطلق فى الأصل على أمراء الدويلات الألمانية الصغيرة .

ليـــــــــونس : على رأيك (يرقد على العشب) لقد أفسـدت على أجمل انتحار ! لن أجد فى حياتى لحظة أنسب من هذه اللحظة ، ولا جوا أبدع من هذا الجو · الآن تعكر مزاجى · افسدت كل شىء بسترتك الصفراء وسراويلك السماوية الزرقاء ـ فلتمنحنى السماء نوما صحيا عميقا !

فـــــــــاليريو : آمين ! ـ أما أنا فقد أنقذت حياة بشرية من الموت ، وسوف يساعدنى ضميرى المرتاح على أن أدفىء الليلة جسدى ·

ليـــــــــونس : نوما هنيئا يافاليريو !

الفصــل الثــالث

● المشــهد الأول :

ليونس ـ فاليريو

فــــــاليريو : تتزوج ؟ متى صممتم ياصاحب الســمو على الدخول فى التقويم الأبدى ؟

ليـــــــونس : هل تعلم أيضا يافاليريو ان اقل الناس شأنا يبلغ من العظمة حدا يجعل الحياة اقصر بكثير من ان أن تتمكن من حبه ؟ ومن ذلك ففى وسعى أن أغبط صنفا من الناس يتوهمون انه مامن شيء جميل أو مقدس الا وهم ملزمون بأن يزيدوا، جمالا وقداسة . ان فى مثل هذا الغــرور المحبوب نوعا من المتعة ، فلماذا أحرمهم منه ؟

فــــــاليريو : شعور انسانى جدا ووحشى جدا !(١) ولكن هل تعرف هى أيضا من أنت ؟

---

(١) الكلمة الأصلية مركبة من كلمة يونانية ولاتينية ومعناهــا محب للوحوش .

ليـــــــــونس : انها لا تعرف الا انها تحبنى ..

فـــــــــاليريو : وهل تعرفون سموكم من هى ؟

ليـــــــــونس : أحمق غبى ! اسأل القرنفلة اذن أو اسأل لؤلؤة الندى عن اسمها .

فـــــــــاليريو : معنى هذا أنها شىء له وجود على كل حال ، ان لم يكن هذا التعبير خـــاليا من الذوق أو يوحى بطعم البطاقات الشـــخصية(٢) : ولكن كيف يتم هذا ؟ ـ هه ـ يا أمير ، هل أصبح وزيرا لو لجمته اليوم بلجام الزواج المبارك أمام أبيك مع تلك التى لا اسم لها ولا سبيل الى وصفها ؟ هل تعدنى ؟

ليـــــــــونس : أعدك !

فـــــــــاليريو : الشيطان المســكين فاليريو يحيى صـــاحب الســـعادة الســيد الوزير فاليريو من وادى الفالير ! ـ ماذا يريد الغلام ؟ اننى لا أعرفه . أغرب عن وجهى ، أيها الوقح ! (ينصـــرف مسرعا يتبعه ليونس)

***

---

(٢) الكلمة الأصلية تفيد معنى الوصف الدقيق للأفراد على نحو مايحدث فى السجلات المدنية والبطاقات الشخصية (الهويات) .

● المشـــهد الثـــانى :

« ساحة واسعة أمام قصر الملك بيتر »

(رئيس مجلس المدينة ـ المعلم ـ فلاحون

فى ثياب يوم الأحد ، فى أيديهم فروع من شجر التنوب)

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم العزيز ، كيف حال رجالك ؟

المعـــــلم : هم صابرون على الرغم من ســوء الحال ، متماسكون منذ عهد بعيد على هذه الحال ، يصبون الخمر فى جوفهم ، ولولا ذلك لكان تماسكهم فى هذا الحر الشديد من المحال .. تشجعوا أيها الناس مدوا أيديكم بفروع من أشجار التنوب ، حتى يظن من يراكم أنكم غابة من أشجار التنوب وأن أنوفكم المحمرة حبات من الفراولة وقبعاتكم لحم مشوى وضوء القمر يختفى بين سراويلكم المصنوعة من جلد الغزال. واعلموا أن على من يقف منكم فى المؤخـــرة أن يجرى باستمرار ليضع نفسه أمام من يقف فى المقدمة ، حتى يبدو كأن عددكم قد تضاعف بكثير(٣) ..

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم ، الظاهر أنك أوشكت أن تفيق من سكرتك .

المعـــــلم : بالطبع ، فأنا من الفوقان لا أكاد أستطيع الوقوف على قدمى .

---

(٣) حرفيا : كأنه ضرب فى جذر التربيع ..

رئيس مجلس المدينة : لاحظوا أيها الناس أنه قد نص فى البرنامج على مايلى : على ـ ميع أفراد الرعية أن يرتدوا ثيابا نظيفة ، ويقفوا على طول الطريق الزراعى بوجوه راضية وبطون شبعانة · لاحظوا هذا ولا تجلبوا علينا العار !

المعلم : تمسكوا بالصبر والفضيلة ! لا تهرشوا خلف آذانكم ولا تضعوا أصابعكم فى أنوفكم عند مرور موكب صاحبى السمو العروسين ، وأظهروا التأثر بالمناسبة السعيدة والا استعملت معكم الوسائل المؤثرة ! اعترفوا بما فعلته السلطات من أجلكم : لقد وضعوكم فى صفوف مستقيمة حتى تهب الرياح عليكم من المطبخ وتشموا مرة واحدة فى حياتكم رائحة اللحم المشوى · هل تذكرون الدرس الذى علمتكم أياه ؟ هه ؟ يا ···

الفلاحون : يا ···

المعلم : عيش !

الفلاحون : عيش !

المعلم : يعيش !

الفلاحون : يعيش ![٤]

المعلم : هكذا ترى ياسيادة الرئيس أن مستوى الذكاء فى صعود · سنقوم الليلة أيضا باعداد رقصة

(٤) فى الأصل باللاتينية ·

شفافة مستعينين بالثقوب التى تملأ ستراتنا وسراويلنا ، وسنتلاكم وننطح بعضنا البعض بالأشرطة التى تزين قبعاتنا ٠

***

● المشــــهد الثـــالث :

(قاعة كبيرة ٠ رجال وسيدات فى أحسن زينة ،

فى صفوف مرتبة بعناية ٠)

(يظهر رئيس التشريفات مع بعض الخدم فى مقدمة المسرح)

رئيس التشريفات : انها مصيبة ! كل شىء ضاع ٠ اللحم المشوى انكمش ٠ التهانى بالزفاف لم تصـل بعد ٠ الياقات المدببة تقتل نفسها(٥) كآذان الخنازير الحزينة الفـلاحون نمت أظافرهم ولحاهم من جديد العساكر طالت شعورهم ٠ ومن اثنتى عشرة عذراء لاتوجد واحدة لا تفضل الوضع الأفقى على الوضع العمودى ٠

الخـــادم الأول : انهم يبدون فى ثيابهم البيضاء كالأرانب المتعبة، وشاعر البلاط يزوم حولهم كأنه خنزير بحرى

---

(٥) الكلمة الأصلية هى « قتلة الآباء » وكانت تدل قديما على ياقـات القمصان الحادة المدببة ٠

مهموم · السـادة الضـابط فقدوا اتزانهم وسيدات البلاط يقفن هناك كأنهن الغرابيل أو المناخل ، يتبلور الملح فى عقودهن(٦) ·

الخـادم الثانى : لقد أرحن نفوسهن على الأقل ، فلا يستطيع أحد أن يقول انهن يحملن شيئا على أكتافهن · واذا لم يكن صريحات القلوب فهن على الأقل مفتوحات حتى أعماق القلوب(٧) ·

رئيس التشريفات : نعم ، انهن أوراق جيدة من دولة الترك : ترى خلالها الدردنيل وبحر المرمر(٨) اذهبوا ، أيها أيها الأوغاد ! الى النوافذ ! هاهو صـاحب الجـلالة قد حضـر ! (يدخـل الملك بيتر والوزراء) ·

بيـــــــــتر : اذن فقد اختفت الأميرة أيضا · ألم يعثر أحد على أى أثر لولى عهدنا المحبوب ؟ هل نفذت اوامرى ؟ هل الحدود مراقبة ؟

رئيس التشريفات : أجل ياصاحب الجلالة · ان التطلع من هذه القاعة يتيح لنا أن نراقبها مراقبة شديدة ·· (للخادم الأول) ماذا رأيت ؟

---

(٦) الكلمة الأصلية تدل على نوع من الغربال أو المنخل الآلى لتصفية الملـح ·

(٧) يتلاعب المؤلف هنا بكلمتى Offen bis öum Herzen أى صـريح و Offen herzig أى مفتوح الى القلب ، مما يصعب نقله نقلا يحفظ الاشارة الكامنة وراءه ، وهى اشارة جنسية كما لا يخفى على القارىء ·

(٨) أى ترى صورهن وأثداؤهن ·

الخـــادم الأول : كلبا يبحث عن ســـيده ، وقد دخل الآن حدود المملكة ·

رئيس التشريفات : (للخادم الثانى) وأنت ؟

الخـــادم الثانى : أرى شخصا يتنزه على الحدود الشـمالية ، ولكن ليس هو الأمير ، والا لكنت تعرفت عليه ·

رئيس التشريفات : وأنت ؟

الخـــادم الثالث : معذرة ـ لا شىء ·

رئيس التشريفات : هذا قليل جدا · وانت ؟

الخـــادم الرابع : لا شىء كذلك ·

رئيس التشريفات : هذا أيضا قليل جدا ·

بيـــــــــتر : ولكن ألم أصدر أيها الوزراء قرارى بأن تفرح جلالتى الملكية فى هذا اليوم وأن يحتفل فيه بالزفاف ؟ ألم يكن هذا هو قرارى الأكيد ؟

رئيس التشريفات : أجل ياصاحب الجلالة ، هذا هو ما أثبت فى المحاضر الرسمية ، وأعلن على الرعية ·

بيـــــــــتر : ألن تكون هذه اهـــانة لى ، لو أننى لم أنفذ قرارى ؟

رئيس التشريفات : لو كانت هناك طريقة أخرى تهينون بها جلالتكم، ففى استطاعتكم فى هذه الحالة أن تهينوها ·

بيـــــــــتر : ألم أعد وعدى الملكى ؟ ـ نعم ، ســـوف أنفذ القرار الذى صممت عليه فى الحال ، سوف

أدخل الفرح على نفسى • (يفرك يديه) آه !
أنا فى منتهى الفرح !

رئيس الوزراء : نحن جميعا نشارك جلالتكم فى مشاعركم ، بقدر ماتستطيع الرعية وما يليق بها •

بيتر : أوه ! لست أدرى ماذا أفعل من الفرح ! سوف آمر بصنع معاطف حمراء لوصفائى ، سوف أرقى بعض الجنود الى ضباط ، سوف أسمح لرعيتى •• ـ ولكن ، ولكن ، الزفاف ؟ ألم ينص الجزء الأخير من القرار على الاحتفال بالزفاف ؟

رئيس الوزراء : نعم ياصاحب الجلالة •

بيتر : واذا لم يحضر الأمير ولم تحضر الأميرة كذلك ؟ •

رئيس الوزراء : نعم ، اذا لم يحضر الأمير ولم تحضر الأميرة كذلك ، اذن •• اذن ••

بيتر : اذن ، اذن ؟

رئيس الوزراء : اذن لايستطيعان أن يتزوجا •

بيتر : قف عندك ! هل النتيجة منطقية ؟ اذا ـ اذا ـ صحيح ! ولكن وعدى ، وعدى الملكى !

رئيس الوزراء : عن نفسك ياصاحب الجلالة بجلالات أخرى ! ان الوعد الملكى شىء ـ شىء ـ شىء ـ لايدل على أى شىء •

بيتر : (للخدم) ألا تبصرون شيئا ؟

الخـــــــدم : لا شيء ياصاحب الجلالة ، لا شيء

بيـــــــتر : وأنا الذى قررت أن ادخل السرور على نفسى ! أردت أن أبدأ مع دقة الساعة الثانية عشرة ، وأفرح اثنتى عشرة ساعة كاملة ـ سأكتئب الآن اكتئابا شديدا ·

رئيس الــوزراء : ستصدر الأوامر الى الرعية كلها بأن تشارك جلالتكم فى شعوركم ·

رئيس التشريفات : ومن لا يحمل منهم منديلا سيمنع من البكاء ، وذلك للمحافظة على الفضيلة ·

الخـــادم الأول : انتباه ! اننى ألمح شيئا ! انه يشبه أن يكون الصدر ، أو الأنف ، أما الباقى فلم يعبر الحدود بعد ، وهاأنذا أرى رجلا ، ثم شخصين من الجنسين ·

رئيس التشريفات : فى أى اتجاه يسيرون ؟

الخـــادم الأول : انهم يقتربون · يتجهون ناحية القصر · ها هم؟ (يظهر فاليريو وليونس والمربية والأميرة يحملون أقنعة على وجوههم)

بيـــــــتر : من أنتم ؟

فـــاليريو : ومن أين لى أن أعرف ؟ (ينزع عن وجهه قناعا بعد قناع) هل أنا هذا ؟ أو هذا ؟ أو هذا ؟ حقا ، لقد بدأت أخاف من أن أنزع القشور والأوراق عن نفسى قشرة قشرة وورقة ورقة ·

بيـــــــتر : (مرتبكا) ولكن ـ لابد أن تكونوا شيئا على كل حال !

فـــــــاليريو : مادمت قد أصدرت أوامرك ياصاحب الجلالة ! ولكن ، أيها السادة ، علقوا المرايا حولكم ، وأخفوا أزراركم اللامعة قليلا ، ولاتنظرو الى هكذا حتى لاتنعكس صورتى فى عيونكم ، والا فلن أعرف فى الحقيقة من أنا ·

بيـــــــــتر : هذا الرجل يربكنى ويحيرنى ويتعسنى ! أنا فى فى غاية الاضطراب !

فـــــــاليريو : الحقيقة أننى أردت أن أعلن على الجمع الراقى المحترم حضور الآلتين المشهورتين فى العالم كله ، وأننى ربما كنت ثالثهما وأعجبهمـــا ، لو أننى استطعت فى الحقيقة أن أعرف من أنا، الأمر الذى لايصح لأحد أن يتعجب منه ، اذ اننى لا أعرف شيئا مما أقول ، بل لا أعرف حتى اننى لا أعرف ، بحيث ان من المحتمل غاية الاحتمال أن هناك من يجرى على لسانى هذا الكلام ، وأن الذى يخطب فيكم الآن ليس سوى مجموعة من الاسطوانات والأنابيب التى تصفر فيها الرياح · (فى لهجة خطابية) · سيداتى وسادتى ! انظروا هنا تروا شـــخصين من الجنسين ، ذكرا وأنثى ، سيدا وسيدة ! لاشىء سوى الفن والميكانيكا ، لاشىء الا أوراق من الكرتون وعقارب ســـاعة ! لكل واحد منهما ريشة رقيقة رقيقة من العقيق تحت أظفر الأصبع الصغير فى القدم اليمنى ، يكفى أن تضـــغط عليه بلطف لكى تدور الآلة خمســـين عاما

كاملة · لقد صنع هذان الشخصان بدقة متناهية ، بحيث لن يستطيع المرء أن يميز بينهما وبين البشر الحقيقيين ، اذا لم يعرف أنهما مجرد ورق مقوى ، بل ان فى الامكان أن ندخلهما أعضاء فى المجتمع البشرى · انهما فى غاية النبل ، فهما يتكلمان بلغة فصيحة · وأخلاقهما عالية جدا ، فهما يستيقظان على دقات الساعة ويتناولان طعام الغداء على دقات الساعة ، ويذهبان الى الفراش على دقات الساعة · وهضمهما كذلك يسير بانتظام تام ، مما يثبت أن ضمائرهما حية(٩) · واحساسهما بالذوق واللياقة احساس رفيع ، فالمدام ليس لديها أية فكرة عن البنطلونات ، والسيد يستحيل عليه تماما أن يصعد السلالم خلف احدى السيدات ، أو ينزل على السلالم فيتقدمها خطوة واحدة · وهما مثقفان الى أقصى حد ، فالسيدة تغنى أحدث الأوبرات ، والسيد يلبس مانشتات(١٠) سيداتى سادتى !

انتبهوا ! لقد دخلا الآن فى مرحلة هامة : ان ميكانيكا الحب قد بدأت بالفعل ، فالسيد

---

(٩) عبارة تذكرنا بعبارة مشابهة فى مسرحية يوليوس قيصر لشيكسبير وتأثر بشنر به فى ترتيب المشاهد السريعة العديدة والولع بشخصية المهرج والتلاعب بالالفاظ أوضح من أن أشير اليه ··

(١٠) اى اساور منشاة ، وقد ابقيت على اللفظ الاصلى لحسن موقعه فى هذا السياق ·

قد حمل شال السيدة عدة مرات ، والسيدة قد قلبت عينيها عدة مرات وتطلعت الى السماء .. وكلاهما قد همس أكثر من مرة بالايمان والحب والأمل ! ان علامات الانسجام تبدو عليهما ، ولا ينقص الا الكلمة الصغيرة : آمين .

بيـــتر : (واضعا أصبعه على أنفه) صور ! رموز ! اسمع يارئيس الوزراء ، حين نأمر غيابيا بشنق انسان هارب من وجه العدالة ، ألا يكون هذا مساويا لشنقه في الحقيقة والواقع ؟

رئيس الوزراء : معذرة ياصاحب الجلالة بل ان ذلك يكون أفضل بكثير ، ذلك أنه لن يشعر بأى ألم ، وان كان سيشنق مع ذلك .

بيـــتر : الآن فهمت سنحتفل بالزفاف غيابيا (مشيرا الى لينا وليونس) هذه هى الأميرة — وهذا هو الأمير . — سأنفذ الآن القرار الذى صممت عليه ، سأدخل السرور على نفسى . دعوا الأجراس تدق ! تبادلوا التهانى ! وأنت ياواعظ البلاط ! أسرع !

(يتقدم واعظ البلاط ، ويتنحنح ، ويتطلع الى السماء عدة مرات)

فاليريو : ابتدىء ! دعك من حركات وجهك اللعينة وابتدىء ! هيا !

واعظ البلاط : (فى شدة الارتباك) لو أننا — أو — ولكن —

فـــــــاليريو : لما ــ الآن ــ

واعظ البـــــلاط : ذلك أن ــ

فـــــــالديريو : فى البدء قبل أن يخلق الله العالم ــ

واعظ البـــــلاط : حدث أن ــ

فـــــــاليريو : أحس الله بالسأم ــ

بيـــــــــتر : اختصر ياعزيزى ٠

واعظ البـــــلاط : (متمالكا نفسه) اذا سمحت ياصاحب السمو الأمير ليونس من مملكة بوبو ، وســـــمحت ياصاحبة السمو الأميرة لينا من مملكة بيبى ، وسمحتما معا ياصاحبى السمو كل من جانبه بأن يقبل كل منكما الآخر زوجا ، فقولا بصوت مرتفع مسموع : نعم ٠

لينا وليونس معا : نعم !

واعظ البـــــلاط : مادام الأمر كذلك فأنا أقول آمين ٠

فـــــــاليريو : أحســـنت ، هذا هو ما قل ودل ، بهذا يكون الرجل والمرأة قد تم خلقهما وجميع حيوانات الفردوس تحيط بهما ٠ (ليونس ينزع القناع عن وجهه)

الجميـــــــع : الأمير !

بيـــــــــتر : الأمير ! ابنى ! لقد ضعت ، خدعت ! (يهرول نحو الأميرة) ومن هذا ؟ سأعلن أن كل ماحدث لاغ !

المـــــــــربية : (تنزع القناع عن وجه الأميرة ، وتصـــيح منتصرة) الأميرة !

ليـــــــــونس : لينا ؟

لينـــــــــــا : ليونس ؟

ليـــــــــونس : لينا ، أعتقد أننا هربنا الى الجنة ·

لينـــــــــــا ! لقد خدعت !

ليـــــــــونس : خدعت !

لينـــــــــــا : ياللمصادفة !

ليـــــــــونس : ياللعناية الالهية !

فـــــــاليريو : لابد أن أضحك ! لابد أن أضحك ! فقد تصادف لقاؤكما ياصاحبى السمو بمحض المصادفة · أتعشم لأجل خاطر المصادفة أن يهنأ خاطركما ·

المـــــــــربية : من كان يصدق أن عينى العجوزين ستريان هذا ! ابن ملك تائه ! الآن أستطيع أن أموت وأنا مرتاحة البال ·

بيـــــــــــتر : يا أبنائى ، أنا متأثر ، لا أدرى ماذا أفعل من شدة التأثر · أنا أسعد انسان ! هأنذا ياولدى أعلن على الملا أننى أضع الحكم بين يديك ، وأننى سأنصـــرف الآن الى التفكير دون أن يزعجنى شىء · أما هؤلاء الحكماء (يشير الى الوزراء) فاتركهم لى ياولدى ، لـــكى يساعدونى فى الجهود التى سأبذلها · تعالوا أيها السادة · يجب أن نفكر ، يجب أن نفكر

بغير أن يزعجنا شىء • (ينصرف مع الوزراء)
أربكنى هذا البنى الآدم لابد أن أحاول الآن أن
أستعيد نفسى •

ليـــــــونس : (للحاضرين) سادتى ! باسم زوجتى وباسمى أعلن عن أسفى لأننا أرهقناكم اليوم بخدمتنا • ان وضعكم مؤسف الى حد أننا لن نضع صبركم موضع الاختبار أكثر من هذا • اذهبوا الآن الى بيوتكم ، ولكن لا تنسوا أن تأخذوا خطبكم ومواعظكم ، وقصائدكم ، لأننا سنبدأ اللعبة مرة أخرى من أولها غدا • الى اللقاء !

(ينصرف الجميع ، باستثناء ليونس ولينا وفاليريو)

ليـــــــونس : هل ترين يالينا كيف امتلأت جيـوبنا بالدمى واللعب ؟ ماذا نفعل الآن بها ؟ هل نضع لها شوارب ونعلق فى أيديها سيوفا ؟ أم نكسوها سترات سوداء ونعلمها احتراف السـياسة ، والدبلوماسـية ونجلس أمام الميكروسـكوب لنراقبها ؟ أم تشتاقين لصندوق غناء ، تجرى عليه الفيران الجمالية(١١) البيضاء كالحليب ؟ هل نبنى مسـرحا ؟ (لينا تميل عليه وتهز رأسـها) • ولكننى أعرف ما تريدينه خيرا منك : سنأمر بتحطيم جميع الساعات ونحرم حيازة النتائج السنوية ، ولا نقيس الساعات

---

(١١) أى ترضى ذوى الشعور المرهف الاحساس بالجمال •

والأقمار الا بتوقيت الوردة ، والزهرة والثمرة .. ثم نحيط البلد بالمرايا المشـــتعلة ، حتى لاياتى الشتاء بعد اليوم ونحيا فى الصيف فى جو ايشيا وكابرى(١٢) ، ونمضى السنة كلها بين أزهار البنفسج ، وثمار البرتقال وأكاليل الغار .

فـــــــاليريو : وأما أنا فســـوف أصـــبح وزيرا ، وسأصدر مرسوما يقضى بأن كل من تتشقق كفاه من العمل يوضع تحت الوصاية ، وكل من يمرض نتيجة الارهاق فى العمل يضع نفسه من الناحية الجنائية موضع العقاب ، وكل من يفتخر بأنه يأكل عيشه من عرق جبينه يعلن على الملأ أنه مجنون وأنه خطر على المجتمع البشرى ، ثم نرقد فى الظل وندعو الله أن يرزقنا ماكارونه ، وليمونا أصفر ، وتينا ، كما نتوسل اليه أن يهبنا حناجر موسيقية ، وأجساما كلاسيكية ، وديانة مريحة !!(*) .

---

(١٢) جزيرتان فى جنوب ايطاليا مشهورتان بجوهما الجميل الملائـــم للسياحة والتصييف .

(*) الكلمة الأصلية بالفرنسية .

فويســـك

فويســـك

الأشـــخاص :

فويسك · مارى

ضابط ـ طبيب ـ ضابط الطبول

صف ضابط ـ اندريس ـ مرجريت

صاحب حانة : مناد فى السوق

الصبى الأول (عامل يدوى) الصبى الثانى

كيته ـ كارل العبيط ـ الجدة ـ ثلاثة أطفال

الأول والثانى ـ مفتش البوليس

جنود ـ طلاب ـ فتية وفتيات ـ أطفال ـ جمهور

عند الضــــابط

الضابط على كرسى ـ فويسك يحلق له شعره

الضـــــــــــابط : على مهلك يافويسك ! ! واحدة ! واحدة ! يكاد يغمى على ماذا أصنع بالدقائق العشر التى تتبقى لى ان فرغت من الحلاقة قبل الميعاد ؟ فويسك · فكر معى : مازال أمامى ثلاثون عاما أعيشها · ثلاثون عاما حلوة · أى ثلاثمائة وستون شهرا ! ويوما ! وساعة ! ودقيقة ! ماذا عســـاه أن يفعل بهذا الزمن الهائل · يقسمها يافويسك(١) ؟

فويســـــــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضـــــــــــابط : الرعب يتملكنى كلما فكرت فى الأبدية · شغلة يافويسك ، شغلة ! أبدى · هذا أبدى ، هذا أبدى · شىء واضح كما ترى ، لكن الواقع أنه ليس أبديا وانما هى لحظة ، نعم لحظة واحدة ·

---

(١) يلاحظ أن الضابط يتكلم عن نفسه بضمير الغائب وكأنه شــخص آخر ، كما يفعل هذا أيضا مع المخاطب ·

ـ فويسك ، اننى أرتعد خوفا كلما فكرت أن الدنيا تدور حول نفسها كل يوم . ياله من زمن ضائع ! الى أين ينتهى بنا هذا ؟ فويسك انى لا أرى طاحونة الا استبد بى الحزن .

فويسك : تمام ياحضرة الضابط .

الضابط : فويسك أنت دائما مستعجل ! دائما ملهوف ! الرجل الطيب لا يفعل هذا . الرجل الطيب ذو الضمير الطيب ـ تكلم يافويسك ، قل شيئا ! ما حال الجو اليوم ؟

فويسك : سيىء ياحضرة الضابط سيىء . ريح !

الضابط : اننى أحس به فعلا . شيء كالعاصفة يدور فى الخارج . مثل هذه الرياح تذكرنى بالفيران . (فى خبث) أعتقد أن شيئا كهذا يأتينا من الجنوب الشمالى ؟

فويسك : تمام ياحضرة الضابط .

الضابط : ها ! ها : ها الجنوب الشمالى ! ها ! ها ! ها ! آه اننى غبى ! غبى الى حد شنيع (يتأثر) فويسك انه انسان طيب . ولكن (باستعلاء) فويسك !

انه بلا أخلاق ! أخـــلاق ! ذلك مايكونه الانسان عندما يكون على خلق هل يفهم ؟ انها كلمة طيبة . لديه طفل من غير بركة الكنيسة ، كما يقول واعظ القشلاق المبجل . بغير بركة الكنيسة . لست أنا الذى أقول هذا .

فويسـك : سيدى الضابط · ان الله لا يحاسب الدودة المسكينة ان كانت بركة آمين قد هبطت عليها قبل أن تخرج الى الوجود · الرب قال اتركوا الصغار يأتون الى ·

الضـابط : ماذا يقـول ؟ ماهذا الجـواب العجيب ؟ انه يربكنى بجـوابه · كلما قلت هو فانما أعنى أنت ·

فويسـك : نحن المساكين ـ انظر ياسيدى الضابط · المال ·· المال · من لامال معه ، فماذا تنفعه الأخلاق فى هذه الدنيا ؟ نحن أيضا من لحم ودم ·· أمثالنا أشقياء فى الدنيا وفى الآخرة · لو أن أبواب السماء فتحت لنا لكان علينا أن نساعد فى قصف الرعود ·

الضـابط : فويسك · انه عديم الفضيلة ! انه انسان غير فاضل ! لحم ودم ! عندما أقف فى نافذتى ، وقد تساقط المطر ، أتابع ببصـرى الجوارب البيضاء وهى تخطر عابرة الأزقة ـ الويل ! فويسك ، عندئذ يراودنى الحب ! أنا أيضا من لحم ودم · ولكن الفضـيلة ، يافويسـك ! الفضيلة ! كيف اذن كنت أصرف وقتى ! اننى أقول لنفسى دائما : أنت رجل طيب (متأثرا) رجل طيب · رجل طيب ·

فويسـك : نعم ياسيدى الضابط ، الفضيلة لم أذق طعمها بعد · انظر · ان عامة الناس من أمثـالنا لايعرفون ماهى الفضيلة · الطبيعة هى التى تتحكم فيهم · لو كنت سيدا وأضع على رأسى

قبعة وفى يدى ساعة وسلسلة واستطيع التحدث بلباقة لاشتهيت أن أكون فاضـــلا · لابد أن الفضيلة شىء جميل ، ياسيدى الضـــابط ، ولكننى فتى مسكين ·

الضـــــــــابط : طيب يافويسك · أنت رجل طيب ، رجل طيب · ولـــكنك تفكر أكثر من اللازم · وهذا يقضى عليك، وأنت دائما ملهوف ومستعجل ــ الحديث معك ضعضعنى · اذهب الآن ، ولا تجر كعادتك على مهلك ، انزل الشارع على مهلك !

« فضــــاء · المدينة تبدو من بعيد »

« فويسك وأندريس يقطفان أعوادا فى حرش »

انـــــــدريس : (يصفر)

فويســــــــك : أجل يا أندريس ، المـــكان ملعون · هل ترى الخط المضىء المنشور هناك فوق العشـــب ، حيث تنمو الاســـفنج ؟ هناك يتدحرج الرأس ليلا ، مرة التقطه واحد من مكانه ، يقول انه قنفد ، ثلاثة أيام وثلاث ليال ، رقد فيها على الواح الخشب · (همسا) : أندريس ، انهم الماسونيون ! الماسونيون ! لقد عرفت السر !

انـــــــدريس : (يغنى) :

بدا على البعد ارنبان(٢)

---

(٢) حرفيا : هناك جلس ارنبان ، العشب الاخضر ، العشب الاخضر ·

كانا على العشب يجلسان

ومن ندى العشب يأكلان

فويسك : سكوت ! هل تسمع يا أندريس ؟ هل تسمع ؟ شىء يتحرك هناك !

أندريس : (يغنى) :

حتى التهما العشب الأخضر

ماتركا منه شيئة يذكر(٣)

فويسك : انه يتبعنى ، يتحرك تحت قدمى . (يدق الأرض بقدميه) أجوف ، هل تسمع ؟! كل شىء أجوف تحتنا ! الماسونيون !

أندريس : أنا خائف ..

فويسك : هذا السكون الغريب . يود الانسان أن يحبس أنفاسه ! أندريس !

أندريس : ماذا ؟

فويسك : تكلم ! (يحملق جامدا فيما حوله) أندريس ! هذا النور ! فوق المدينة هالة من اللهب ! نار تتصاعد فى الأفق وصخب أبواق تنحدر الى الأرض شىء يقتلعنى . شىء يجـذبنى الى أعلى . كأنها الأشـباح ! لنبتعد ! لا تتلفت وراءك ! (يجذبه الى الدغل)

---

(٣) حرفيا : التهما العشب الاخضر ، العشب الاخضر ، حتى الحشائش .

أنـــــــــدريس : (بعد برهة) فويسك ، هل مازلت تسمع ؟

فويســـــــــك : سكون · كل شيء ساكن · كأن العالم مات ·

أنـــــــــدريس : هل سمعت ؟ انهم يقرعون الطبول · لابد أن نذهب !

المدينـــــــــة

(أمام النافذة ماريا تحمل طفلها بين ذراعيها ـ مرجريت)

(يمر طابور عسكرى فى مقدمته ضابط الطبول)

مـــــــــاريا : (تهدهد الطفل بين ذراعيها) هه ، سارا را را! هل تسمع ؟ هاهم قادمون ·

مـــــــرجريت : ياله من رجل ، كأنه شجرة !

مـــــــــاريا : واقف على رجليه وقفة السبع ! (ضابط الطبول يحيى)

مـــــــرجريت : وهذه النظرات الودودة · ياست الجارة ! لم تعودينا على رؤيتها ·

مـــــــــاريا : (تغنى) كتائب العسكر : أولئك الفتيان ·

مـــــــرجريت : مازالت عيناك تلمعان ·

مـــــــــاريا : ولو ! اذهبى بعينيك الى اليهودى ودعيـــه يمسحهما ، فقد تلمعان أيضا وتبيعينهما مقابل زرارين ·

مـــــــرجريت : ماذا ؟ أنت ياعانس ! أنا شريفة ، أما انت فكل

واحد يعرف من أنت ! كل واحد يكشفك ولو لبست سبعة سراويل من الجلد فوق بعض !

مــــــــــاريا : يافاجرة ! (تغلق النافذة) تعال ياصـــغيرى نبتعد عن عيون الناس . ما أنت الا ابن حرام مسكين ، تفرح أمك بوجهك المنحوس . ها ! ها ! (تغنى) :

يافتاتى .....

ضاقت الدنيا فماذا تصنعين ؟

ويل أم مالها الدهر قرين

لى وليد ليس يدرى من أبوه

أمه يعرفها أما أبوه ؟

لو قضيت الليل أشدو وأغنى

ما حنا قلب عليه أو عليا

لا ولا امتدت يد تعطيه شيا

(طرق على الباب)

مــــــــــاريا : من ؟ فرانز ؟ ادخل !

فويســـــــــك : لا أستطيع . لابد أن أذهب للقشلاق .

مــــــــــاريا : هل قطعت الأعواد للضابط ؟

فويســـــــــك : نعم ياماريا .

مــــــــــاريا : مالك يافرانز ؟ الارتباك يبدو عليك .

فويسك : (مأخوذا كأنه يهمس بشيء) ماريا ، لقد عاد الى الظهور من جديد · شيء رهيب لا اسم له · فجاة تصاعد دخان من المراعى ، كالدخان الذى يتصاعد من فرن ؟

ماريا : يارجل !

فويسك : ظل يتبعنى الى مشارف المدينة · شيء لا ندركه ·· لانستطيع تصوره · شيء يسلبنا العقل · ترى ماذا يكون ؟ الى أين يسوقنى ؟

ماريا : فرانز !

فويسك : لابد أن اذهب للسجن اليوم مساء فى القداس ! لقد ادخرت شيئا · (ينصرف) ·

ماريا : الرجل مسته الأرواح · لم ينظر الى طفله ! مازال غارقا فى أفكاره ! لماذا سكت ياصغيرى ؟ هل أنت خائف ؟ الظلام يزحف ، يكاد الانسان يحسب نفسه أعمى وكان الصباح يرسل نوره هنا · لا أستطيع أن أحتمل هذا الظلام ، اننى ارتعد ! (تنصرف)

(اكشاك ـ أضواء ـ جمهور)

(عجوز يغنى وطفل يرقص على أنغام صندوق مما يحمله المغنون الجوالون فى الشوارع)

هذه الدنيا زوال وفتون

كل ما كان وماسوف يكون

كتب الموت علينا أجمعين

ذاك مانعلمه علم اليقين

فويسك : هاى ! عجوز مسكين ! طفل مسكين ، طفل صغير ! هموم وأعياد !

ماريا : عجبا · ان كان الحمقى قد فقدوا عقولهم ، فكلنا أحمق ـ عالم مضحك ! عالم جميل !

(يتجهان نحو الصائح فى السوق)

الصائح فى السوق : (على أحد الأكشاك ومعه زوجته وقرد فى ثياب مزوقة) سيداتى ، سيداتى ! انظروا الى الخليقة كما أبدعها الله · لاشىء · لا شىء بالمرة تأملوا الآن الفن ، يسير منتصب القامة ، عليه سترة وسروال ، وفى يده سيف ! القرد عسكرى ، ليس هذا هو كل شىء ·· أدنى درجات النوع الانسانى ! هوه ! انحنى للسادة ، هكذا ـ أنت بارون قبلة للزبائن (يطبل) الصعلوك موسيقار موهوب !

سيداتى ! سيداتى ! أمامكم الحصان الفلكى وعصفور الكنارى الصغير · كل ملوك أوربا تحبهما ·

يكشفان كل الأسرار : العمر ، عدد الأطفال ، نوع المرض ، العرض بدأ ! بداية البداية فى الحال !

فويسك : الك مزاج ؟

مـــــــــاريا : كما تحب · لابد أنها حـــاجة حــلوة · هذا الطرطور على رأس الرجـــل ! والمرأة تلبس سراويل !! (يدخلان الكشك) ·

ضـــابط الطبول : قف ! هاها ! هل تراها ؟ يالها من حرمة !

الصـف ضـابط : يا ابليس ! كأنها خلقت لتهجـــين فصـــائل الفرسان !

ضـــابط الطبول : وتوليف ضباط الطبول !

الصـف ضـابط : انظر كيف تحمل رأســـها بين كتفيها ! يخيل للانسان أن الشعر الأسود لابد أن يشدها الى الوراء كأنه حمل ثقيل ـ والعيون ـ

ضـــابط الطبول : كما لو كان الانسان يطل فى ينبوع أو ينظر فى مدخنة · هيا بنا ، وراءها !

(الكشـــك المنور من الداخـــل)

مـــــــــاريا : هذا النور كله !

فويســـــــــك : نعم ، يا ماريا · قطط سوداء عيونها من نار آه : يالها من ليلة !

صـاحب الكشـك : (يستعرض حصانا أمام الجمهور) : أظهر مواهبك ! بين مفهوميتك الحيوانية ! أخجـــل المجتمع البشرى ! سادتى ! هذا الحيوان الذى ترونه أمامكم ، بذيله وحوافره الأربعة ، عضو فى كافة الجمعيات العلمية ·

بروفســـور فى جامعتنا ، على يديه يتعلم الطلبة ركوب الخيل والمبارزة · ذلك هو العقل

البسيط . فكر الآن بالعقل المزدوج ! ماذا تفعل عندما تفكر بالعقل المزدوج ؟ هل بين أعضاء الجمعية العلمية التى نراها حمار ؟ (البغل يهز رأسه) هل رأيتم الآن العقل المزدوج ؟ هذه فزيونوميا حيوانية(٤) . أجل ليس هذا بهيما غبيا ، انه شخص ، انسان ، انسان حيوانى ، ومع ذلك فهو بهيم ، حيوان متوحش (البغل يعرض نفسه فى خيلاء) هكذا أخجل الجميع . انظروا ، ان البهيم طبيعة بحتة ، طبيعة غير مثالية تعلموا منه ! اسألوا الطبيب ، والا أصابكم ضرر بليغ . كان يقال : أيها الانسان ، كن على طبيعتك ! لقد خلقت من طين ، ورمل ، ووسخ . هل تطمع أن تكون أكثر من طين ورمل ووسخ ؟ انظروا ما بلغه من العقل . ان فى امكانه أن يحسب بدون أن يعد على أصابعه . لماذا ؟ لأنه لايستطيع أن يعبر عن نفسه ، أن يشرح خواطره ، انه انسان ممسوخ . قل للسادة كم الساعة الآن ! من من السادة والسيدات لديه ساعة ؟ ساعة ؟ .

الصف ضابط : ساعة ؟ (يخرج فى زهو ساعة من جيبه) هاك هى ياسيدى !

ماريا : لابد أن أرى هذا (تشق طريقها الى الصفوف الأمامية ، الصف ضابط يساعدها)

---

(٤) أى فراسة ، وهى علم الاستدلال على الطباع من ملامح الوجه وتكوين الخلقة .

ضـــابط الطبول : أما حرمة !

(غـــرفة مـــاريا)

مــــــــــاريا : (جالسة طفلها على حجرها ومرآة صغيرة في يدها) والرجل الآخر أمره فاضـــطر أن يذهب ! (تنظر في المرآة) : كم تلمع الأحجار ! من أي نوع ياترى ؟ ما الذى قـــاله ؟ نم ياصغيرى ! اقفل عينيك · أقفلهما جيدا (الطفل يخفى عينيه بيديه)

هل تغلقها جيدا ؟ ابق هكذا ــ حذار أن تبكى ، والا جاء وخطفك (تغنى) :

يا فتاة ·······

أغلقى الشباك حتى لا يراك

أسمر العينين من أرض الغجر

فارس لو أبصـــرته مقلتاك

لحظة أو قبلته شـــــفتاك

ربما يطويك فى لمح البصر

فى ذراعيه الى أرض الغجر ! (٥)

(تعيد التطلع فى المرآة · ··سك أنه من ذهب ! هل يا ترى سيليق · ى فى الرقص ؟ آه من بختنا نحن المســـاكين كتب للواحدة منا ركن

---

(٥) تصرفت فى هذه الأغنية قليلا ، ولكننى حافظت على المعنى الأصلى ·

صغير فى هذا العالم ، ومرآة صـــغيرة فى اليد . مع ان لى شفة حمراء كنساء الذوات بمراياهن الكبيرة من شـــعرهن الى القدم ، ورجالهن المرفهين الذين يقبلون أيديهن . ما أنا الا امرأة مسكينة !

(الطفل يصحو من نومه) نم . نم ياصغيرى ! أقفل عينيك ! عفريت الليل . هاهو يمشى على الحائط وينظر بعينين من زجاج . نم ، والا يحلق فيك وخطف عينيك !

(فويسك يدخل ويقف وراءها بحيث لاتراه . ماريا تتحسس الحلق بيدها)

فويســـــك : ما هذا ؟

مــــــاريا : لاشىء .

فويســـــك : والذى يلمع تحت أصابعك ؟

مــــــاريا : حلق عثرت عليه .

فويســـــك : شىء كهذا لم أره فى حيـــاتى ، اثنين مرة واحدة !

مــــــاريا : ألست مثل كل الناس ؟

فويســـــك : لابأس ياماريا . الطفل ينام ! اجذبيه من تحت ذراعيه فالكرسى يضغط عليه . قطرات تلمع فوق جبهته ، تعب كل ماتحت الشمس ، حتى فى نومه يتصـــبب الانســـان عرقا . نحن

المساكين ! خذى ياماريا ، المرتب وشىء من الضابط .

ماريا : ربنا يجازيك بالخير يافرانز .

فويسك : لابد أن أذهب الليلة ياماري ! الوداع !

ماريا : (وحدها ، بعد برهة) ما أنا فى الحقيقة الا انسان سيىء . انى أكاد أقتل نفسى .

آه من هذا العالم ! ليذهب الجميع الى الشيطان رجالا ونساء !

(عند الطبيب)

(فويسك ـ الدكتور)

الدكتور : ماذا اسمع يافويسك ؟ هل هذه كلمة رجل ؟

فويسك : ماذا حصل ياسيدى الدكتور ؟

الدكتور : رأيت بعينى ، بعينى يافويسك وأنت تبول فى الشارع ، وأنت تبول على الحائط كما يفعل الكلب ـ وكل يوم ثلاثة قروش والزاد ! فويسك ، هذا شىء بطال ، العالم يسوء كل يوم ، يسوء للغاية !

فويسك : ولكن ياسيدى الدكتور ، عندما تتحكم الطبيعة فى الانسان .

الدكتور : الطبيعة ! الطبيعة ! الم اثبت بما لا يقبل الشك أن العضلة القابضة موسكولوس كونستركتور

فيسكاى(٦) خاضعة لارادة الانسان ؟ الطبيعة ! فويسك ! ان الانسان كائن حر · فى الانسان تسمو الفردية الى الحرية · وانت لا تستطيع أن تتحكم فى البول ؟ (يهز رأسه) (يعقد يديه خلف ظهره ويمشى فى الحجرة ذهابا وايابا)

هل أكلت البسلة يافويسك ؟ لاشىء غير البسلة ، كروسيفراى(٧) ، لاحظ هذا ! ستكون ثورة فى العلم · سأفجره فى الهواء · بول عشرة فى المائة أمونيوم ، هيروكسيدول ، حامض هيدوكلوريك فويسك · هل تحس أنك مزنوق ؟ ادخل وجرب ·

فويسك : لا أستطيع يادكتور ·

الدكتور : (منفعلا) أما على الحائط فنعم ! عندى الدليل المكتوب ، والعقد فى يدى ! رأيت كل شىء ، بعينى هاتين ، كنت أخرج أنفى من النافذة لتسقط عليها أشعة الشمس وأراقب العطس (يتجه نحوه) لا يا فويسك ، لست غاضبا · ان الغضب غير صحى ، غير علمى · اننى هادىء ، كل الهدوء ، كالمعتاد ، واقول لك هذا بمنتهى البرود · ياحفيظ ، ومن يغضب نفسه من أجل انسان ، من أجل انسان ! حتى لو

---

(٦) بللاتينية لتتم الحذلقة العلمية ! ومعناها عضلة المثانة القابضة ·
(٧) باللاتينية أيضا ومعناها الهول أو الويل لك ·

كان بروتيوس(٨) ويموت أمامه ! ولكن يافويسك
لم يكن يصح أن تبول على الحائط .

فويسك : انظر ياسيدى الدكتور، فى بعض الأحيان يكون للواحد منا أخلاق ، يكون له طبع — أما مع الطبيعة فالأمر يختلف ، انظر ، مع الطبيعة (يطقطق أصابعه) ماذا أقول ياترى ، على سبيل المثال ...

الدكتور : فويسك . رجعت للفلسفة .

فويسك : (فى ود) سيدى الدكتور هل سمعت مرة عن الطبيعة المزدوجة ؟

عندما تظهر الشمس فى عز الظهر ، ويبدو العالم كأنه يحترق ، اسمع صوتا مخيفا ينادى على .

الدكتور : فويسك عندك خلل ، أبيرراتسيو(٩) !

فويسك : (يضع اصبعه على أنفه) الاسفنج ، ياسيدى الدكتور ، هناك ، هناك تختبىء . هل لاحظت مرة أشكال الاسفنج التى تثبت على الأرض ؟ أين من يفهم هذا ؟

الدكتور : فويسك ! عندك أجمل حالة اختلال عقلى جزئى أبيرراتسيو منتاليس بارتياليس(١٠) ، النوع

---

(٨) نوع من السحالى .
(٩) باللاتينية : علل ذهنى .
(١٠) نفس العبارة باللاتينية أيضا .

الثانى ، واضح تمام الوضوح · فويسك · ستأخذ علاوة · النوع الثانى · فكرة ثابتة مع حالة طبيعية بوجه عام · هل تؤدى أعمالك كالمعتاد ؟ هل تحلق للضابط ؟

فويسك : نعم ·

الدكتور : وتأكل البسلة ؟

فويسك : بانتظام ياسيدى الدكتور · ومصاريف المعاش تأخذها زوجتى ·

الدكتور : وتخدم فى القشلاق ؟

فويسك : نعم ·

الدكتور : حالة مدهشة يانفر فويسك ، ستأخذ علاوة اثبت · هات النبض · تمام ··

(حجرة ماريا)

(ماريا : ضابط الطبول)

ضابط الطبول : ماريا !

ماريا : (وهى تنظر اليه بصوت معبر) تمشى قدامى ! الصدر صدر ثور والذقن ذقن سبع · وماله نظير ·· أنا أفتخر بك أمام كل النسوان !

الضابط : عندما أعلق الريشة الكبيرة يوم الأحد وألبس القفاز الأبيض ، رعدك باسما ! الأمير يقول دائما : رجل ولا كل الرجال !

ماريا : (بتهكم) أوه ! (تقترب منه) رجل !

الضـــــابط : وأنت المرأة ! ياشـــياطين ! تعالى نرمى بذرة ضابط الطبول ! هوه ؟ (يعانقها)

مــــــاريا : (فى ضيق) اتركنى !

الضـــــابط : ياوحش !

مــــــاريا : (بحرارة) لا تلمسنى !

الضـــــابط : هل ينط الشيطان من عينيك ؟

مــــــاريا : على رأيك ! كله واحد !

(ـ شـــــارع ـ)

(الضابط ـ الدكتور يهبط الشـارع مسرعا

يقف ينحنى ، ثم يتلفت حوله)

الضـــــابط : يادكتور ، لا تجر هكذا ! لا تطوح بعصـــاك هكذا فى الهواء ! أنت تجرى وراء الموت ·· الرجل الطيب صاحب الضمير الطيب لا يمشى بهذه السرعة · الرجل الطيب (يمسك بسترة الدكتور) سيدى الدكتور ، اسمح لى أن أنقذ حياة بنى آدم !

الدكتـــــور : مستعجل ، ياحضرة الضابط ، مستعجل !

الضـــــابط : سيدى الدكتور ، أنا دائما مغموم ، عندى ميل للغم ، كلما رأيت سـترتى معلقة على الحائط بكيت غصبا عنى ·

الدكتـــــور : هـ ·· م ! أبخرة ، سمنة ، رقبة وارمة ، تكوين أبو بلكتى(١١) · نعم ياسيدى الضابط ، ربما

---

(١١) أى لديه الاستعداد للاصابة بالنقطة أو السكتة أو الصرع ·

تصـــاب بالنقطة أبوبلكسياسيربيرى فى جنب واحد ، وفى الجنب الثانى تصاب بالشلل ، أو على أحسن الفروض تصاب بالشـــلل العقلى وتعيش لتأكل فقط ٠

هذه تقريبا هى حالتك المنتظـــرة فى الأربعة أسابيع المقبلة ! على فكرة أستطيع ان أؤكد لك ان حالتك من أمتع الحالات ، واذا شاء الله وشل لسانك شللا جزئيا ، فستكون هذه فرصة لعمل تجارب خالدة ٠

الضـــــــــابط : ياسيدى الدكتور ٠ لا تدخل الرعب فى قلبى ! ياما ناس ماتت من الرعب ، من الرعب وحده ٠ أنا أرى النـــاس فى أيديهم ليمون ولـــكنهم ســـــيقولون كان رجلا طيبا ، رجلا طيبا ـ شيطان ! مسمار نعش !

الدكتـــــــــور : (ينزع قبعته من على رأسه) ما هذا ، ياحضرة الضابط ـ هذه رأس خاوية ياحضرة الســيد النفر المحترم !

الضـــــــــابط : (مقطبا) ياحضرة الدكتور ؟ هذا عبط ، هذه سذاجة ، ياعزيزى السيد مســـمار النعش ! هأ هأ هأ ! لكن لابأس ! أنا رجل طيب ولكنى أستطيع أيضا ، اذا أردت يادكتور ، هأ هأ هأ اذا أردت (يظهر فويسك ويريد أن يمر مسرعا) هيه ! فويسك ، ماذا يجعلك تمرق من جنبنا بهذه السرعة ؟ انتظر يا فويسك ! انه يمشى فى الدنيا كموس الحـــلاقة ٠ كل من يقابله

يجرحه وكأن وراءه فرقة مخصصيين تحتاج الحلاقة ، أو كأنهم سيشنقونه لو ترك شعرهم من غير حلاقة · لكن الذقون الطويلة ـ ماذا كنت أريد أن أقول ؟ فويسك ، الذقون الطويلة ·

الدكتـــــــور : ذقن طويلة تحت الفك · بلينيوس(١٢) تكلم عنها ومن رأيه أن نعلم العساكر كيف يقلعون عن هذه العادة ·

الضـــــــابط : (يستمر فى حديثه) ها ؟ على الذقون الطويلة! قل لى يا فويسك ! ألم تجد شعرة ذقن فى طبقك ، هه ، أنت طبعا فاهم ؟ شعرة ذقن رجالى ؟ صاحبها نفر ضابط طبول · هيه ، ولكن زوجتك شريفة ـ بخلاف الناس كلهم ·

فويســـــــك : نعم · ماذا تريد أن تقول ياحضرة الضابط ؟

الضـــــــابط : ولم هذه التكشيرة ؟ ربما لم تجدها فى الشربة ولكن لو استعجلت ورحت على الناصية ربما تجد شعرة عالقة بشفتين ·· شفتين ·· يافويسك ! أنا أيضا شعرت بالحب ، يافويسك ولد ! أنت أصبحت فى لون الطباشير !

فويســـــــك : سيدى الضابط · أنا شيطان مسكين ـ لا أملك من الدنيا أى شىء ، سيدى الضابط · ان كنت تمزح ··

---

(١٢) بلينيوس الأكبر ، كاتب رومانى ولد سنة ٢٣ ومات على أثر انفجار بركان فيزوف سنة ٧٩ بعد الميلاد ، ومن أهم مؤلفاته كتاب عن التاريخ الطبيعى يقع فى عدة أجزاء ··

الضـــابط : أمزح · أنا أمزح معك ياولد ؟

الدكتـــور : النبض ، يافويسك ، النبض ! بسيط ، قوى ، منتفض ، غير منتظم ·

فويســـك : ياسيدى الضابط · الأرض مثل جهنم الحمراء وأنا جسـمى ثلج ، ثلج – جهنم برد – هل تراهن ؟ مسـتحيل – ياعـالم ! ياناس ! مستحيل !

الضـــابط : ولد ! يعنى أخبطك رصاصتين فى نافوخك ؟! تسـلط عينيك تطعنى كالسـكاكين – وأنا قصدى طيب معك – لانك رجل طيب ، يافويسك رجل طيب ·

الدكتـــور : عضلات الوجه متحجرة ، متوترة ، تنتقض · الحالة متهيجة ، ومتوترة ·

فويســـك : أنا ماشى · كل شىء جائز · الانسان ، كل شىء جائز – الجو جميل اليوم ياسـيدى الضابط ، انظر ، مثل هذه السماء الجميلة ، الثابتة ، الداكنة يكاد الانسان – يجد متعة فى أن يدق فيها لوح خشب ويشنق نفسه منه ، لولا الفكرة التى تفصل بين نعم ونعم وبين لا ولا · سيدى الضـابط ، نعم ولا ؟ هل اللامذنبة فى حق النعم أم الذمم فى حق اللا ؟ أريد أن أفكر فى هذا ·

(ينصرف بخطوات واسعة بطيئة فى أول الأمر ثم تزداد سرعة بالتدريج)

الدكتــــــــــــور : (يندفع وراءه) ظاهرة ! فويسك ! لك علاوة !

الضــــــــــــابط : سأدوخ من منظر هذا البنى آدم · ما أسرعه ! اللئيم المكار ·

رجله الطويلة تهرول كما لو كان ظل رجـــل عنكبوت ، والرجل الصغيرة ترتعش · الطويلة هى البرق والقصيرة الرعد · ها ها ! مسخرة ! مسخرة !

(حجـــرة مـــاريا)

(مـــاريا ـ فويســــك)

فويســــــــــــك : (ينظر اليها فى جمود ويهز رأسه) هم ! لا أرى شيئا ، لا أرى شيئا آه · لابد للانسان أن يراه ، أن يتمكن من القبض عليه بكلتا يديه !

مـــــــــــــاريا : (خائفة) مالك يافرانز ؟ أنت تهذى يافرانز ·

فويســــــــــــك : خطيئة ، بهذا السمك وبهذا العرض ـ رائحتها العفنة تفوح منها ، بحيث يستطيع الانسان أن يبخر الملائكة على رائحتها الى السماء ! فمك أحمر ياماريا · أليس عليه أثر رمل ؟ ماذا ياماريا ؟ أنت حلوة كالخطيئة ـ هل تستطيع الفاحشة أن تكون بهذا الجمال ؟

مـــــــــــــاريا : فرانز ، أنت تتكلم كالمحموم !

فويســــــــــــك : يا ابليس ! هل كان يقف هناك ؟ هكذا ؟ هكذا ؟

مـــــــــاريا : لما كان النهار طويلا والعالم قديما ، ففى امكان الكثيرين أن يقفوا فى مكان واحد ، واحدا بعد الآخر ٠

فويســــــــك : لقد رأيته ٠

مـــــــــاريا : فى استطاعة الانسان أن يرى الكثير مادامت له عينان وليس أعمى والشمس طالعة ٠

فويســــــــك : ياعالم ! (يتقدم نحوها)

مـــــــــاريا : لا تلمسنى يافرانز ! طعنة السكين فى جسدى أحب الى من لمسة يديك ٠

ان أبى لم يجسر فى حياته على ضربى وعندى من العمر عشـــــر سنوات ، عندما كنت أنظر اليه ٠

فويســــــــك : يا امرأة ! لا ! لابد أن فيك شيئا ! كل انسان هاوية سحيقة ٠ يصـــــيبنا الدوار حين نتطلع اليها ٠ ليكن ! انها تسير كما لو كانت هى البراءة نفسها ٠ ولكن لك ، أيتها البراءة ، علامة تدل عليك ٠٠ هل أعرفها ؟ هل أعرفها ؟ من الذى يعرفها ؟! (ينصرف)

(غـــــرفة الحراســــــة)

(فويســــــك ـ أندريس)

انـــــــدريس : (يغنى)

ســت البيت الجارة

عندها خدامة شاطرة

قــاعدة فى الجنينة

ليلهــا ويا نهــارها

قاعدة فى الـجنينة(١٣)

فويســــك : أندريس

أنــــدريس : هه ؟

فويســــك : الجو جميل ٠

أنــــدريس : جو يوم الأحد ـ الموسيقى على باب البلد ٠ من مدة خرجت النســوان ٠ الناس طالع منها البخار ، شىء عظيم !

فويســــك : رقص يا اندريس ، أنهم يرقصون !

أنــــدريس : فى الوحل وفى النجوم ٠

فويســــك : رقص ! رقص ٠

أنــــدريس : على كيفهم (**يغنى**)

قــاعة فى الجنينة

لغاية لما الســاعة

تدق تناشــر دقة

---

(١٣) صاحبة البيت عندها خادمة شاطرة ، تجلس فى البستان ليـل نهار ، تجلس فى بستانها ٠

تتفرج عالعساكر(١٤)

فويســــــــك : أندريس ، أعصابى فى دوامة •

أنـــــدريس : مغفل •

فويســــــــك : لابد أن أخرج ، الدنيا تلف أمام عينى • رقص، رقص ، هل ستصبح يداها دافئتين ؟ أندريس ! لعنة الله عليها !

أنـــــدريس : ماذا تريد ؟

فويســــــــك : لابد أن أذهب ، لابد أن أراها •

أنـــــدريس : يا مهووس ! كل هذا من أجل هذا المخلوق ؟

فويســــــــك : لابد أن أخرج •• الحر يخنقنى هنا •

(ملهى)

(النوافذ مفتوحة ـ أرائك أمام الملهى • صبية من عمال الحرف اليدوية)

الصـــبى الأول : (يغنى) :

شايل قميص على جتتى

بس القميص مش من نصيبى

---

(١٤) تجلس فى بستانها ، الى أن تدق الساعة الثانية عشرة وتأخذ بالها من العساكر •••

نفسى أدوق طعم النبيت

وأشرب كاسين من ايد حبيبى(١٥)

الصـــبى الثانى : أخى ، هل تحب أن أشق لك خرما فى الطبيعة ، لأجل خاطر صداقتنا ؟ الى الأمام ! أريد أن أخرم خرما فى الطبيعة ! أنا أيضا شهم كما نعـــرف ! أريد أن أفعص كل البراغيث على جسدك !

الصـــبى الأول : روحى ، روحى تفوح برائحة الخمر ، حتى المال يفسد ! ياوردة لا تنسنى ، ما أجمل هذا العالم ! أريد أن أملأ برميلا لآخـــره بالكآبة والنواح حتى يطفح تمنيت لو كان أنفســانا زجاجتين ، واستطعنا أن يصب كل واحد منا فى رقبة الآخر ٠

(آخرون يغنون غناء الجوقة) :

صياد من أرض الفالس

راح يصطاد جوه الغابة

والغابة كانت خضرة

هاللو ؟ هاللو ؟ ياما أحلى الصيد

ما أحلاه ، عالمرعى الخضرا(١٦)

---

(١٥) ارتدى قميصا ، والقميص لا املكه روحى تفوح برائحة الخمر ٠٠
(١٦) صياد من الفالس ، دخل مرة فى غابـــة خضــراء ، هاللى ، هاللو ، ما أحلى الصيد هنا على المراعى الخضراء ، الصيد هو فرحتى ٠

ما أحلاه ما أحلاه ! فرحتى وهناية !

(فويسك يقف أمام النافذة ـ ماريا وضابط الطبول يمران عليه وهما يرقصان متعانقين ، دون أن يلحظاه) .

ماريا (وهى تعبر راقصة) ضمنى بشدة ـ بشدة ـ

فويســـــــك : (يختنق) بشدة ـ بشدة ! (ينهض فى هياج ثم يسقط على الأريكة) بشـــدة ـ بشـــدة ! (يشبك يديه) لفوا ! دوروا ! لماذا لا ينفخ الله فى الشمس فيطفئها حتى يتمرغ الجميع فى الفاحشة ، رجالا ونساء ، آدميين وبهائم .. افعلوها فى وضح النهار ، الدغوا الناس فى أيديهم كما تفعل البعوض ! ـ النســـوان ! النسوان ساخنة ، ساخنة ! بشدة ، بشدة ! (فى هياج) الجدع ، منظره وهو يطوقها ، يضم جسدها ! انها الآن ملكه ، كما كانت ملكى فى البداية (ينهار فاقد الوعى) .

الصـــــبى الأول : (يلقى عظة من فوق المائدة) ومع ذلك ، فعندما يقف عابر متجول ويستند الى نهر الزمان أو يستنجد بالحكمة الالهية ويخاطب نفسه قائلا : لم كان الانسان ؟ لم وجد الانسان ؟ الحق أقول لكم : من أى شىء كان يحيا الفلاح والنقاش والطبيب لو لم يخلق الله الانســان ؟ من أى شىء كان يحيا الترزى ، لو لم يفطـــر الله الانسان على الخجل والحياء ، ومن أى شىء

كان يحيا الجندى لو لم يزوده بالحاجة الى قتل نفسه ؟ من أجل هذا لا ترتابوا ـ أجل ، أجل ، انه لشىء جميل ورائع ، ولكن كل ما على الأرض شر ، حتى المال يفسد ويزول · وفى الختام ، يامستمعى الأعزاء دعونا نتبول على الطبيب ، لكى يموت يهودى ·

(يستيقظ فويسك على أصوات الهتاف ويسرع بالانصراف)

(حقـــل فى الخـــلاء)

فويســـــــــك : بشدة ! بشدة ! هش ، هاش ، تلك أصوات الكمنجات والصفافير · بشدة ! بشـــدة ! ســكوت ؟ موســـيقى ! ما الذى يتكلم تحت الأرض ؟ (يتمدد على الأرض) هاَ ! ماذا ، ماذا تقولين ؟ ارفعوا أصـــواتكم ! ارفعوا أصواتكم ! اقتل ! اقتل ! المعزة ! اقتل ! اقتل ! المعزة ! هل ينبغى على ؟ هل يجب على ؟ هل أسمع الصـــوت هناك أيضا ؟ أتقولها الريح كذلك ؟ هل اسمعها تقول بشدة ، بشدة ، اقتل اقتل !

(حجـــرة القشـــلاق

(ليل ـ فويسك وأندريس فى سرير واحد)

فويســـــــــك : (هامسا) : أندريس !

انـــــــدريس : (يكلم نفسه وهو نائم)

فويســــــــك : (يهز أندريس) ما ، أندريس ! أندريس !

أنــــــــدريس : هه ؟ ماذا ؟

فويســــــــك : لا أستطيع أن أنام ! كلما أغمضت عينى ، رأيت كل شىء يلف أمامى وسمعت أصوات الكمان ، بشدة ثم أسمع صوتا يتكلم من الحائط ·

ألا تسمع شيئا ؟

أنــــــــدريس : نعم ـ دعهم يرقصون · أنا تعبان · ليحفظنا الله ، آمين ·

فويســــــــك : الصوت لايزال يقول : اقتل ! اقتل ! ويندس بين عينى كالسكين)

أنــــــــدريس : ثم يامغفل : (يعود للنوم)

فويســــــــك : بشده ! بشدة !

(فناء فى بيت الطبيب)

(طلبة مع فويسك فى الفناء ـ الطبيب يطل عليهم من نافذة فى أعلى السطح)

الدكتــــــــور : سادتى ، أنا أقف على السطح مثل داود ، عندما رأى باتسيبيا(١٧) · ولكنى لا أرى غير

---

(١٧) هى زوجة القائد الحيثى أوريا ، أغراها داود وتزوج منها عقب اغتيال أورا ، ونصب ابنها سليمان بايعاز منها بدلا من الابن الأكبر دونيا خليفة له على العرش · انظر العهد القديم ، سفر الملوك ١ ، ١

كيلوتات فرنسية منشورة فى بنسيون البنات تجففها الشمس في الحديقة · سادتى ، لقد وصلنا الى المسألة الهامة عن علاقة الذات بالموضوع · لو أننا أخذنا شيئا من بين الأشياء التى يتجلى فيها التأكيد الذاتى العضوى للالوهية على مثل هذا المستوى الرفيع ، وبحثنا عن العلاقات التى تربطها بالمكان ، والأرض ، والافلاك ، سادتى ، لو قذفت بهذه القطة من النافذة ، فكيف يكون سلوك هذا الكائن بالنسبة لمركز الجاذبية ، سنتروم جرافيتاسيونس ، تبعا لغريزتها الخاصة بها ؟ هه ، فويسك (يزعق) فويسك !

فويسك : (يلتقط القطة) سيدى الدكتور ، القطة تعض !

الدكتور : ولد ، أنت تمسك الحيوان بحنان كما لو كان ستك الكبيرة (ينزل الى الفناء)

فويسك : سيدى الدكتور ، عندى رعشة ·

الدكتور : (بفرح عظيم) آى ، آى ! عظيم ، يافويسك ! عظيم !) يمسح يديه فى بعضهما ويتناول القطة) : ماذا أرى ، سادتى ، النوع الجديد من قمل الأرانب ، نوع جميل ·· (يخرج زجاجة من جيبه ، تفلت القطة منه) سادتى ، ليست لدى القطة أى غريزة علمية · نستطيع أن نرى شيئا آخر · انظروا · هذا البنى آدم ، من ربع سنة وهو لا يأكل الا البسلة ، لاحظوا

تأثيرها عليه ، تحسسوا بأنفسكم النبض المضطرب ! النبض والعينين !

فويسك : سيدى الدكتور ، الدنيا تسود فى عينى (يجلس)

الدكتور : تشجع يافويسك · كلها يومان ثم ينتهى كل شيء ·· تحسسوا ياسادة ، تحسسوا ! (يتحسسون سوالفه ونبضه وصدره) بالمناسبة يافويسك ، حرك أذنيك أمام حضرات السادة ! كان فى نيتى أن أفرجكم عليها ، فعنده عضلتان تتحركان · هيا(١٨) ! الى العمل !

فويسك : آخ ياسيدى الدكتور ·

الدكتور : ياحيوان ، هل على أن أحرك اذنيك بنفسى ، هل تريد أن تتشبه بالقطة ، هكذا ياحضرات السادة ! هذه مرحلة انتقال للحمار، وهى فى الغالب نتيجة التربية الأنثوية ولغة الأم · كم شعرة جذبتها أمك من رأسك للذكرى وبدافع الحنان ؟ لقد خف شعرك كثيرا فى الأيام الأخيرة · حضرات السادة ، كل هذا بتأثير البسلة !

(ساحة فى القشلاق)

فويسك : ألم تسمع شيئا ؟

أندريس : انه هناك مع أحد زملائه ·

فويسك : هل قال شيئا ؟

---

(١٨) فى الأصل بالفرنسية allons !

أنـــــــدريس : وكيف عرفت ؟ ماذا أقول ؟ طيب · لقد ضحك، ثم قال : امرأة لذيذة لها أفخــاذ دافئة وكل شيء فيها دافيء !

فويســــــك : (ببرود شديد) هل قال هذا ؟ ماذا رأيت الليلة في المنام ؟ ألم أحلم بسكين ؟ يالها من احلام حمقاء !

أنـــــــدريس : الى أين ياصاحبي ؟

فويســــــك : احضر خمرة لحضــرة الضــابط : ولكن ، يا أندريس ، كانت مع ذلك فتاة لا نظير لها ·

أنـــــــدريس : من ؟

فويســــــك : لا شيء · الى اللقاء ، (**ينصرف**)

(ضابط الطبول ـ فويسك ـ ناس)

ضــابط الطبول : أنا رجل (يضرب بيديه على صدره) انا قلتها كلمة ، رجل ! هل فتح أحد فمه ؟ هل يحب أن يتعرض لي ؟ من لا يشرب شرب الآلهة ، فليبتعد عن سكتي والا حشــرت أنفه في خرمه ! أريد (لفويسك) أنت ياجدع ، اشــرب ! نفسي العالم كله يصبح خمرة ، خمرة ! الرجل لابد أن يشرب ! (فويسك يصفر) ولد ، هل أشد لســانك من رقبتك وألفه حــول جثتك ؟ (يتصارعان ـ فويسك يخسر) هل أكتم على نفسك حتى تصيح مثل نساء العجوز ؟ أعملها ؟ (فويسك يلقي بجسده في اعياء على احدى الأرائك وهو يرتعد)

كان لازم الولد يشرب طينة ويصفر !! (**يغنى**)
الخمرة هى حياتى
الخمرة تدى القوة !(١٩)

واحـــــدة : سمنته فيه !

أخـــــرى : دمه ينزف !

فويســـك : واحد بعد الثانى ·

(دكـــان)

(فويســك ـ اليهودى)

فويســـك : المسدس غالى جدا ·

اليهـــودى : ستشترى أولا ؟ ماهى الحكاية ؟

فويســـك : وثمن السكين ؟

اليهـــودى : السكين مسنونة تماما · هل تحب حضرتك ان تقطع بها رقبة حضـــرتك ؟ هه ، مارأيك انا أعطيها لحضـــرتك بثمن مرتاح ، مثلك مثل غيرك · من حقك أن تموت ميتة مرتاحة ، لكن ليس من حقك أن تموت مجانا · مارأيك ؟ انا سأخدمك لتموت ميتة اقتصادية ·

فويســـك : تقطع أكثر من العيش ؟

اليهـــودى : قرشـــين

فويســـك : خذ ! (ينصرف)

---

(١٩) الخمر حياتى ، الخمر تمنح الشجاعة !

اليهـــــودى : خذ ! كأن الفلوس تراب ! مع انها فلوس ! أما كلب صحيح !

(حجـــرة مـــاريا)

(العبيط راقدا يحكى حـكاية على أطـــراف أصابعه)

العبيـــــــط : على راسه تاج ذهبى ، الملك العظيم ‥ فى الصباح أحضر للست الملكة طفلها · سـجق الدم يقول : تعال ياسجق الكبد ‥

مـــــاريا : (تتصفح الكتاب المقدس) : «ولم يخرج الغش من فمه » الهى ، الهى ! لاتنظر الى (تقلب فى صفحات الكتاب المقدس) ولكن الفريسيين(٢٠) أحضـــروا اليه امرأة زانية ووضـــعوها فى الوسط · أما يســـوع فقال : أنت أيضا لا ألعنك · اذهبى ولا ترتكبى الخطيئة بعد الآن (تعض يديها) الهى ! الهى ! لا أستطيع ! الهى ـ أعطنى أن أقدر على الصلاة · الطفل (يقترب منها) الطفـــل يطعننى فى قلبى (للعبيط) كارل ! انه يتمطع فى الشـــمس (العبيط يتناول الطفل من يديها ويسـكت) فرانز لم يحضر ، لا أمس ، ولا اليوم · الحر يزداد هنا (تغلق النافذة وتواصل القراءة) وركعت عند قدميه وبكت ، وشـــرعت تبلل

---

(٢٠) فرقة دينية وسياسية من بنى اسرائيل كانوا يتباهون بتشددهم فى الالتزام بنصوص الدين ·

قدميه بالدموع وبشعر رأسها تجففهما ، وقبلت قدميه ودهنتهما بالمسك (تضرب صــــدرها بكفها) كل شىء ميت ! أيها المخلص ! أيها المخلص ! أريد أن أدهن قدميك بالمسك .

(قشـــــلاق)

(أندريس ـ فويسك يقلب فى أشـــيائه)

فويســــــك : أندريس ، الصـــديرى يحتاج للتصليح . ربما تحتاج اليه يا أندريس .

أنـــــــدريس : (فى جمود يوافق على كل ما يقول) : نعم

فويســــــك : الصليب لأختى والخاتم الصغير .

أنـــــــدريس : نعم ..

فويســــــك : معى كذلك صورة قديس ، قلبان وذهب جميل . كان فى انجيل أمى ، مكتوب عليه :

مولاى ! يا أيها المخلص الشهيد .

واسمح لقلبى أن يكون مثل جسمك الجريح .

أمى لا تشعر الآن بأى شىء ، الا اذا لمعت الشمس على يديها ـ لا بأس .

أنـــــــدريس : نعم ..

فويســــــك : (يبرز ورقة) فريدريش يوهان فرانز فويسك، عسكرى نفر ببندقية فى الكتيبة الثانية ، السرية

الثانية ، الفصيلة الرابعة ، مولود فى عشرين يولية ، الموافق بشارة مريم ـ عمرى اليوم ثلاثون ، وسبعة أشهر واثنا عشر يوما ٠

أنـــــــــدريس : فرانز ! أحسن لك تدخل المستشفى يامسكين ، لابد أن تشرب كونياك مخلوط بمسحوق البارود ليقتل الحمى ٠

فويســــــــك : نعم ، يا أندريس ، لما النجار يجر الفارة على خشب التابوت ، لايدرى أحد من الذى سيسند رأسه عليه ٠

(شـــــارع)

(ماريا ومعها بنات صغيرات أمام باب الدار ، بعد فترة)

(يحضر فويسك)

البنـــــــات : الشمس تبدو كاللهب

والقمح يزهو كالذهب

فى يوم تتويج المسيح

ذهبوا للمرعى

اثنين اثنين ٠٠٠٠

الناى أمامـــا

فى الخلف كمنجة

ما أحلى الســـير

بحذاء أحمـــر !

الطفـــــل الأول : ســـــخيفة !

الطفـــــل الثاني : أنت دائما طماع !

الطفـــــل الأول : غني لنا أنت !

مـــــــــاريا : لا أستطيع ٠

الطفـــــل الأول : لماذا ؟

مـــــــــاريا : لأني لا أعرف ٠

الطفـــــل الأول : ولماذا لا تعرفين ؟

الطفـــــل الثالث : ستي احكي لنا حكاية !

الجـــــــــدة : تعالوا يابراغيث ٠ كان يا ما كان طفل مسكين غلبان ، لا له أب ولا أم ، كان كل شيء ميت ، ولا كان فيه على وجه الأرض انسان كل شيء كان ميت ، وراح الطفل يبحث ليل مع نهار ٠ ما كان فيه أحـــــد على الأرض ، احب يطلع للسماء ، والقمر نظر اليه نظرة حنان ، ولما وصل القمر وجده قطعة خشب فسدان ، تركه وراح للشمس ، ولما وصل للشمس لقاها عباد شمس دبلان ، ولما راح للنجوم ، لقاها ناموس صغير مذهب ، كانت كمثل الخناق(٢١) المنور ولما أحب يرجع للارض ، كانت الأرض مينـا مهدمة مقلوبة ٠ وكان وحيد وحيد في الدنيا كلها ٠ قعد على الأرض وبكى ، ومازال قاعد لليوم ٠ قاعد وحده يبكي ٠

---

(٢١) الخناق ، نوع من الطيور المفترسة يقتل فريسته خنقا ٠

فويسـك : ماريا !

مـاريا : (مفزوعة) هيه !؟

فويسـك : هيا نذهب • آن الأوان •

مـاريا : الى أين ؟

فويسـك : وهل أعرف ؟

(طرف الغابة ـ عند المستنقع ـ)

(ماريا وفويسـك)

مـاريا : اذن فهناك تقع المدينة • الدنيا عتمة •

فويسـك : ابقى لحظة • تعالى ، اجلسى !

مـاريا : ولكن لابد أن أذهب •

فويسـك : لن تجرحى قدميك من المشى •

مـاريا : ما أغرب حالك !

فويسـك : ماريا • هل تعرفين كم مضى على زواجنا ؟

مـاريا : فى عيد الفصح سنتان •

فويسـك : وهل تعرفين أيضا ، كم بقى لنا ؟

مـاريا : لابد أن أذهب ، لأحضر العشاء •

فويسـك : هل تشعرين بالبرد ، ياماريا ؟ ومع ذلك فانت دافئة • ما أدفأ شفتك ! دافئة ، أنفاسك دافئة

كأنفاس البغايا ! ومع ذلك أتمنى من السماء أن أقبلها مرة واحدة ـ هل تشعرين بالبرد ؟ حين يكون الانسان باردا ، لايتأثر بالبرد ٠٠ لن تبردى من ندى الصباح ٠

مـــــــاريا : ماذا تقول ؟

فويســــــك : لاشىء ٠٠ (صمت)

مـــــــاريا : ما أشد احمرار القمر وهو يبزغ !

فويســــــك : مثل حديدة ملطخة بالدم ٠

مـــــــاريا : ماذا تريد ؟ فرانز ، وجهك شاحب ـ (يرفع يده بالسكين) فرانز ، قف ! بحق السماء ، النجدة ! النجدة ! فويسك ! (يطعنها) خذى هذه ، وهذه ! ألا يمكنك أن تموتى ؟ هــكذا هكذا ـ ها ! مازالت تنتفض ، لم تموتى بعد ؟ لم تمــوتى بعد ؟ مازالت فيك بقية (يوالى طعناته) هل مت الآن ؟ ماتت ! ماتت ! (تسقط السكين من يده وينصرف مسرعا) ٠

« الملهى »

فويســــــك : ارقصوا جميعا ، بشدة ! بشدة ! تصببوا عرقا، لتفح منكم الروائح العفنة ! ســوف يأخذكم جميعا ، فى يوم من الأيام ! (يغنى)

ياحبيبتى يابنتى ،

ناوية على ايه

حبيتى العربجية

وعشقتى السواقين(٢٢)

(يرقص) كيته ! اقعدى ! أنا حران ، حران !

(يخلع سـترته) هذا حال الدنيا · واحدة يأخذها عزرائيل والثانية يتركها على رجليها · كيته ! أنت دافئة : لماذا اذا ؟ كيته ، أنت أيضا ستصبحين باردة · كونى عاقلة · الا تستطعين أن تغنى ؟

كيتـــــه : (تغنى)

الهدمة ان طالت

أنا مالبسهاشى

وبلاد شقاين

أنا ما أروحهاشى

والجزمة السودة

أنا ما اقبلهاشى

دى حاجات ما تليقشى

بالخدامين !

فويســــك : لأ ! من غير حذاء ، الانسان يقدر يروح جهنم حافى القدمين !

---

(٢٢) آه يا ابنتى ، ياحبيبتى يابنتى ، عـلام نويت ، حتى تعشـقى الحوذية ، وتميلى للسائقين ؟

كيتـــــه : (تغنى)

ياحبيبى ده عيب

مايصحش منك

لأ خلى فلوسك

ونام لوحدك !(٢٣)

فويســـك : نعم ، صحيح لا أريد أن أوسخ نفسى بالدم ٠

كيتـــــه : لكن ماهذه البقع على يدك ؟!

فويســـك : أنا ؟ أنا ؟

كيتـــــه : أحمر ! دم ! (يتجمع الناس حولها)

فويســـك : دم ؟ دم ؟

صـاحب الملهى : آخ ! دم ٠

فويســـك : يظهر أننى قطعت أصبعى ، هنا فى اليد اليمنى ٠

صـاحب الملهى : ولكن كيف وصل الدم الى كوعك ؟

فويســـك : كنت امسحه من عليها

صـاحب الملهى : ماذا ؟ تمسح كوعك الأيمن بيدك اليمنى ؟ شاطر !

العبيــط : عند ذلك قال العملاق : أنا أشم ، أنا أشم رائحة لحم بشر أف ! الرائحة فاحت !

---

(٢٣) آه ياحبيبى ، ماكان هذا يصح منك احتفظ بنقودك ، ونم وحدك !

فويســـــــــك : ياجن يا أبالسة ! اللعنة عليكم ! ماذا تريدون ؟ ماذا يهمكم ! افسحوا الطريق والا فان أول واحـــد فيكم . اللعنـــة عليكم ! أتريدون أن تتهمونى بالقتل ؟ هل أنا قاتل ؟ لماذا تبحلقون فى ؟ انظروا الى أنفسكم ؟ أفسحوا المكان ! (يفر)

(عند المســـــتنقع)

(فويســـــك وحـــده)

السكين ؟ أين السكين ؟ تركتها هنا . سوف تفضحنى ! اقترب ! اقترب ! أى مكان هذا ؟ ماذا أسمع ؟ شىء يتحرك . فى هذه الناحية . ماريا ؟ ها ماريا ! سكون . كل شىء ساكن !

ما هذا الشحوب على وجهك ؟ ماريا ! ما هذا الرباط الأحمر حول رقبتك ؟ من الذى أخذت منه العقد ثمنا لخطاياك ؟ اسود وجهك منها ، أسود وجهك ! هل أنا السبب فى هذا الشحوب؟ لماذا تناثر شعرك ؟ ألم تضـــفرى خصـــلاتك اليوم ؟ السكين ، السكين ! هل عثرت عليها ؟ هاهى ! (ينحنى الى الماء) هكذا ، اسقطى فى القاع ! (يلقى بالسكين فى الماء) انها تغوص كالحجر فى الماء العكر . (يغوص فى المستنقع ويقذف السكين بعيدا) هكذا . الآن. ولكن فى الصيف حين يغطســـون بحثا عن القواقع ؟ آه ، سوف نصدأ . وأين من يستطيع التعرف عليها ؟ لو كنت كسرتها ! هل مازال

الدم على ؟ لابد أن أغتسل · هذه بقعة ، وهذه بقعة أخرى · (تأتى جماعة من الناس) ·

الأول : قف عندك !

الثـــــانى : هل تسمع ؟ سكوت ! هناك !

الأول : آه هناك ! ما هذا الصوت !

الثـــــانى : هو صوت الماء ، انه ينادى : من مدة طويلة لم يغرق أحد · فلنذهب ! خير لنا ألا نسمعه ·

الأول : آه : عاد الصوت ! كما لو كان صوت انسان يموت !

الثـــــانى : فظيع ! قاتم ، معتم بلون الضباب وأزيز الخنافس مثل صوت الاجراس المحطمة · لنهرب بأنفسنا ··

الأول : لا ، انه صوت واضح مرتفع ! هناك · تعال معى ! ····

(ينصرفان)

الفهرس

صفحة

صفحة

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى : حســن كــامــل



جورج بشنر

چورچ بشنر كاتب وثائر وطبيب، عبـَّر عن صرخة الخليقة المعذبة من عبث الوجود وفنائه، هذه الصرخة التى لا نزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم.

يعد بشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيلر. إن صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا أثر لها عنده، فأبطاله يعانون مأساتهم، وينحدرون إلى هوة من العدم، تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد خفية باطشة ويسحقهم قدر قاس مجهول.

تصميم الغلاف: محمود الهندى